ایا صوفیه

کتابک نمرەسی
٢٢١١

دفتر
١٦٦

٢٢١١

كتاب شرح عقايد

كتاب شرح عقايد الاسلام في علم الكلام

٢٥

النور اللامع والبرهان الساطع في شرح عقايد الاسلام رواية الامام الطحاوي لابي الفضايل نجم الدين منكوبرس الامامي الناصري

١٦٦

٢٤١١

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وعلى اكرمه الله تعالى الى الالف والحي حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم غفرانك اللهم يا لطيف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم
قال الشيخ الامام العالم العامل الكامل الفاضل نجم الملة
والدين ابو الفضايل منكوبرس بن يلنقلج الامامي الناصري بلغه الله
نواصي المباغي وملكه نواصي الاماني ∴ اعلم بان العلم اول
اللوازم وبه يكون اخلاص الدين لصانع العالم ثم الدين يشتمل على
اعتقاد الصواب واداء الواجب ∴ وهذا الكتاب يتضمن شرح
عقايد اهل الحق الذي رواه الامام ابو جعفر الطحاوي عن ابي حنيفة
النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله محمد
ابن الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون
به لرب العالمين وقد تصدى لتمهيد قواعد الاصول على مذهبهم
كثير من ايمة الاسلام وفرسان علم الكلام من اهل السنة والجماعة
فمنهم من بسط واطنب ومنهم من توسط واقتصد حذرا عن الاطناب
ومنهم من اوجز واقتضب وبغية الكل دحض الباطل ونصرة الحق
والصواب ثم سمى بعضهم كتابه بالسواد الاعظم لما روى عن ابي
غالب عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقت
بنو اسرايل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على
ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا السواد الاعظم ∴ وسمى بعضهم
كتابه بالسنة والجماعة لما روي عن صفوان بن عمرو عن عوف بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون في النار ∴ وافترقت النصارى
على اثنتين وسبعين فرقة واحدة في الجنة واحدى وسبعون في النار
والذي نفس محمد بيده لتفترقن امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة
في الجنة واثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال هم الجماعة ∴
وعن عايشة بنت سعد عن ابيها سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ان بني اسرايل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة ولن تذهب
الايام والليالي حتى تفترق امتي على ثلث وسبعين كل فرقة في النار الا
واحدة وهي الجماعة وعن ابي سلمة عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت
النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلث وسبعين
فرقة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال افترقت امة اخي موسى احدى
وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار وافترقت امة
اخي عيسى اثنتين وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار
وستفترق امتي على ثلث وسبعين واحدة في الجنة والباقون في النار
قيل يا رسول الله ومن هم قال من كان على ما انا عليه واصحابي
وهذه الاحاديث معانيها متفقة وهي من حسن المشاهير
الموجبة للعلم واجمع العلماء على قبولها وهي من اخبار اعلام النبوة
ودلايل الرسالة اذ اخبر عما سيكون في المستقبل فتحقق على ما اخبر
حتى خافت الصحابة من الحدث في الفروع فضلا عن العقايد والاصول
ثم سلك التابعون سبيلهم حتى صار اجماعهم حجة كاية من القران
وحتى صار كل معقول خالف الكتاب او السنة المتواترة او
اجماع السلف باطلا اذ العقل الصحيح حجة من حجج الله تعالى على ما
ياتي بيانه من بعد ان شاء الله تعالى وحجج الله تعالى تتعاضد
ولا تتضاد وقد سمى ابو جعفر الطحاوي كتابه في العقايد بيان
السنة والجماعة ذكر الامام ابو المعين النسفي في اصوله فقال
ان ابا جعفر الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الامة على العموم
وعلى علوم ابي حنيفة واصحابه على الخصوص قال في كتابه الذي
افتتحه في العقايد صح عندي مذهب فقهاء الملة ابي حنيفة
النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون

به لرب العالمين   وقال هذا بيان السنة والجماعة ثم شرع
في بيان أقاويلهم على ما يأتي ذكره **قال الشيخ الإمام العالم**
نجم الملة والدين ونقدم على الشروع في شرح العقايد فصولا
من ذكر تحديد العلم وإثبات الحقايق والعلوم وذكر التقليد ٥
والاستدلال وذكر أنواع الحجج الموجبة للعلم قطعا ويقينا ليكون
نور الحجة للمهتدين ظاهرا لامعا وبرهان الحق للمستبصرين ساطعا
وذلك كله من كلام أيمة كتاب السواد الأعظم كالإمام
أبي حفص الكبير وأبي القاسم إسحق بن محمد الحكيم السمرقندي
وأبي عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري ومن كلام رئيسهم إمام
الهدى أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي في كتاب التأويلات
ومن كلام الأستاذ الأجل سيف الحق النسفي في أصوله ومن
كتاب تحديد أدلة الشرع للقاضي أبي زيد الدبوسي ٥ ٥
القول في تحديد العلم زعم أبو القسم الكعبي أن حد العلم
اعتقاد الشيء على ما هو به ولم يرض به غيره من المعتزلة وزعموا أنه
باطل باعتقاد العامي حيث اعتقد حدث العالم وثبوت الصانع على
ما هو به وليس ذلك بعلم لما أنه لا دليل معه ٥٥ وقال أبو هاشم منهم من المعتزلة
حد العلم اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس إليه ولم يتخلص
هو أيضا عن إلزامهم لما أن العامي ساكن النفس مطمئن القلب وليس
ذلك بعلم على مذهبهم لما لا دليل معه ٥ وزعم أبوه أبو علي الجبائي
أنه اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة أو دليل **قال سيف الحق**
وهذا أيضا فاسد إذ هو تقسيم للعلم المحدث وليس بتحديد لأن
من شرط الحد أن يوجد جميع صفات الحد في كل فرد من أفراد ٥
المحدود وفيما قسم لا يوجد ذلك فإن ما كان من العلم ضروريا فهو
خارج عن الاستدلالي وما كان منه استدلاليا فهو خارج عن
الضروري ٥ وقد وقعت المعتزلة في هذه الحدود الثلثة في

المناقضة بتحديدهم العلم بالاعتقاد لأن العامي معتقد حدوث العالم
ووحدانية الصانع وقدمه وذلك ليس بعلم عندهم لما لا دليل معه
فصاروا مناقضين حيث جعلوا العلم اعتقاد الشيء على ما هو به
ثم لم يجعلوا اعتقاد العامي للشيء على ما هو به علما ٥ وإنما
وقعوا في المناقضة والفساد لامتناعهم عن إثبات العلم صفة
لله تعالى كما هو مذهبهم في نفي الصفات الذاتية والفعلية وقد
ثبت بالدلايل الموجبة أن الله تعالى له علم أزلي قايم بذاته
على ما نذكر في فصل الصفات إن شاء الله تعالى ٥ وذكر أبو بكر
ابن الطيب الباقلاني أن حد العلم هو معرفة المعلوم على ما هو
به وهذا أيضا فاسد لأن المعرفة اسم للعلم المستحدث قال
عنترة في شعره   أم هل عرفت الدار بعد توهم
وقال بعضهم إن حد العلم هو درك المعلوم على ما هو به وهذا
أيضا فاسد لأن لفظة أدرك مشتركة يقال أدرك إذا
أحاط به وأدركت الثمار إذا انضجت وكذا الله تعالى يعلم ولا
يدرك ٥ وقال بعض المشايخ إنه تبيين المعلوم على ما
هو به وهو فاسد لأن الله تعالى يقال له عالم ولا يقال بأنه متبين
قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين منكوبرس الإمامي
الناصري أيده الله تعالى والذي قرره سيف الحق هو أن هذه
الحدود المذكورة فيها إثبات العلم المبهم والتحديد لم يوضع لإثبات
العلم المبهم إذ هو حاصل لمن لا علم له بالحد ٥ وإنما وضع التحديد
لإثبات حقيقة العلم الذي بها يمتاز عن غيره من صفات المعلوم
ولهذا يحصل به جميع أجزاء المحدود ويمنع غيره عن مشاركته
فوقعت الحاجة إلى بيان تلك الحقيقة فقلنا نحن حقيقة العلم
أنه يوجب كون من قام به عالما أو الوصف الذي من قام به كان
عالما وهذا لأنا عرفنا العلم والعالم على الإطلاق غير أنا جهلنا

الحقيقة التي بها يمتاز كل واحد منهما عن غيره فتأملنا فعلمنا أن
زيدا ما كان عالما لكونه أسود وقيام السواد به لأنا نشاهد السواد في
أجسام ليست بعالمة وكذا في البياض والحركة والسكون
والاجتماع والافتراق والطول والقصر وكذا في الطعوم ۝
والروايح كلها فعلمنا أنه ما كان عالما إلا لقيام العلم به فكان هذا
حقيقة ۝ وكذا العلم تأملنا فيه فعلمنا أنه لا يوجب كون
من قام به متحركا ولا ساكنا ولا مجتمعا ولا مفترقا ولا أسود ولا
أبيض فعلمنا أن حقيقته أنه يوجب كون من قام عالما إذ لا أثر
له إلا هذا ۝ ومن أصحابنا من قال إن العلم صفة ينتفي به
عن الحي الجهل والشك والظن والسهو قال سيف الحق
وهذا التحديد أخف مؤنة وأقطع لشغب الخصوم الكلام
في إثبات الحقائق والعلوم قال أبو المعين النسفي
حقائق الأشياء ثابتة وهو مذهب جميع العقلاء سوى طايفة ۝
تجاهلت فزعمت أن لا حقيقة لشيء وإنما هي ظنون وحسبانات
وراموا بهذه المقالة دفع الأوامر والنواهي عن أنفسهم وأجمع العقلاء
أن لا مناظرة بيننا وبين من هذا قوله لأن فايدة المناظرة أن
تثبت بالدلايل صحة قول واحد وبطلان قول آخر والعلم
الحاصل عن النظر في الدلايل وإن كان يبلغ النهاية في القوة
فطريقه أخفى من طريق علم الحواس وبداية العقول ومن بلغ
في الوقاحة والعناد مبلغا لا يبالي من إنكار ما ثبت من العلوم
والحقايق بالحواس وبداية العقول لا يرجى منه قبول العلم الثابت
بالاستدلال ولذلك استوصلت الكفرة المعاندون عند انتهاء
العناد والمكابرة بالعذاب كقوم نوح وقوم لوط وقوم شعيب
وكفرعون وقومه وعاد وثمود حيث نفوا حقايق الآيات
والحجج وكابروها عند معاينتهم إياها ولأن المناظرة تكون بين

اثنين بينهما أصول مسلمة قد أجمعا على إثبات حكمها وأصول مسلمة
قد أجمعا على نفي حكمها ثم اختلفا في فرع له شبه بكلي النوعين بوجه
من الوجوه فيختلفان بأن إلحاقه بأي الأصلين أولى فيلحق بالأصل
الذي يشاركه في الوصف الذي وجد اتفاقا فيتناظران ليظهر علة ۝
الحكم من الوصف الاتفاقي وإذا لم يكن لهؤلاء أصل مجمع عليه لإنكارهم
حقيقة الأشياء كلها لا تتصور مناظرتهم قال سيف الحق ولكن
ينبغي أن يعاقبوا بقطع الجوارح والضرب المبرح ومنع الطعام ۝
والشراب فإذا استغاثوا وضجروا وطلبوا الطعام والشراب قيل لهم
لا حقيقة للقطع والضرب والجوع والعطش إنما ذلك كله حسبان
وظن منكم وهو في الحقيقة إيصال الراحة إليكم وإنعام عليكم إلى
أن يتركوا العناد ويقروا بالحقايق ۝ ولأن مقالتهم هذه مظهرة
أنهم يعلمون الحقايق حيث يجتلبون أسباب البقاء بتناول الأغذية
ولباس الثياب الدافعة لمعرة الحر والبرد وكذا اجتنابهم لأسباب
الهلاك بتحرزهم عن اقتحام النيران المضطرمة ومنع أنفسهم ۝
عن السقوط من الأمكنة المرتفعة وتوقيهم عن مقاربة الأفاعي
الناهشة والعقارب اللادغة إذ لو لم يكن لهم علم بأسباب البقاء لما
اجتلبوها وبأسباب الهلاك ما اجتنبوها ولولا علمهم بحقايق الأشياء
لما تصور بقاؤهم بل تلفوا بأوحى مدة وأسرع وقت فدل بقاؤهم إلى هذه
المدة على علمهم بحقايق الأشياء ثم من خبث سريرتهم وعظيم مكابرتهم
اعتلوا بالشبهة فقالوا إن أعلى أسباب العلم عندكم الحواس الخمس
وهي حاسة السمع وحاسة البصر والشم والذوق واللمس وهذه الأشياء
لا تصلح سببا للعلم لأن قضاياها متناقضة فإن الممرور وهو من
به صفراء غالبة يجد العسل مرا وغيره يجده حلوا والأحول يرى
الشيء شيئين وغيره يراه واحدا وكل ذلك على الحس وما تناقضت
قضاياه هذا التناقض لا يصلح دليلا قال سيف الحق فهذه

الشبهة هتكت أستارهم وكشفت عنادهم وأنهم ليسوا بمجانين فيعذروا بل
تجاهلوا عن علم بالحقائق فإنهم لو لم يعرفوا الحواس حقيقة أنها
ما هي وأن قضاياها ما هي وأن التناقض ما هو وأن الدليل ما هو
وأن القصبة ما هي وأن العسل ما هو وأن الممرور من هو وأن
المرارة ما هي وأن الأحول من هو وأن الرؤية ما هي وأنه يرى
الواحد اثنين وأن الواحد ما هو وأن الاثنين ما هو لو لم يعلموا ه
بحقائق هذه الأشياء لما اشتغلوا بإيراد هذه الشبهة فعين ما استدلوا
به دليل بطلان قولهم وهتك أستارهم ثم يقال أنا معشر العقلاء
أجمعنا على كون الحواس من أسباب العلم في حال سلامتها عن الآفات
وقط لا تتناقض قضاياها عند سلامتها وإنما تختل إدراكها عند
اعتراض الآفات ولا كلام في تلك الحالة وقد أبطلوا شبهتهم ه
باجتنابهم حقائق الأشياء النافعة وتحرزهم عن حقائق الأشياء الضارة
فظهرت مكابرتهم فينبغي أن يعاقبوا بقطع الجوارح والضرب المبرح
ومنع الطعام والشراب وأن يمسوا بالسياط المؤلمة ويقربوا من
الأفاعي اللاسعة والعقارب اللادغة حتى يتركوا العناد والمكابرة أو
يتلفوا بالكلية وهؤلاء المتجاهلة طائفة من الدهرية يسمون السوفسطائية
وهم أنواع أحدها هؤلاء ونوع آخر متشككة يقولون لا ندري
هل للأشياء حقيقة أم لا ونوع آخر يقولون حقائق الأشياء تابعة
لاعتقادات المعتقدين ومن سوى هؤلاء من الدهرية أقروا بالعالم
وادعوا قدمه وجحدوا الصانع مع معاينتهم حدوث العالم وما
فيه من التغير والزوال والقديم لا يتغير ومع معاينتهم شهادة
خلقة العالم بما فيه من التأليف والتركيب والتسخير على ثبوت الصانع
القديم إذ لا تأليف إلا بمؤلف ولا تركيب إلا بمركب ولا تسخير
إلا بمسخر **القول في طرق العلم** وإذ قد ثبتت الحقائق
والعلوم فنقول إن أسباب العلم للمخلوقين أنواع ثلثة أحدها

علم الحواس السليمة وهي حاسة السمع وحاسة البصر وحاسة الشم
وحاسة الذوق وحاسة اللمس فالعلم بحاسة السمع بالمسموعات وبحاسة
البصر بالمبصرات وبحاسة الشم بالمشمومات وبحاسة الذوق
بالمذاقات وبحاسة اللمس بالملموسات ضروري لا إنكار في
كون هذه الحواس موجبة للعلم بمحسوساتها قطعا وقد جعلها
الصانع الحكيم طرقا للعلم لينتفع الممتحن بها في تحصيل منافع
العاجلة والآجلة وليكتسب بها الحواس الباقية في دار العاقبة
وقد أنكرتها السوفسطائية المتجاهلة ه والنوع الثاني العقول
المستقيمة وذهبت الملحدة وجماعة المشبهة إلى القول ببطلان
النظر وخروج العقل من أن يكون من أسباب المعارف وقال
أهل الحق كون العقل من أسباب المعارف يعلم بالضرورة فإن
العلم الثابت ببديهة العقل ضروري كالعلم الثابت بالحواس فإن
العلم بأن كل شيء أعظم من جزئه وأن جزءه أصغر من كله ضروري
فإن زيدا بكليته أعظم من يده إذ في كله يده وزيادة ويده
أصغر من كله وكذا من علم أن ولادة زيد وعمرو كانت في ساعة ه
واحدة ثم علم أن أحدهما ابن عشرين سنة علم ضرورة كون
الآخر ابن عشرين سنة حتى لا يعتريه في ذلك شك ولو أراد ه
تشكيك نفسه لعجز كما في العلم الحاصل بالحواس فمن أنكر كون العقل
من أسباب العلم على الإطلاق فقد أنكر العلم الضروري والتحق
بالسوفسطائية فيعامل بما يعامل به السوفسطائية كذا
ذكره أبو المعين ه ولأن كل أحد من البشر يفزع إلى النظر
بعقله عند اشتباه الأمر على ذلك جبل الخلق كما يفزعون إلى
الحاسة المعدة لإدراك ذلك النوع من المحسوس فدل أن العقل
من طرق المعارف قال الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والأرض والذي ينظر في هذه الأشياء هو العقل ولأن من نفى كون العقل

سببا للعلم فإنما ينفيه بالنظر بالعقل فكان في نفيه إثباته إذ ليس شيء
دليلا سوى النظر فإنه لو ادعى معرفة صحة نفيه بحاسة من الحواس
يظهر عند المطالبة بتعيين تلك الحاسة بطلانه وتعنته ولو أحال
ذلك إلى الخبر يظهر بطلانه أيضا إذ الخبر يثبت وجود العقل وكونه
طريقا للعلم فإن قيل إن قضايا العقل متناقضة قيل له قضايا العقل
قط لا تكون متناقضة والوقوع في الخطاء يكون لتقصير الناظر في بعض
المقدمات بهواه فيقع له نوع ظن فيعتقد ذلك ويظنه علما فأما إذا
استوفى شرايط النظر في كل مقدمة وعلم صحتها فلا يقع في ضلال
مثاله المجوسي نظر في أقسام العالم فوجدها محدثة بدلالة التغير
والزوال ووجود أشياء لم تكن وزوال أشياء كانت فاعتقد حدوثها
وهو صحيح ووجد في العالم الشرور والقبايح والأقذار والأنتان
فاعتقد حدوثها وهو صحيح ثم اعتقد أن المحدث لا بد له من
محدث أحدثه وهو صحيح ثم اعتقد أن صانع العالم حكيم
وهو صحيح ثم اعتقد أن إيجاد الشرور والقبايح والأقذار
والأنتان سفه وهذا خطاء واعتقد أنها لما كانت محدثة لا بد لها
من محدث سفيه يتولى تخليق هذه الأشياء فوقع في الباطل لنظره
في مقدمة بهواه دون عقله ولو تأمل بعقله لعرف أن إيجاد
هذه الأشياء حكمة إذ القدرة على إيجاد المتضادين من كمال
القدرة وكذى فيه كمال الاستغناء إذ فيه أنه لا يخلق الأشياء لمنفعة
نفسه وفيه كمال التعالي إذ فيه أنه لا تضره الأشياء وكذى فيه
دلالة الوحدانية إذ فيه الاستقلال بالملك والتفرد بالصنع ونفي
الشركة ولو نظر في هذه الوجوه لم يقع في الباطل فثبت أن لا
تناقض في قضايا العقل وأن النظر يكون مفضيا إلى العلم
فيما يدرك بالعقل عند وجود شرطه ٥ والنوع الثالث
الأخبار الصادرة عن الصدق وقد أنكرت السوفسطائية والسمنية

والبراهمة كون الخبر من أسباب المعارف وقالوا الخبر قد يكون صدقا
وقد يكون كذبا فكان في نفسه مختلفا ولا يدرى الصدق من الكذب
فلا يثبت به العلم فيقال لهم قولكم إن الخبر ليس من أسباب
المعارف خبر منكم وقد أقررتم ببطلان الخبر فكان هذا إقرارا
ببطلان مقالتكم ولا يمكنهم أن يقولوا عرفناه بالحواس إذ يظهر
بطلان دعواهم عند المطالبة بتعيين تلك الحاسة ولأنهم تكلموا
بلغة من اللغات ومعرفة اللسان واللغة ليست بالحس ولا
بالعقل إذ لو فرض خليقة الله عقلا وأذكاهم حسا لو سمع لغة لم تبلغه
لا يعرف معناها وإنما يعرف ذلك بأخبار الملقن فكان نفس الكلام
دليلا أنهم عرفوا بالخبر شيئا فيبطل إنكارهم الخبر وقولهم إن
الخبر يتنوع إلى صدق وكذب فنقول ما يحتمل الكذب
لا يوجب العلم وإنما يوجب العلم ما لا يتصور كونه كذبا
وهو خبر الرسل المعصومين عن الكذب والباطل لقيام المعجزات
على كونهم رسل الله تعالى وكذى ما تواتر عنهم على ألسنة قوم لا
يتصور منهم التواطئ على الكذب موجب للعلم

القول في أنواع الحجج في أنفسها

قال الشيخ الإمام الناصري
ونبدأ بالحجج العقلية إذ العقل آلة لدرك ساير الحجج ٥ ذكر
القاضي أبو زيد في كتاب تحديد أدلة الشرع فقال الحجج نوعان
عقلية وشرعية وكل نوع قسمان موجبة للعلم قطعا ومجوزة
وهي ما جوزت إطلاق اسم العلم على موجبها بغالب الرأي ثم
العقلية هي ما عرفت حججا بالاستدلال بمجرد العقول كدلالة البناء
على الباني وحدث العالم على الصانع ٥ والشرعية ما لم تعرف
حججا إلا بوحي من الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه ثم
قال وهذه جملة لا نعرف فيها خلافا ثم كل من قال بحرمة الكفر
والشرك وإضافة الولد إلى الله تعالى قبل ورود الشرع فإن العقل

عندهم حجة من حجج الله تعالى ويجب الاستدلال به قبل ورود الشرع
واحتجوا في ذلك بما أخبر الله تعالى عن ابرهيم صلوات الله عليه
أنه قال لأبيه وقومه إني أراك وقومك في ضلال مبين ولم يقل
أوحي إلي فثبت أن العقل مما يهدي أي يرشد ويدل ۝
وكذلك أخبر الله تعالى أخبر عن ابرهيم عليه السلام أنه استدل
بالنجوم وعرف ربه بها وكان حجة على قومه فقال وتلك حجتنا
آتيناها ابرهيم على قومه وليس في الآية من باب الوحي ذكر وقال
تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به الآية ولم يقل ومن
يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به الآية ولم يقل ومن يدع مع الله
إلها آخر بعدما أوحي إليه أو بعد ما بلغته الدعوة فثبت أن
العذر ينقطع بالعقل وحده ولو لم تكن به كفاية لما انقطع به العذر
ولأن الحجج السمعية لم تكن حججا إلا باستدلال عقلي فلا يقع الفرق
بين المعجزة والمخرقة وبين النبي والمتنبي إلا بنظر عن عقل
لأن المعجزة بعد الدعوة لا تعرف إلا بدليل عقلي وآيات الحدث
في العالم أدل على الصانع من علامات المعجزة على أنها من الله تعالى
فلما كان بالعقل كفاية معرفة المعجزة والرسالة كان به معرفة ۝
الله تعالى من طريق الأولى ولما ثبت أن بالعقل كفاية كان بنفسه
حجة في معرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته وقدمه ولزم
العمل به فيما يدركه كما يجب بالشرع وبسائر الحجج إذا قامت ولأن
الله تعالى نصب دلائل وحدانيته وهستيته وألوهيته قبل ورود أي وجوده
الشرع فلا يتصور أن لا يكون آية على حدث العالم للمستدلين ولا
حدث العالم يتصور أن لا تكون دلالة على المحدث قال الله
تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى قوله
والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون وقال
أفلا تعقلون وقال أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض

فإن قيل إن الله تعالى لم يدعنا في العقول ولا معنى للاشتغال
بشيء لم نبتل به قيل له إن الله تعالى لم يدعنا والعقول حتى أرسل
الرسل وأنزل الكتب رحمة منه أو نقول حتى أرسل الرسل لبيان ما لا
ينال بالعقول من أنواع العبادات والحدود أو لما كان أمر البعث
والجزاء مما يشكل مع العقل وحده إلا بجد تأمل فيه حرج يعذر
الإنسان بمثله ولا إيمان بدونه فكان حقا على الله تعالى بعث
الرسل لبيان ما به تتمة الدين لا لنفس معرفة الخالق ويقال له
أيضا إن الله تعالى لم يدعنا ورسولا من أول الأمر إلى آخره والحجة
كانت قائمة بالواحد كما بقيت بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم
القيمة ولم يدل ذلك أن الأول لم يكن حجة كافية وكذلك أن الله
تعالى لم يدعنا والبيان بآية واحدة بل بآيات متكررة ولا يدل
أن الآية الواحدة لم تكن حجة كافية ۝ وإن قيل لو كان
بالعقل كفاية لما اختلف العقلاء فيه قيل إن ذلك الاختلاف
لاختلافهم في جهات الاستعمال من ترك العمل بالعقل على وجهه
وشرطه بهواه وهذا كما اختلفوا في دعوة الرسل فالمقصر في ۝
اجتهاده لا ينال الحقيقة وكذلك الغالي يتعداها وكما اختلفوا
في معرفة الرسل والعذر ينقطع بهم فإن قيل إن الهوى غالب
في الإنسان وطرق الدين خفية تحت غلبة الهوى ومنام القلب
بالغفلة عن دلائل العقل وفي تنبهه عن نوم الغفلة بلا شرع حرج
عظيم أكثر مما يحرج الصبي العاقل بسبب نقصان عقله
لإدراك ما يدركه البالغ من الخطاب المسموع وقد أخبر الله ۝
تعالى أن لا حرج في الدين قيل له وفيما ذكرت من غلبة
الهوى ومنام القلب بالغفلة ضرب تقصير في ابتلاء عذر لمن
بلغ أشده وأدرك غامضات أمور الدنيا برأيه وهي لا تنال ۝
ببداية العقول فإنه لا يرى شيئا إلا عرف له بانيا ولا نقشا إلا عرف

لهُ تأنيثًا ولا صورةَ جمادٍ إلّا عرف له مصوِّرًا فكيف يُعذَرُ بعدَ رؤيته صورًا
حيّةً في جهلهِ بمصوِّرها وإذا لم يُعذَرْ ولا بدّ أن تقع له المعرفة بفاعل
الصورة فقد تنبّه بعقله للنظر فيلزمه من النظر ما تتمّ به المعرفة
فأشبه تنبّهه ببديهة عقله التنبّه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم
التي هي كلام نصّ على التنبّه وكيف ينكر هذا والله تعالى أخبر عن
الكفرة ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله وكذلك لا ترى أحدًا من
الكفار إلا وهو يخبر عن الصانع وإنما كان كفرهم بوصفهم الله تعالى
بما لا يليق به من الولد والشريك وبقولهم يد الله مغلولة وقولهم
إن الله فقير ونحن أغنياء وقولهم إنه على صورة البشر وقولهم نحن
أبناء الله وأحباؤه والعذر بلا خلاف منقطع عن مثله ۝ أو
كان الكفر بإنكارهم البعث للجزاء وكلامنا في نفس الجهل بالصانع
عن ذكره وكيف يعذر والجهل جاء من قبل استخفافه بالحجة بعد ما
لاحت له بلا تمثيل كالبناء في الشاهد يدل على الباني بلا تمثيل في العقول
أي بلا تردد والاستخفاف بالحجة فوق الغفلة عن سكر يقع بالخمر
وإنه لم يعذر به فهذا أولى ۝ والدليل عليه قوله تعالى أولم
نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر ولم يذكر الوحي ۝ وقال أولم
يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله ولم يذكر الوحي بل عاتبهم على
ترك التفكر فدل أن التفكر في خلق السموات والأرض وفي خلق نفسه
لازم قبل ورود الشرع ۝ فإن قيل قوله تعالى خبرًا عن خزنة
النار لأهلها أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ولم يقولوا أولم تكونوا
عقلاء قيل له قولهم ذلك كلام توبيخ على ما صنعوا فيلومون بأظهر
الأمور وأعلاها وحجج الشرع أظهر من حجج العقل فوبخهم
بالأظهر وذلك لا يدل على أن الآخر ليس بحجة ۝ فإن
قيل قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون
وكذا قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فيهما دلالة

أن قطع العذر يكون بالسمع لا بالعقل قيل تأويل قوله ذلك أن لم يكن
ربك مهلك القرى هو عذاب الاستئصال في الدنيا ألا ترى أنه
ذكر القرى ولا قرى في الآخرة وعذاب الدنيا جزاء على تكذيب
الرسل زجرًا لمن بعدهم عن تكذيب الرسل لا جزاء على الكفر إذ
جزاء الكفر بالنار على التأبيد في دار الجزاء ۝ وتأويل قوله وهم
غافلون أي غفلة إهمال الحجة أو غافلون بسبب خفاء وضوح الحجة
مع وجود الحجة والذي معه عقله غير فاقد للحجة ۝ وقوله تعالى
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أي لئلا يكون لهم حجة
تقابل لا حجة تقبل أي لئلا يكون لهم الاحتجاج بأن يقولوا
هلا أرسلت إلينا رسولا والله أعلم وقوله بظلم أي بظلم من الكفرة
أي لم نهلكهم بظلمهم حتى أرسلنا الرسل وظهر تعنتهم فكان
إخبارًا عن تأخير العذاب إلى حين بعث الرسل تفضلا منه ولو
أهلكهم بظلم كفرهم قبل ورود الرسل كان عدلا ومن الدليل
على كون العقل حجة قوله تعالى خبرًا عن أهل النار وقالوا
لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أخبروا أنهم إنما
صاروا في النار لتركهم الانتفاع بالسمع والعقل وفيه أنهم لو انتفعوا
بالعقول في معرفة الصانع قبل ورود الشرع لم يصيروا في النار بدليل
دخول حرف أو بين العقل والسمع تحققه قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم
فسحقا لأصحاب السعير فكان فيه دليل أن ترك الاستدلال بدليل أي بعدًا
العقل لمعرفة الخالق عز اسمه موجب للنار كترك السمع ولأن دعاء
جميع الكفرة إلى دين الإسلام واجب على الأمة ومعلوم أن
الدهرية يعتقدون قدم العالم وتعطيل الصانع ومن هذا شأنه لا يناظر
بدليل النقل لأنه لا يثبت المرسل فكيف يحتج عليهم بالرسول والتنزيل
فلم يبق إلا حجج العقول فتبين أن العقل حجة من حجج الله ولذلك
تصدى أهل الحق لإلزامهم حدوث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته

وقدمه بادلة العقول ولذلك سمي ابرهيم صلوات الله عليه ابا الحجة
لكثرة محاجته مع قومه بحجج العقل وكذلك ساير الرسل حاجوا قومهم
بدلايل حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته على ما اخبر الله
تعالى بقوله قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض

القول في ايمان المقلد

قال ابو المعين النسفي
في اصوله ان الايمان هو التصديق على قول ابي حنيفة كذى
ذكره في كتاب العالم والمتعلم من املايه وهو اختيار امام
الهدى ابي منصور الماتريدي واليه ذهب عامة المتكلمين وهو
على تحقيق التحصيل تصديق محمد صلوات الله عليه بما جاء به من
عند الله تعالى اذ في هذه الجملة تصديق بجميع ما يجب الايمان
به لان فيه الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وبجميع ما يجب الايمان على التفصيل وكذى في كل رسول مع امته
وذكر الامام ابو الحسن علي بن محمد الرستغفني في كتابه المسما
ببيان السنة والجماعة فقال ان الايمان هو التصديق والاعتقاد
دون ساير العبادات لان الله تعالى سمى من صدق بما جاء عنه ○
مومنا بقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن
بالله وملايكته وكتبه ورسله الاية وهذا عبارة عن الاعتقاد دون
غيره من الافعال ثم امرهم بعد صحة الاعتقاد ان يشهدوا لانفسهم
بالايمان والاسلام من غير استثناء بقوله تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ○
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا
نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ○ ومدح من يشهد
بذلك لنفسه بقوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
ان امنوا بربكم فامنا واخبر تعالى انهم يصيرون مومنين بهذا
بقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا قال ابو الحسن

وهذا كله راجع الى التصديق دون غيره من الافعال وروى بن
زياد عن ابي حنيفة انه قال الايمان قول والعمل موظف عليه
قال القاضي ابو العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد
من تاليفه معنى قوله الايمان قول يريد به في احكام الدنيا
ولذلك نسمي الناس مومنين بما يظهر لنا من اقرارهم ○ ثم
قال وما روي عن ايمتنا الايمان ايمان اقرار وتصديق فقد
عنوا بذلك في نفع الايمان في حق الاخرة وقال سيف الحق في
اصوله ان من وجد منه الايمان عند روية الباس او عند معاينة
العذاب او في الاخرة لا يكون ذلك ايمانا نافعا يعني لا ينال ثواب
الايمان ولا يندفع عنه عقوبة الكفر ○ ثم تكلموا في المعنى
الذي به زال عنه نفع الايمان ○ ذكر ابو منصور الماتريدي
في تاويل قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل فقال لان ذلك الوقت وقت
نزول العذاب ولا يقدر ان يستدل فيه بالشاهد على الغايب
ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم ○ قال سيف الحق فعلى هذا
لا بد من ان يكون التصديق مبنيا على الدليل لينال الثواب بتحمل
المشقة بالاستدلال ودفع الشبه المعترضة بادمان النظر واتعاب
الفكرة للتمييز بين الشبه والحجج فاذا تحمل ذلك في ذات الله تعالى
وابتغاء مرضاته نال الثواب الموعود على الايمان ○ واذا جعل
همته الوصول الى اللذات الحاضرة ثم امن بلا تحمل مشقة وكلفة
فلا ثواب له ولا ينال نفع الايمان كالذي امن عند معاينة الباس
لانعدام الاستدلال من قبله ○ ثم قال سيف الحق ولا فرق
بين حصول الايمان بعد التامل في اجرام العالم فاعتقد ○
حدوثها وثبوت صانعها وثبوت صفاته ورسالته وبين حصوله
بالتامل في اعلام الرسل ومعجزاتهم فينال ثواب الايمان عقيب

التأمل في معجزاتهم وإن لم ينبأ تأمل في أجرام العالم وقيل إنما زال ثواب
الإيمان عمن آمن عند نزول العذاب لأنه إيمان دفع العذاب
لا إيمان طلب القرب فلم يكن معتبرا لأنه كان محمولا على الإيمان
عند نزول العذاب به أو لأنه عند تعلق العذاب الدنيوي به وهو
مقدمة لعذاب الآخرة إذ يموت بعذاب الدنيا فينتقل إلى عذاب
الآخرة فقد خرجت نفسه من يديه وشيء من هذه المعاني لم يوجد
في حق المقلد إذ إيمانه كان تقربا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته لا لدفع
عذاب متوجه إليه فيكون متشبثا بالإيمان وكذلك لم يكن ملجأ
إلى إيمانه مضطرا لانعدام سببه وهو معاينة العذاب ولذلك
كانت نفسه في يده لم تخرج منها وقد حصل منه الإيمان
والله تعالى وعد الثواب على الإيمان والثواب ينال بفضل
الله تعالى ووعده والمقلد آمن بالله وبما جاء عنده نبينا وله مطلق
الوعد قال الإمام سيف الحق أبو المعين ثم المذهب
أن المقلد الذي لا دليل معه مؤمن وحكم الإسلام له لازم
وهو مطيع لله تعالى باعتقاده وساير طاعاته وإن كان عاصيا
بترك النظر والاستدلال وحكمه حكم غيره من فساق
أهل الملة من جواز مغفرته أو تعذيبه بقدر ذنبه وعاقبة
أمره الجنة لا محالة وهذا القول يحكى عن أبي حنيفة
والثوري ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل
وأهل الظاهر ومن المتكلمين عن عبد الله بن سعيد القطان
والحارث بن أسد وعبد العزيز بن يحيى المكي ○ وتلخيص
مذهب أبي حنيفة وأصحابه على ما بينت فصار هذا قول عامة
الفقهاء ومتكلمي أهل السنة قال سيف الحق وذهب
أكثر المتكلمين إلى أنه لا بد لثبوت الإيمان وكونه نافعا من
دليل يبني عليه اعتقاده غير أن أبا الحسن الرستغفني صاحب الإمام

أبي منصور الماتريدي قال إذا بنى اعتقاده على قول الرسول
وعرف أنه رسول وأنه ظهرت على يده المعجزات ثم قبل منه القول
في حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته من غير أن عرف صحة
كل من ذلك بدليل عقلي كان كافيا ○ وبعض أهل الحديث اكتفوا
بذلك الدليل المقترن بالتصديق أن يكون إجماعا والمشهور عن أبي
الحسن الأشعري أنه قال لا يكون مؤمنا ما لم يعتقد كل مسألة
من مسايل الأصول عن دليل عقلي وأنه لم يجعل قول الرسول
دليل حدوث العالم وثبوت الصانع قال لأن قول الرسول لا يكون
حجة ما لم تثبت رسالته ولا وجه إلى القول برسالته إلا بعد ○
معرفة مرسله ولن تتهيأ معرفة مرسله إلا بعد ثبوت المعرفة
بحدث العالم فجعل الأشعري صحة معرفة قول الرسول مترتبة
على معرفة حدث العالم كذي ذكره أبو المعين عنه في أصوله
فتتعطل على قول الأشعري فائدة الرسالة والمعجزة جميعا إذ
الرسالة جعلها الله تعالى فيمن اختاره من بريته لدعوة عباده إلى
توحيده وإثبات حدث ما سواه أولا ثم إلى عبادته وجعل المعجزة
آية لرسوله ليعلموا أن ما يقوله حق وصدق ومعلوم بالكتب ○
السماوية على ما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وكذلك الأخبار تواترت
أن الرسل عليهم السلام أول ما دعوا الخلق إلى توحيد الله تعالى
وخلع الأنداد فإذا لم يكن قولهم حجة في إثبات حدث العالم ووحدانية
صانعه على قول هذا القايل وأتباعه مع شهادة المعجزات الخارجة
عن وسع الخلايق على ثبوت رسالتهم وعصمتهم عن الباطل فقد
تعطلت فائدة الرسالة والمعجزة وكل معقول يؤدي إلى إبطال
فائدة حجة من حجج الله تعالى فهو باطل إذ العقل الصحيح حجة
من حجج الله تعالى وحجج الله تتعاضد ولا تتضاد ○ وأما المعتزلة

فقد قال عامتهم في هذا المعتقد لا عن دليل انه ليس بمؤمن وقال ابو هاشم منهم انه كافر كذا حكى عنهم عبد القاهر البغدادي ذكره النسفي في اصوله ن ثم عند جميع المعتزلة انما يحكم بايمانه اذا عرف ما يجب اعتقاده بالدليل على وجه يمكنه مجادلة الخصوم وحل جميع ما يورد عليه من الاشكالات حتى انه لو عجز عن شيء من ذلك لم يحكم باسلامه قالوا لان الرأي المبني على ما تصور عند المتأمل انه دليل لن يكون علما ما لم يقدر على دفع الشبه المعترضة على الدليل بل يكون ظنا اذ العلم انما يمتاز من الظن بالقدرة على دفع ما يوجب ضد هذا الرأي ويكذبه فاذا ثبتت القدرة على دفعه كان ذلك علما وان لم تثبت كان ظنا وبهذا تمتاز المسائل الاعتقادية عن المسائل الاجتهادية وتجري التضليل على من خالف في المسائل الاعتقادية دون الاجتهادية وبها يمتاز الحق عن الباطل لان الحق ما غلبت حججه واظهرت اسباب التمويه في غيره قال النسفي هذا هو زبدة كلام المعتزلة

واما الذين شرطوا لكون الايمان نافعا اقتران الدليل به غير ان ذلك الدليل قد يكون كلام الرسول الذي عرف المعتقد قيام المعجزات على يديه تثبت له العلم بخبره بجميع ما يجب ن اعتقاده عن حدوث العالم وثبوت الصانع وغير ذلك اذ خبر من تأيد بالمعجزة من اسباب العلم فكان اعتقاده مبنيا على الدليل الموجب للعلم فانهم يقولون ما ورد الرسل عليهم السلام به من الشرعيات فهو على نوعين احدهما ما يوقف عليه بالعقول ويوصل اليه بالتأمل كمعرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتبريه عن سمات النقص وثبوت النبوات واشباه ذلك ن والنوع الثاني ما ليس في العقول امكان الوقوف عليه ككيفية العبادات وشروط

جوازها واوقات ادائها وتقدير الحدود والكفارات واشباه ذلك

وطبقات الناس اقسام ثلثة **الاول** فرقة موصوفة برجاحة العقول موسومة بجودة الخواطر وحدة الاذهان وهي المتفرغة للتأمل والتفكير والبحث عن الحقائق سمت بهم هممهم الى استخراج ودايع العقول وخزاين الافهام بروموا الوقوف على ما به الفوز لهم بالسعادة الابدية والوصول الى مرضات خالق البرية جل وعلا

والقسم الثاني ايضا فرقة موصوفة برجاحة العقول وجودة الخواطر لكنها مشتغلة باكتساب اسباب المعاش معرضة عن التأمل في المعالم النظرية راضية لنفسها بدرجات البهايم لاقتصار همتها على استحلاب اللذات الحاضرة مقبلة على تكثير الاموال بانواع التجارات وصنوف الزراعات

والثالث موصوفون بغلظ الافهام وبلادة الخواطر

ثم ان الله تعالى ترحم على الناس كافة ببعث الرسل وبيان ما يحتاجون اليه في الدارين فكانت مرحمته تعالى في حق القسم الذي لا يوقف عليه بالعقول باثبات طرايق الوصول في حق طبقات الناس كلهم ومرحمته وتفضله في حق القسم الذي يوقف عليه بالعقول في حق الموصوفين بكمال العقول المتفرغين للبحث عن الحقائق بتسهيل الوصول والتنبيه لكيفية الاستدلال وفي حق الموصوفين بالبلادة باثبات طرايق الوصول وكذى في حق المعرضين عن طلب الحقائق باكتساب الاموال فمن ثبت من هؤلاء في حقه معجزة الرسول بالمشاهدة او بالنقل المتواتر الذي يضاهي المتصل بالمشاهدة كان قول الرسول في حقه طريق الوصول الى ثبوته عنده وان لم يوجد منه الاستدلال العقلي لجعل الله تعالى ذلك الطريق في حقه كجعله دلايل العقول سبيل الوصول

في غيرهم مرحمة منه على هؤلاء الضعفة تخفيفا للمؤنة عنهم وإن
كان في الجملة في أصل عقولهم إمكان الوقوف على ذلك
فمن لم يرض بهذا وشرط الاستدلال العقلي معه فقد
عارض الله تعالى في حكمته ونازعه فيما أنعم به على الضعفة
من عباده من آثار رحمته والدليل على أن الله تعالى جعل قول
الرسول في حق هؤلاء طريق الوصول إلى اعتقاد الصواب وإن
لم يوجد منهم الاستدلال العقلي صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم
وصنيع الخلفاء الراشدين بعده وصنيع جميع أئمة المسلمين
وسلاطينهم إلى يومنا هذا أما صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم
فإنه بعث في الأمة الأمية الخالية عن صناعة الاستدلال
والعلم بشرائطه كانوا يعبدون ما ينحتون ويعتقدون أن
ما نعبده قبلته من الصنم المنحوت من الصخر والخشب شريك لله
تعالى وكانوا يتعجبون من تجريد التوحيد وخلع الأنداد ويقولون
للرسول أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وكانوا يرون
بعث الله من البشر رسولا مستحيلا على ما أخبر الله تعالى عنهم
قالوا أبعث الله بشرا رسولا وكانوا يرون البعث والنشور ممتنعا
حتى قالوا من يحيي العظام وهي رميم ثم إن واحدا منهم إذا عاين
معجزة ناقضة للعادة أو سمع القرآن وعرف وجه إعجازه
لمعرفته بجواهر الكلام وصنوف البلاغة وضروب النظم ثم رأى
القرآن باينا كلا في النظم وفاق جميعها في الفصاحة والبلاغة
فاعترف برسالته وأقر لإخباره بوحدانية الله تعالى وخلع الأنداد
وأعرض عما كان يعتقده من ألوهية الأوثان والأصنام
وآمن بالبعث لمن في القبور من غير امتداد زمان يتمكن فيه
من إجالة الروية والرجوع إلى قضية العقل بالدليل في أسرع
من لمح البصر كان الرسول صلى الله عليه بعده مؤمنا موقنا ولا يشتغل

بتعليمه من الدلائل العقلية في كل مسألة من المسائل الاعتقادية
مقدار ما يصير به مستدلا ولا مقدار ما يناظر الخصوم ويذب
عن حريم الدين ويقدر على حل ما يرد عليه من الإشكالات
ولا بتعليم كيفية تركيب القياسات العقلية وطريق
الالزام والالتزام وكذى الخلفاء الراشدون فإن الصديق
رضي الله عنه قبل إيمان من آمن من أهل الردة من غير
اشتغال بتعليمه إياهم من الدلائل ما يصيرون به مستبصرين
من طريق العقل وكذى عمر رضي الله عنه لما فتح سواد العراق
قبل هو وعماله إيمان من كان بها من الزط والأنباط مع
قلة أذهانهم وبلادة أفهامهم وترجيبة عمرهم في الفلاحة وعمارة
الأراضي وكري الأنهار وكذى قبلوا إيمان غيرهم
من أهل القرى والرساتيق من المجوس وغيرهم مع معرفتهم
بخلوهم عن صناعة الاستدلال لما أنهم رأوهم قد صدقوا
رسولهم بعد ما بلغهم بطريق التواتر ظهور المعجزات على يده
ولو لم يكن ذلك إيمانا لفقد شرطه وهو الاستدلال العقلي
لاشتغلوا بأحد أمرين إما بالإعراض عن قبول إسلامهم فحكموا
ببقائهم على ما كانوا عليه من الكفر وضربوا الجزية على جماجمهم
والخراج على أراضيهم وعاملوهم بمعاملة أهل الذمة وإما
بنصب متكلم حاذق بصير بالأدلة عالم بكيفية المحاجة ليعلمهم
جميعا صناعة الكلام إلى أن يبلغوا في العلم مرتبة ثم بعد
ذلك يحكمون عليهم بالإيمان وعند امتناعهم وامتناع كل
من الأئمة في البلاد أجمع إلى زماننا هذا عن ذلك ظهر أن ما
ذهب إليه الخصوم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
وصحابته وجميع المسلمين وما هذا سبيله فهو باطل تحقق هذا
أن هذا الصنيع من الرسول صلى الله عليه وخلفائه وأئمة أمته

على راي الخصوم داخل في حيز السفه وبقيت على الرسول صلى الله عليه
عهدة التكليف بتعليم نهاية علم الاصول لمن بلغ اليه الرسالة فاذا
فارق الدنيا ولم يفعل ذلك وحكم بايمانهم كان مخطئا في
الحكم بايمانهم مقصرا في اداء ما امر بتبليغه على قول الخصوم
وكل قول هذا عقباه ففساده مما لا يخفى على المجانين فضلا
عن العقلاء وكذى قولهم ان قول الرسول لا يصلح دليلا
لثبوت الصانع وحدوث العالم يفضي الى هذه المعاني المستحيلة
وكل معقول يؤدي الى هذا فهو باطل **واما عامة اهل السنة**
والجماعة من الفقهاء والمتكلمين فانهم قالوا ان هذا الرجل
مامور بالايمان وقد آمن اذ الايمان هو التصديق وقد وجد
منه التصديق فينال الثواب الموعود اذ الثواب ينال بفعل
الله تعالى ووعده فيناله من وعد له سواء لحقته المشقة او لم تلحقه
قال الله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء وقول المعتزلة ان هذا التصديق ليس
بايمان لان ادخال النفس في الامان من ان يكون مكذوبا
او مخدوعا او ملبسا عليه لم يوجد هذا منهم قول باطل لان الايمان
في اللغة عبارة عن التصديق من غير ان يكون ماخوذا من
الامان يقال آمن به وآمن له اي صدقه وان واحدا من
عرض الناس لو اخبر بخبر محتمل فصدقه من لا عهد له به
لم يمتنع احد من اهل اللغة ان يقول آمن له وان لم يعرف دليل
صحته ولم يدخل نفسه في الامان بل يطلقون ذلك لوجود
نفس التصديق منه اياه يدل عليه انه يقال آمنت لفلان
او آمنت به ولو كان هذا ادخال النفس في الامان لا المخبر فينبغي
ان يقول آمنت نفسي لا ان يقول آمنت بفلان فاذا قيل آمنت به

دل انه عبارة عن التصديق **قال سيف الحق ابو المعين**
في اصوله ثم هذه المسألة بيننا وبين الاشعري في حق من نشأ في قطر
من الاقطار النائية او شاهق جبل لم تبلغه الدعوة ولا علم له
بثبوت الملة فشاهده مسلم فدعاه الى الدين وبين له ما يجب
اعتقاده واخبره ان رسولا لنا بلغ هذا الدين عن الله تعالى ودعانا
اليه وقد ظهرت على يده المعجزات الناقضات للعادة فصدقه هذا
الانسان في جميع ذلك واعتقد الدين من غير سابقة تامل وتفكر
هذا هو الذي اختلفوا فيه **فاما اهل دار الاسلام عوامهم**
وخواصهم نسوانهم وصبيانهم العاقلون اهل الامصار والرساتيق
والقرى وسكان الصحاري والبراري فكلهم مؤمنون مسلمون
عارفون بالله تعالى ووحدانيته وغير ذلك لن يخلوا احد منهم عن
ضرب استدلال وان كان لا يهتدي الى العبارة عن دليله ولا
يقدر على دفع الشبهة المعترضة حتى ان واحدا منهم متى عاين هولا من
الاهوال كرعد هايل او هبوب ريح عاصفة او ظلمة راكدة يسبح
للحال ويصف الله تعالى بكمال القدرة ونفاذ المشية وتمام العلم
والحكمة علما منه ان لا تعلق لهذه الانواع الا بقدرته التامة
ومشيته النافذة وهو الذي خلق السموات والارض بلا عمد
ممدودة واطناب مشدودة وجعل فيها الافلاك الدايرة والنجوم
السايرة وخلق الارض وجعل فيها الجبال الراسية وشق فيها الانهار
الجارية على هذا جميع اهل الاسواق والنواحي والقرى والرساتيق
والنسوان والعقلاء من الصبيان فلم يكن بيننا وبين الاشعري
في هؤلاء خلاف وانما الخلاف بيننا وبين المعتزلة على ما تقدم بيانه
القول في انواع الحجج الشرعية الموجبة ذكر القاضي ابو
زيد في كتاب تحديد ادلة الشرع بان الحجج الشرعية الموجبة
للعلم اربع كتاب الله تعالى وخبر رسوله المسموع منه والمروي بالتواتر عنه

والإجماع وطريق ذلك كله واحد وهو خبر الرسول صلى الله عليه لأنا لم نعرف
الكتاب كتاب الله تعالى إلا بخبر الرسول وكذلك الإجماع ما ثبت حجة قاطعة
إلا بالكتاب والسنة والمروي عن النبي صلى الله عليه بالتواتر كالمسموع منه
على ما نبينه كل قسم في بابه فثبت أن مدار الكل على خبر الرسول صلى
الله عليه وخبر الرسول صدق حق لدلالة قامت على أن رسول الله
لا يكون رسولا حتى يكون معصوما عن الكذب وتلك الدلالة هي
قيام المعجزة الخارجة عن وسع الخلائق شاهدة على صدق مدعي الرسالة
إذ الله تعالى قادر حكيم ولا يقيم تلك الدلالة على يدي الكاذب
في دعوى الرسالة وبيان ذلك أنا نعلم أن الله تعالى سامع لما
يقوله هذا المدعي فإذا ادعى الرسالة وقال إن الله تعالى أرسلني
وآية صدقي في دعواي الرسالة أن الله تعالى يفعل كذا وذكر
ما يخرج عن قدرة الخلق في العادات ففعل الله تعالى ذلك
كان ذلك من الله تعالى تصديقا له فيما يدعي من الرسالة بما فعل
من الناقض للعادة فيكون ذلك كقوله صدقت أنت رسولي
وذلك يوجب العلم قطعا ويقينا ثم ظهور مثل ذلك على يدي الكاذب
في دعوى الرسالة ممتنع **قال سيف الحق أبو المعين** في
أصوله إن وجه امتناع ذلك عند جماعة من أئمتنا هو أن قول
المدعي خبر يحتمل الصدق والكذب والنبي والمتنبي في الجوهر
واحد ولا دليل يفرق بينهما إلا المعجزة الناقضة للعادة فلو جاز
ظهورها على يدي الكاذب في دعوى الرسالة لكان فيه التسوية بين
الصادق والكاذب والحق والباطل وسد طريق الوصول إلى الحق
وذا سفه خارج عن الحكمة والله تعالى حكيم يتعالى عن السفه ولهذا
المعنى لم يمتنع ظهور الناقض للعادة على يدي مدعي الربوبية كفرعون
في دعوى الألوهية لنفسه والسامري في دعوى ألوهية العجل
لظهور دلائل كذبه في ذلك لمنافي جوهره من التأليف والتركيب

والتغيير وظهور وجوده بعد أن لم يكن وتقدم غيره على وجوده فلم يكن
في ظهور الناقض سد لطريق الوصول إلى الحق وليس فيه إيجاب
التسوية بين الحق والباطل بخلاف المتنبي فإن قوله خبر
وهو محتمل وليس في شخصه وجوهره ما يدل على كذبه في دعوى
الرسالة ولا فرق بينه وبين الصادق إلا ظهور المعجزة فلذلك
امتنع ظهورها على يدي الكاذب فهذه هي الدلالة على أن رسول
الله لا يكون رسولا حتى يكون معصوما عن الكذب وأكثر المحققين
على هذا القول **وذهب متكلمو أهل الحديث وغيرهم** إلى أن
جهة امتناع ظهور المعجزة على يدي المتنبي أن ظهورها على يديه يوجب
تعجيز الباري عن إقامة الدلالة على صدق الصادق في دعوى
الرسالة وإثبات التفرقة بين الحق والباطل إذ كلما جاز ظهور
الناقض للعادة على يدي النبي جاز مثله على يدي المتنبي وذا
يؤدي إلى تعجيز الباري وتعجيز الباري محال وإذ قد ثبت
هذا نحتاج إلى بيان تحديد الحجج المذكورة فأول ذلك
القول في بيان حد الكتاب وكونه حجة قال
القاضي أبو زيد كتاب الله تعالى ما نقل إلينا بين دفتي المصاحف
على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا لأن ما دون المتواتر من
الأخبار لا يبلغ مرتبة العيان على ما نذكر في تحديد المتواتر فلا
يوجب الإيقان وكتاب الله تعالى ما علم يقينا وأوجب علم
اليقين لأنه أصل الدين وبه ثبتت الرسالة وقامت الحجة
على الضلالة قال الشيخ الإمام العالم الورع ناصر السنة
نجم الملة والدين أيده الله تعالى وفي قوله إنه أصل الدين وبه
ثبتت الرسالة وجهان أحدهما ما ذكر علماء الأصول أن القرآن
متضمن نصا وإيداعا للشريعة بأصولها وفروعها **والثاني** أنه معجز
للخلائق بنظمه الخارج عن جميع أقسام كلام الخلق إذ كلام البشر أقسام منها

الشعر والسجع والخطب والنثر والرسايل فإذا عورض القرآن بساير أقسام
كلام البشر كان نظم القرآن خارجا عن جميع الأنواع وفايق
جميعها في الفصاحة والبلاغة فإذا كان خارجا عن أنواع كلام الخلق
دل أنه كلام الخالق جعله معجزة لإثبات رسالة محمد صلوات الله
عليه وسلامه ولأن الكلام عند الخلق من أسهل الأشياء
عليهم حتى لو أن واحدا في وقت جواز الرسالة ادعى أنه رسول من
عند صانع العالم وقال إن آية صدقي في دعوى الرسالة أنكم
لا تستطيعون أن ترفعوا أيديكم لتمسوا بها رؤوسكم فأرادوا أن يرفعوا
أيديهم ليمسوا بها رؤوسهم فلم يستطيعوا لكان ذلك آية واضحة والكلفة
في رفع الأيدي فوق الكلفة في التكلم ه وقد تحداهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتكلم بمثل سورة مما أتى فعجزوا عن ذلك ه
فكان عجزهم عن ذلك فوق كل عجز في معارضة ساير
آيات الرسل لكنه آية ومعجزة عقلية يدرك كونها معجزة
بالتأمل والنظر بالعقول ثم فيه آيات على إثبات رسالة
نبينا محمد صلوات الله عليه من وجوه كثيرة منها أن فيه قصة
آدم صلوات الله عليه من مبتداء وجوده إلى أن أهبط هو وزوجته
من الجنة وهي آية لرسالة نبينا صلوات الله عليه لأنه ولد من قوم
أميين لا يعرفون الكتب والرسل ولا يؤمنون بهما ولم يختلف
إلى معلم من البشر ومكث بين ظهراني قومه ولم يفارق عشيرته
ولم يكن يحسن أن يقرأ كتابا ولا خط بيمينه وهذه القصة كانت
في الكتب السماوية وهي عند أهل الكتاب بغير لسانه وهو لا
يعرف لسان تلك الكتب ولم يتعلم منهم فأخبر بالقصة على وجهها
بما فيهما من الكلية والجزوية حتى بالشجرة التي امتحنا بها وحتى
بقوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة على وجه لم يقدر أهل
الكتاب على رد شيء منها فكان دلالة ظاهرة على أنه علم ذلك بالله تعالى

بالوحي السماوي ه وهكذا ذكر قصة نوح ومدة لبثه في قومه
وهلاك قومه بالتكذيب والعناد بما تضمنت من الكلية والجزوية
وكذا كل قصة ذكرت فيه من قصص الأنبياء المتقدمة ه
والأمم السالفة والكتب المنزلة فهي آية على رسالته ومنها ما
تضمن القرآن من الإخبار عما سيوجد في زمن رسالته
كإخباره عن غلبة الروم فارس في بضع سنين وكإخباره
بقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر ه وإخباره بفتح
مكة ه وما تضمن من الإخبار بالفتوحات واستخلاف
الذين آمنوا به بعد وفاته وظهور دينه فتحقق كل ذلك على ما
أخبر وأما وجه تضمنه للشريعة فإن ساير معجزات
الأنبياء صلوات الله عليهم لم تكن متضمنة لشرايعهم بل كانت مقصورة
على كونها آيات على إثبات رسالاتهم والقرآن مع كونه معجزة
أعجز الإنس والجن عن إتيان مثل سورة منه هو متضمن لأصول
الدين من التوحيد والإيمان والمعرفة والشرايع والأحكام والحدود
وأحكام ساير ما يقع ويحدث من الحوادث إلى يوم القيمة
إبداعا وهذه الوجوه من كتاب التأويلات لإمام الهدى ه
أبي منصور وكتاب تجريد أدلة الشرع • فإن قيل إن
كون كتاب الله معجزا بالنظم دليل على أنه من الله عز وجل فلم
شرطتم النقل المتواتر فقد أجاب أبو زيد عن هذا
فقال إن كل آية منه ليست بمعجزة يعني لم يقع التحدي
بكل آية منه لما قد يكون بعض الآي قصيرة وهي محتجة قطعا
فلا يثبت كونها من الكتاب إلا بالسماع من الرسول صلى الله عليه
وسلم أو نقل عنه بالتواتر فإن قيل فإذا الدليل على القرآن النقل
المتواتر لا ذوات المصاحف أجاب عنه أبو زيد فقال
إن الصحابة رضي الله عنهم ضموا المصاحف إلى القلوب مبالغة في

حفظ القرآن فأثبتوه في المصاحف بعد القلوب ليصونوه عن
النقصان والزيادة حتى كرهوا التعاشير وأمروا بالتجريد فأثبتوا
فيها ما تواتر إليهم نقله وأطبق عليه أهله وشهدت به نسخة رسول
الله صلى الله عليه ونظمه **وأما الكلام في أن القرآن حجة**
فلأنه كلام الله تعالى وقد ثبت أن الله تعالى لا يتكلم بالباطل
لأنه عالم فلا يجوز عليه الجهل وحكيم فلا يجوز عليه السفه
وصادق فلا يجوز عليه الكذب **القول في تحديد**
المتواتر وكونه حجة قال أبو زيد في كتاب تحديد أدلة
الشرع اختلفت العبارات في حد المتواتر والمختار عندنا ما تواتر نقله
أي اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه بتتابع النقل يقال تواترت
الكتب أي اتصل بعضها ببعض بتتابع الورود ولا تثبت حقيقة
الاتصال حتى ترتفع شبهة الانفصال وهو أن يتصل بك عن رسول
الله صلى الله عليه اتصالا لا تبقى لك فيه شبهة كأنك سمعته من رسول
الله صلى الله عليه شفاها وذلك بأن ينقله إليك قوم لا يتوهم في العادات
منهم التواطي على الكذب لكثرتهم وبعد أماكنهم عن قوم مثلهم حتى
يكون أوله كآخره وأوسطه كطرفيه وحكمه أن يوجب
العلم يقينا كما يكون بالسماع كذا ذكره أبو زيد **وذكر**
بعض المشايخ في أصوله في حد المتواتر أنه كعدد نقلة القرآن
والصلوات الخمس وغسل الجنابة وهذا في معنى الحد الأول
وذكر أبو زيد في فصل أقسام الصحيح من الأخبار عقيب
ذكره حد المتواتر فقال وحكمه أنه يوجب العلم يقينا
وذكر فيمن زعم أن المتواتر لا يوجب العلم يقينا بأنه يكون
قد زعم أنه لم يعرف رسولا من الرسل ولا عرف كتاب الله تعالى ولا
عرف أباه ولا أمه قال لأنه ما يوصل إلى علمهم إلا بالخبر
ثم قال ومن قال هذا فقد أبطل دينه قبل كل شيء ثم أبطل

ابو زيد

عقله لأنا إذا رجعنا إلى قلوبنا التي هي معدن المعرفة وجدناها عارفة
بالآباء والأمهات عن خبر متواتر مثل معرفتنا بالبنين والبنات عن
عيان ووجدناها تعرف أيضا أنهم مولودون عن أصول كما تعرف
أنهم يلدون فروعا ويعرف كل مسلم جهة مكة بالخبر المتواتر كما يعرف
جهة بيته بالعيان وهذا كما عرفنا الله تعالى محدثا للعالم بالاستدلال
كما نعرف أولادنا حادثة بالعيان فيصير إنكاره بعد ثبوت حد المعرفة
على الحقيقة كمن أنكر العيان ولأن الله تعالى خلق الخلق أطوارا
على همم شتى وطبايع متباينة فصارت بحكم الجبلة عللا باعثة على
حسب اختلافها فلا يصدر منهم فعل أو قول على سنن واحد بل يكون
الحدوث على اختلاف بحسب هممهم وهوى نفوسهم لأن الحوادث عن
علل مختلفة لا بد أن تكون مختلفة فلما أخبروا خبرا
واحدا علم أن الأخبار لم يكن من قبل اختراعهم بل عن أصل جمعهم على
ذلك وذلك سماع اتبعوه أو اتفاق صنعوه فلو كان اتفاقا صنعوه
لم يتصور انكتام ذلك التواطي مع اختلاف هممهم وكثرة عددهم وبعد
أمكنتهم في العادات الجارية بين الخلق فلما لم يظهر التواطي انقطع
توهم الاتفاق تواضعا **تحقق السماع** ولأن انكتام التواطي
من جماعة كثيرة نادر خارج عن العادات فلا يتوهم كتمان
الاتفاق بعد مرور الزمان من جمع عظيم ولأن الإنسان قد يتعذر
عليه كتمان سره في نفسه فيفشيه إلى صديق له ثم يضيق عنه صدر
صديقه فيفشيه إلى ثالث فيصير السر فاشيا فلا يتوهم المواضعة
من الجمع على امتداد المدة وفي الجمع المؤمنون والمنافقون
والجواسيس لأهل الكفر فبطل توهم الاتفاق تواضعا لعدم تصور
الانكتام في العادات فصار المتواتر موجبا للعلم كالآية الناقضة
للعادات حيث صارت حجة موجبة للعلم لخروجها عن وسع
الخلق على نقض العادة ولهذا قال العلماء إن من جحد ما ثبت بالسنة

المتواترة يصير كأنه كما لو ورد على النبي صلى الله عليه مواجهة. وذكر
أبو المعين النسفي في أصوله بأن لزوم المعجزات للخلق بالخبر
المتواتر كلزومها إياهم بالمشاهدة فقال إن المعجزات الناقضات
للعادات كخروج الناقة من الصخر لصالح عليه السلام وصيرورة
النار بردا وسلاما لإبراهيم عليه السلام وقلب العصا حية لحما ودما
تلقف حبال السحرة وعصيهم لموسى عليه السلام وتسخير
الريح والجن والشياطين لسليمان عليه السلام وتسبيح الجبال
وإلانة الحديد من غير آلة ومباشرة النار لداود عليه السلام
وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام وحنين الأسطوانة وشكاية
الناقة وكلام الشاة المشوية وانشقاق القمر ونبع الماء من بين
الأصابع لنبينا محمد صلوات الله عليه آيات على ثبوت رسالتهم
ويثبت ذلك لأهل زمانهم بالمشاهدة ولمن بعدهم بالخبر المتواتر
الذي يوجب العلم قطعا ويقينا كما يثبت العلم بالبلدان النائية
كمكة والمدينة ومصر عن الخبر المتواتر مثل ما يحصل العلم
بها لمن رآها عيانا وكذا ثبت العلم بالملوك الماضين
كسليمان وذي القرنين والقياصرة والأكاسرة عن
الخبر يقينا كما ثبت العلم بهم لمن رآهم عيانا فكذلك يثبت العلم
بمعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم عن الخبر يقينا كما ثبت العلم
بها لمن شاهدها عيانا

القول في التفرقة بين الحجة والشبهة والمعجزة والمخرقة من أصول سيف الحق وغيره

فنقول وبالله التوفيق إن الفرق بين المعجزة والمخرقة
هو أن الشعبذة والمخرقة شبهة وهي تزداد ضعفا واضمحلالا
وتلاشيا عند البحث عنها والتأمل فيها لأن المخرقة تمويه
محض والشعبذة مبنية على شغل أعين الناظرين بشيء وإخراج غيره

وأما الحجة فهي اسم مأخوذ من حج إذا غلب يقال حاججته
فحججته أي غلبته أي ألزمته بالحجة حتى صار مغلوبا حتى
قال الله تعالى في غلبة حجة موسى فرعون وقومه فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين فسميت الحجة حجة لأن حق الله
تعالى يلزم العباد بها وتجعلهم مغلوبين في المناظرة مع الله عز
وجل بانقطاع العذر بها وكذلك البينة والبرهان في معنى الحجة
فقيل البرهان مقلوب بهر يقال بهر إذا ظهر وكذلك البينة
وهي مأخوذة من البيان قال الله تعالى فيه آيات بينات
أي ظاهرة وهذا لأن الحجة إنما يجب العمل بها إذا ظهر
للقلب وجه الإلزام منها فإن ظهر من كل وجه أوجب
العلم والعمل جميعا كما في المعجزات والخبر المتواتر يوجب
التصديق بالقلب والانقياد بالبدن وإن ظهر من وجه
دون وجه أوجب العمل كما في خبر الواحد والقياس وأما
الآية فاسم على الإطلاق لما أوجب علم اليقين ولذلك
سميت معجزات الرسل آيات قال الله تعالى ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات وهي المعجزات وتفسيرها لغة العلامة
قال الله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم أي علامات
فالمعجزة توجب علم اليقين بنبوة الرسل بواسطة التأمل
وترك الإعراض عن النظر فيها وإنما جهل من جهل بعد ظهور
آيات الرسل بترك التأمل ولم يعذر بالترك لأن العقل
مما يلزمه التأمل فيها لأنه حجة من حجج الله تعالى وهي
تتعاضد ولا تتضاد ولو كانت الحجج موجبة للعلم جبرا لما تعلق
بها ثواب ولا عقاب فالمعجزة رأس الحجج وهي تزداد عند
البحث والتأمل إيضاحا واستنارة وقوة وكادة وعلى مر
الأيام ثباتا وأودا وأما المخرقة شبهة وهي تزداد عند التأمل فيها

والبحث عنها ضعفا ووهنا لا شبئا ولذلك ظهر عمل الحجة في سحرة
فرعون حيث كانوا عالمين بالشبهة وهي ما أتوا به من السحر
أن حبالهم وعصيهم كانت تخيل للناس بسحرهم أنها تسعى
وهم يعلمون أنها حبال وعصي حقيقة لم تحدث في ذواتها أثر
التقليب عن حقيقتها فلما ألقى موسى عصاه بأمر الله تعالى إياه
بالإلقاء صارت ثعبانا لحما ودما تلقف ما كانوا يأفكون أي
ابتلعت حبالهم وعصيهم فلم تر بعد الابتلاع فلما رأوا ذلك
أثر ظهور الحجة فيهم فلم يستطيعوا القيام على أقدامهم لعظيم عمل
الحجة في قلوبهم فوقعوا ساجدين كأنهم ألقوا جبرا وقسرا
لعظيم ظهور آية الحق وعلامة الصدق وقالوا آمنا برب
العالمين لأنهم ميزوا بين الحجة والشبهة وكانوا أعرف بذلك
من غيرهم فحين عاينوا انقلاب عصى موسى صلوات الله عليه حية
ثعبانا لحما ودما علموا أن ذلك صنع رب العالمين خارج عن
مقدور العالم فقالوا آمنا برب العالمين وعلى هذا جميع آيات
الرسل صلوات الله عليهم على الثبات والوضوح ولذلك يكون
المعرض عنها معاندا مكابرا حيث علم وكابر **قال**
سيف الحق ولو ادعى أحد من المشعبذة والسحرة النبوة
وأراد إظهار ما هو ناقض للعادة ليكون دلالة على صدق مقالته
لأعجزه الله تعالى عن ذلك وأبطل سحره وكيده في الحال صيانة
للحجج عن أن يعارضها باطل أو يقاومها فاسد

القول في تحديد الإجماع
وكونه حجة من هذه الأمة شرعا

قال القاضي أبو زيد إجماع هذه الأمة حجة موجبة للعلم
شرعا كرامة على الدين الحق وإنما قلنا شرعا لأن المجوس اجتمعت
على أشياء كانت باطلة وكذلك النصارى واليهود وسائر الكفرة وهم أكثر

منا عددا لأن كون الإجماع حجة ليس لعينه بل لمعنى في أهله وهو
كون أهله على دين قامت الحجج والدلائل على حقيته وهو دين الإسلام
إذ الإسلام جعل العبد نفسه مع جميع أقسام العالم ملكا لله تعالى
لا يجعل لغيره فيها شركة إذ البرهان القطعي قام على ذلك
من كل وجه وبيان ذلك أن التغيير والتسخير والتأليف
والتركيب معاين مشاهد في العالم فدلت هذه الأدلة على كونه
محدثا إذ ذات ما لا يقتضي تغيير نفسه ولا زواله فدل أن ذلك
بفعل الغير فكان العالم محدثا لا قديما لأن القديم لا يتغير وكذلك
التأليف لا يكون إلا بمؤلف والتركيب لا يكون إلا بمركب فثبت
أن العالم محدث مصنوع وله صانع صنعه ومحدث أحدثه ثم لا
يجوز أن يكون الصانع عددا إذ لو كان عددا لوقع التدافع
والتمانع بينهما طلبا للكمال إذ الناقص لا يصلح أن يكون إلها
وفي التدافع تعطل المصنوع عن الوجود لأن أحدهما إذا أراد إيجاد
العالم وأراد الآخر منعه عن ذلك طلبا للكمال فلا يتصور
أن تنفذ إرادتهما جميعا معا إذ لا واسطة بين الوجود والعدم
وفي القول بالتساعد بطلا لأنهما جميعا للزوم الحاجة إلى التساعد
وذلك نقص والناقص لا يصلح إلها وفي التمانع تعطل الوجود
حتى يظهر الغالب منهما فلما تحقق وجود العالم ثبت وحدانية
الصانع جلت عظمته وثبت براءته عن الحاجات إلى الصاحبة والولد
والشريك فالمجوس أثبتوا للعالم صانعين واليهود وصفته بالولد
وأنه على صورة البشر وهذا وصف بالحاجة وسمة الحدث والمحتاج
ناقص والناقص لا يصلح أن يكون إلها وصانع العالم كامل وكذلك
النصارى وصفته بالولد والصاحبة والشريك وكذلك سائر الكفرة
وصفته بما لا يليق به فكان إجماعهم في أصل الدين على باطل فانعدم
فيهم أهلية الإجماع وشرط صحته فسقط اعتبار الإجماع منهم

وأما هذه الأمة فقد دانوا بالدين الذي قامت على حقيته
البراهين والحجج فإنهم أثبتوا وحدانية الصانع عز ذكره وشهدوا
بتعاليه عن حاجة الولد والصاحبة والشريك وعن ساير
معاني الخلق وصدقوا بجميع الكتب السماوية وبجميع الأنبياء ن
والرسل وبمجدانهم إذ التكذيب بواحد منهم تكذيب للكل والرد
لمعجزة واحد منهم رد على الله تعالى فيخرج من الدين الذي
أمر الله عباده فدل أن إجماعنا جعل حجة شرعا كرامة للدين
وذلك لقول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور أخبر أنه يخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والباطل
إلى نور الإيمان والحق ن ولو جاز إجماعهم على باطل لكانوا
في ظلمته فيكون خلاف ما أخبر الله تعالى وإنه ممتنع وقال
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وكلمة خير بمعنى أفعل فتدل على نهاية الخيرية
ونفس الخيرية في كينونة العبد مع الحق والنهاية في كينونته
مع الحق على الحقيقة فدل صفة الخيرية التي بمعنى أفعل على أنهم
مصيبون لا محالة الحق الذي هو حق عند الله تعالى إذا أجمعوا
على شيء وأن ذلك الحق لا يعدو أقوالهم إذا اختلفوا وكذلك
قوله تأمرون بالمعروف يتناول ما كان معروفا عند الله وكذلك
قوله وتنهون عن المنكر يتناول ما كان منكرا عنده تعالى بدليل
قوله كنتم خير أمة حيث أخبر أنهم كانوا خيرا بهذه الصفة
وهو إصابة المعروف المطلق ظاهرا وباطنا إذا أمروا وكذلك
إذا نهوا عن المنكر أن يكون ما نهوا عنه منكرا ظاهرا وباطنا
لا ما يكون معروفا ومنكرا في رأي المجتهد حالة الانفراد فإنه
قد يجوز أن لا يصيب ما هو عند الله لأن الدليل الموجب لإصابة
ما هو حق عند الله تناول جماعتهم فبقي الواحد تحت الاحتمال

فإن قيل معنى قوله تأمرون أي يأمر كل واحد منكم والواحد
منهم يجوز أن لا يكون مصيبا قلنا نعم فيجب إذا أمر كل
واحد منهم ~~يجوز أن لا يكون مصيبا~~ بمعروف أن يكون المعروف المطلق
في جملة ما أمروا وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا والوسط
هو العدل وإجماع العدول حجة ولأن الوسط في اللغة من يرتضي
بقوله قال الله تعالى قال أوسطهم أي أرضاهم قولا ومطلق
الارتضاء في إصابة الحق عند الله تعالى وقال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس والشاهد اسم لمن ينطق عن علم ولمن يكون قوله
حجة فدل النص على أن لهم علما على الناس من أحكام الله وأن أقوالهم
حجة بحق الله تعالى ولا تثبت الحجة في حقه على جهله إلا ما
أوجب العلم قطعا وكذلك خبر الله تعالى عن علمهم لا يقع إلا على
الحقيقة لأن الله تعالى شبه شهادتنا على الناس بشهادة الرسول
علينا بقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وشهادة الرسول موجبة
للعلم فكذلك شهادتنا ولأن شهادتنا لو لم تكن موجبة علما يقينا
لصارت كشهادة غيرنا بآرائهم فلا تبقى حجة فدل أن شهادتنا
موجبة للعلم فإن قيل إن الآية وردت في أمور الآخرة
قلنا لا تفصيل في الآية بين أحكام الدنيا والآخرة ولأن
شهادة الآخرة شهادة أداء ليحكم بها بما علمنا في الدنيا ولو لم تكن
شهادتنا موجبة للعلم لما طلب للقضاء بها والقاضي علام الغيوب
لا يقضي إلا بالثابت حقا ن ومتى احتمل علمنا الخطأ في الدنيا
لم تكن شهادة موجبة ن وقال تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم ن ولو جاز إجماعهم على الضلالة لما كان مخالفتهم
نظير المشاقة الرسول فلما جعل مخالفتهم أحد شطري استيجاب
النار علم أنه مثل الشطر الآخر وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير

واحد إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلال ○ وجاء الوعيد في
مخالفة الجماعة وهو قوله صلى الله عليه من فارق الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه **القول في تحديد الإجماع**
قال أبو زيد حد الإجماع الذي هو حجة إجماع علماء عصر
من أهل العدالة والاجتهاد على علم ○ ثم ثبوت الإجماع
منهم قد يكون بنص الكل عليه وقد يكون بنص بعضهم وسكوت
الباقين ○ ثم حد السكوت الذي هو حجة السكوت عند
عرض الفتوى عليهم أو عند اشتهار الفتوى في الناس من غير
ظهور رد أحد من أقران المجتهدين ○ وذلك لأنه إذا
كان الحكم عنده بخلاف ما سمع لم يسعه السكوت عن ذكره
لأن تغيير المنكر واجب وقد وصفوا بذلك بقوله تعالى
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيدل حاله على سكوت تحل
وذلك إذا كان المسموع حقا هذا إذا دام على السكوت إلى مدة
تنقضي في مثلها الحاجة إلى النظر لإصابة الحق لأن نفس
السكوت قد يكون للنظر وطلب الصواب ولا عبرة بقلة العلماء
وكثرتهم ولا الثبات على ذلك حتى يموتوا **ولا عبرة بمخالفة**
الذين لا رأي لهم في الباب **ولا عبرة بخلاف العامة**
المتهمين بالهوى فيما خالفونا فيما نسبوا به إلى الهوى لأنه لا ينسب
إلى الهوى إلا إذا خالف فيما يجب الفتوى به بدليل يوجب العلم
يقينا فيصير خلافه ذلك الدليل برأيه ساقطا لأنه نصا يروى
له فيصير هوى **أما الإجماع من الكل نصا** فلا إشكال في
كونه حجة موجبة للعلم للدلائل التي جعلت الإجماع حجة
وأما كونه حجة إذا نص بعضهم وسكت الباقون
فلأن السامع ما يحل له السكوت عن بيان الحق إذا علمه في
خلافه فتدل عدالته على أن سكوته على سبيل تحل له وهو في كون

المسموع حقا **وإنما شرطنا** مدة التأمل لدرك الحق لأن الحق
لا يدرك بالاجتهاد إلا بعد نظر في أشباه الحادثة وتمييز الأشبه من
من الجملة ولا بد لهذا من مدة ثم المدة لمثله في العادات لا
تمتد إلى الموت بل إلى حين يتبين له الوجه فيه إما على
الموافقة فلا يلزمه النطق به فسكوته عن الرد دليل الوفاق
أو على المخالفة فيرده لأن رد الباطل واجب ○ وفي حمل
سكوته على المخالفة تفسيقه وذلك حرام فوجب حمله على
سكوت تحل أو تعارض عليه الأشباه فيلزمه الفتوى بأي
الأشباه كان فيصير سكوته فتوى بما ظهر من الأول
ولا يشترط لصحة الإجماع الثبات على الفتوى منهم ما
لم يموتوا لما ثبت أن الحق لا يعدو إجماعهم فيعلم يقينا بعد الإجماع
إصابتهم الحق بعينه ولا يجوز بعد ذلك من واحد منهم ولا من جماعتهم
خلافه كما لا يسعهم خلاف كتاب الله تعالى ولا يجوز حمل سكوت
من سكت على المهابة منهم لأنهم أهل العدالة والانقياد للحق
وما روي عن ابن عباس حين قيل له في إنكاره العول في
الفرائض هلا ذكرت حجتك لعمر فقال مهابة لا يصح هذا
عنه عندنا لأن عمر كان يقدمه ويستحسن اجتهاده وعمر
كان ألين للحق من غيره وكان يحرضهم على القول له ويقول
لا خير فيكم ما لم تقولوا ولا خير في ما لم أسمع وتأويل قوله مهابة
إن صح عنه أن يكون هابه لسبقه عليه في الدين والفقه والرأي
فمنعته عن المبالغة في المناظرة لا أنه سكت عن نفس الرد
فيكون سكوته تسليما هذا كله من كتاب تحديد أدلة الشرع ه
القول في أقسام الإجماع قال أبو زيد أقسام
الإجماع أربعة إجماع الصحابة نصا وإجماعهم بنص البعض وسكوت
الباقين وإجماع أهل عصر بعدهم على حكم لم يتقدمهم فيه قول

واجماعهم على احد اقوال اختلف فيها السلف **ومن الناس من قال** لا اجماع لمن بعد الصحابة **ومنهم من قال** لا اجماع الا لاهل المدينة **ومنهم من قال** لا اجماع الا لعترة الرسول صلى الله عليه لان الامام منهم والامام معصوم عن الكذب **ومنهم من قال** لا اجماع اذا كان في السلف من خالفهم **قاله** ابو زيد والصحيح هو القول الاول لان الدلايل التي جعلت الاجماع حجة لم تخص قوما بنسب ولا مكان ولا قرن والاقوال الاربعة الاخيرة مهجورة **وقد حكى مشايخنا** عن محمد بن الحسن نصا ان اجماع اهل كل عصر حجة الا انه على مراتب اربع فالاقوى اجماع الصحابة نصا لانه لا خلاف فيه بين الامة لان العترة يكونون فيهم وكذلك اهل المدينة **ثم الذي ثبت** بنص بعضهم وسكوت الباقين لان السكوت في الدلالة على التقرير دون النص ه ثم اجماع من بعد الصحابة على حكم لم يظهر فيه قول ممن سبقهم لان الصحابة كانوا خلفاء الرسول صلى الله عليه ومن بعدهم كانوا خلفاء الصحابة فيقع بينهم وبين خلفهم من التفاوت قدر ما يقع بينهم وبين الرسول صلى الله عليه **ثم اجماعهم على حكم سبقهم** فيه مخالف لان هذا فصل اختلف فيه الفقهاء **قال** الشيخ الامام العالم ناصر السنة محيي الامة ابو الفضايل نجم الملة والدين ايده الله تعالى وانما قدمنا ذكر اصول الحجج الموجبة للعلم على هذا الترتيب لان العقايد لا تبتني الا على ادلة توجب علم الشهادة اذ الاعتقاد شهادة بتحقيق ما وقع عليه عقد القلب وليعلم ان اهل الحق بنوا عقايدهم على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة وقد سبق في صدر الكتاب ذكر بعض الايمة الاعلام ممن شرح كتاب العقايد

سماه بالسواد الاعظم وهم الصحابة والتابعون وان بعضهم سماه كتاب العقايد وبيان السنة والجماعة **وهذا هو كتاب العقايد الذي تقدم الوعد بشرحه فنبدا بتوفيق الله ومنه بذكر فصوله على سياق اصله ثم بشرح كلمات فصوله على نسقه ومنواله ان شاء الله تعالى** واصل شرحه على الاختصار للامام القاضي اقضى القضاة ابي حفص عمر بن ابي بكر بن محمد الغزنوي رحمه الله ه وقد ذكر الامام سيف الحق النسفي في اصوله في الابانة عن جلالة قدر هذا الكتاب والكشف عن علو رتبة راويه وتبحره في علوم الملة **فقال** ان ابا جعفر الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الامة على العموم وعلى علوم اصحاب ابي حنيفة على الخصوص **ذكر في كتاب العقايد الذي افتتحه فقال** صح عندي مذهب فقهاء الملة ابي حنيفة النعمن بن ثابت وابي يوسف يعقوب ابن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون به رب العالمين **ثم شرع في ذكر اقاويلهم فقال** نقول في توحيد الله تعالى معتقدين بتوفيق الله تعالى ه ان الله تعالى واحد لا شريك له ه ولا شيء مثله ه ولا شيء يعجزه ه ولا اله غيره ه قديم بلا ابتداء ه دايم بلا انتهاء ه لا يفنى ولا يبيد ه ولا يكون الا ما يريد ه لا تبلغه الاوهام ولا تدركه الافهام ه ولا يشبهه الانام ه حي لا يموت ه قيوم لا ينام ه خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة ه مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة ه ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيا لم يكن قبلهم من صفته ه وكما كان بصفاته ازليا كذلك لا يزال عليها ابديا ه ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ه ولا باحداثه البرية استفاد اسم الباري

له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، كما
أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك
استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك بأنه على كل شيء قدير ،
وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ،
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، خلق الخلق بعلمه وقدر
لهم أقدارا ، وضرب لهم آجالا ، لم يخف عليه شيء من أفعالهم
قبل أن خلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وأمرهم
بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته
ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان ،
وما لم يشأ لم يكن ، يهدي من يشاء ويعافي من يشاء فضلا ، ويضل (ويعصم)
من يشاء ويخذل ويبتلي من يشاء عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشيئته
بين فضله وعدله ، وهو متعال عن الأضداد والأنداد ، لا راد
لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله ،
وأيقنا أن كلا من عنده **أما قول الطحاوي** في افتتاح
العقائد هذا ذكر بيان السنة والجماعة فإنما قال ذلك ،
لقوله تعالى لنبيه صلوات الله عليه قل هذه سبيلي أدعو إلى
الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فالسنة عبارة عن الطريقة والملة
التي أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه بالكون عليها وعلى حقيتها
قامت الحجج الواضحات والبراهين القاطعات وذلك معنى قوله
تعالى على بصيرة ، أي أنا على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان
وأما قوله رحمه الله والجماعة فهم الذين اتبعوه على
ملته ودانوا بها ودعوا سائر الأمم إليها حتى صار إجماعهم حجة
من حجج الله تعالى موجبة للعلم قطعا **وأما قول فقهاء الملة رحمهم
الله نقول** في توحيد الله تعالى ، معتقدين بتوفيق الله تعالى
فإنما قالوا بتوفيق الله لأن الوصول إلى توحيد الله يكون بتوفيق الله

وهدايته وهو مذهب أهل السنة والجماعة على ما قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي في توفيقنا وهدايتنا وقال تعالى يهدي
الله لنوره من يشاء **وأما قولهم** معتقدين فإنما قالوا ذلك نفيا للنفاق
وتحقيقا للإيمان إذ الإيمان هو التصديق والاعتقاد وذلك
يكون بالقلب قال الله تعالى فيمن أقر باللسان دون القلب
قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم **وأما قولهم** نقول في توحيد
الله تعالى فإنما ابتدؤا بالتوحيد لأنه أول خطاب يجب على
المكلفين وإليه دعت الأنبياء والرسل عليهم السلام وبه نزلت
الكتب السماوية وبه شهد خلقة أقسام العالم بالدلايل المنصوبة
فيها **أما دعوة الرسل عليهم السلام** فإن الأنبياء والرسل
الذين قامت على أيديهم المعجزات الخارجة عن وسع الخلايق
كصيرورة النار بردا وسلاما على ابرهيم وانقلاب العصا ثعبانا يسعى
ويتلقف على يدي موسى وتسخير الريح والجن والشياطين والطيور
لسليمان وتسبيح الجبال وإلانة الحديد لداود وخروج الناقة ،
من الصخر لصالح ، وإحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر
ونبع الماء من بين الأصابع وكلام الشاة المشوية وشهادة الضب
والذيب ، وتسبيح الحصا في الكف لمحمد صلوات الله عليهم فهؤلاء
وغيرهم من الأنبياء كلهم دعوا إلى توحيد الله تعالى قال الله
تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا
أنا فاعبدون ، أخبر الله تعالى أنه لم يرسل رسولا من قبل رسوله
محمد صلوات الله عليه إلا بتجريد الألوهية والوحدانية له وقال
تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده
أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون **قال المفسرون**
الروح الرسالة والنبوة والكتب المنزلة سمى هذه الأشياء روحا لأنه
تحصل بها حيوة الدين **وقوله** أن أنذروا فيه إضمار أي

أنذروا وقولوا إنه قال لا إله إلا أنا فاتقون ن وهذا إخبار أنه
بعث الأنبيا والرسل داعين إلى تجريد الألوهية والوحدانية
لله تعالى وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت **قال أبو منصور الماتريدي** فيه
إضمار كأنه قال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقلنا لهم قولوا
أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، وعلى ذلك بعث الأنبياء
والرسل جميعا إلى أقوامهم بالدعاء إلى توحيد الله تعالى وجعل العبادة
له وبالنهي عن عبادة غيره وقال تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى
قومه أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره **قال المفسرون** ن
معناه أي وحدوا الله لأن العبادة لا تصح إلا بالتوحيد **قال**
الإمام أبو منصور قوله ما لكم من إله غيره أي ما لكم من إله
تثبت ألوهيته وربوبيته بالدلايل والحجج والبراهين غيره
ثم قال تعالى فكذبوه فأنجيناه والذين معه يعني أنجينا نوحا
والذين آمنوا به واتبعوه ن ثم أخبر تعالى ما فعل بالمكذبين
فقال وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا وهي حجج الله تعالى على
الوحدانية والألوهية وحجج الرسالة **ثم ذكر رسالة هود وصالح**
ولوط وشعيب وموسى في هذه السورة ودعوتهم إلى التوحيد
وذكر هلاك المكذبين بالتوحيد والرسالة وذكر تعالى في
رسالة محمد لدعوة الناس إلى التوحيد فقال قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو
يحيي ويميت **قال إمام الهدى أبو منصور** في هذا النص حجة
قاطعة أن رسول الله محمدا صلى الله عليه كان مبعوثا إلى الناس كافة
وكذلك المتواتر عنه أنه قال بعثت إلى الناس كافة وفي الآية
أنه لما خاطب الله تعالى رسوله أن يقول إني رسول الله إليكم جميعا
وأنه لا سبيل له إلى أن يخاطب جميع الناس بنفسه كان ذلك على ما في

وسعه وطاقته وهو أن يبعث الرسل إليهم فيقول إنه رسول الله
إليكم فخاطب صلى الله عليه من حضر بنفسه ودعاهم إلى توحيد الله وعبادته
وأرسل إلى من بعد عنه الرسل والكتب يدعوهم إلى توحيد الله تعالى
وعبادته وترك عبادة غيره فانتشر ذلك بتبليغ الرسل وبلوغ
الكتب وصار صلى الله عليه بذلك مبلغا وقد استقبل صلى الله عليه
بالدعوة الجبابرة والفراعنة وقال لعمه أبي طالب قل معي كلمة
أحاج لك بها عند الله عز وجل وهي كلمة لا إله إلا الله وقال
لكفار قريش أريد منكم كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي
إليكم بها العجم الجزية قالوا ما هي فقال قولوا لا إله إلا الله فقال
أبو جهل والفراعنة أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب
وتواتر عنه صلى الله عليه أنه قال أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها **وأما دعوة الكتب السماوية** إلى
التوحيد فإن الله عز وجل أرسل إلى خلقه رسلا وأنزل
عليهم صحفا وكتبا سماوية كالتورية والإنجيل والزبور ن
وكصحف إبرهيم ونحوها وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه
وكلها تدعوا إلى توحيد رب العالمين وعبادته وقد افتتح الله
عز وجل كتابه الذي أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل
سورة منه بالتوحيد فقال الحمد لله رب العالمين أخبر أنه
رب العالمين **قال إمام الهدى أبو منصور** في معنى
الرب ثلثة أوجه الإله والمالك والمربي لكل شيء على ما يليق
بذلك ن والعالم اسم لجميع المكونات وأثبت لنفسه الوحدانية
في كونه رب العالمين ويدخل تحت لفظ العالمين كل عالم
يتجدد على حسب تجدد الزمان فكان المراد عالم كل زمان
تقدم وعالم كل زمان تأخر فلذلك ذكر العالمين مع كون لفظ

العالم اسمًا لجميع المحدثات **وذكر في ثانية سورة من كتابه**
المعجز فقال وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم
وهذا خطاب لكافة المكلفين بالوحدانية وتجريد
الألوهية ففي قوله وإلهكم إله واحد إثبات الوهية إله واحد
وفي قوله لا إله إلا هو نفي الألوهية عما سواه **وذكر**
في ثالثة سورة من كتابه تجريد الألوهية والتوحيد
لنفسه وأن كتبه السماوية متفقة على ذلك فقال
الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ۝
مصدقا لما بين يديه أي نزله موافقا مصدقا لما بين يديه
من الكتب المنزلة من التورية والإنجيل والزبور والصحف
ولا شك ولا ريب أن أول ما يصدق بعضها بعضا في التوحيد
والأسماء والصفات ثم في الوعد والوعيد والثواب والعقاب
والانبا والقصص ثم في حقيقة الرفع والابقاء في الشرعيات
على ما أحاط به علمه تعالى في الأزل واقتضاه حكمته البالغة
في مصالح عباده فثبت اتفاق جميع الكتب السماوية على كون
التوحيد أول فرض يلزم العباد وقال في إبطال تسمية
غيره بالألوهية إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما
أنزل الله بها من سلطان أخبر أنه ما أنزل بتسمية
شيء سواه إلها مما عبدوا من دونه حجة ولا برهانا وقال
تعالى لرسوله قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار
قال إمام الهدى أبو منصور أمره أن يقول لهم
إنما أنا منذر أنذركم وأبلغ إليكم أن كل ما عبد دونه فليس
بإله إنما الإله هو الله هو الواحد القهار الذي ظهر آثار قهره
في كل الخلائق وقال الله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أخبر أن

آيات الكتاب المنزل على رسوله صلى الله عليه قسمان محكمات
هن أصل الكتاب يجب اتباعها دعوة إليها واعتقادا إياها وأخر
متشابهات وأخبر أن اتباع ظاهرها زيغ فقال تعالى فأما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ۝ وأفتتح المحكمات
بفرضية التوحيد وبين زيغ من اتبع ما تشابه منه ومدح
الراسخين بالإقرار بكون الكل من عند الله مع ترك اتباع
ما تشابه منه **ثم ذكر تعالى في موضع آخر** أقسام العالم
بقوله فاطر السموات والأرض ثم ذكر خلق البشر والأنعام
ثم عقب ذلك بنفي المماثلة بينه وبين شيء من العالم بقوله
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنفى تعالى عن نفسه
مشابهة العالم فألزم الكل توحيد صانع العالم وجعل سورة
إخلاص التوحيد عند آخر سور القرآن فقال مخاطبا لرسوله
وخاتم أنبيائه ولكل عاقل من خلقه قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ۝ نفى في هذه السورة
المحكمة عن ذاته وصفاته جميع معاني خلقه وصفاتهم **وأما**
بيان وجه الشهادة بالسنة الدلائل المنصوبة في خلقه أقسام
العالم بوجوب التوحيد **فنقول وبالله التوفيق أن**
العالم اسم لجميع ما سوى الله تعالى من الموجودات سمي عالما لكونه
علما على ثبوت صانع واحد قديم حي سميع بصير قادر عليم مدبر
حكيم **ثم أقسامه على الإجمال** أعيان وأعراض
ثم الأعيان قسمان متركب وهو الجسم وغير متركب وهو
الجوهر ۝ فجميع أقسام العالم على التفصيل ثلثة جواهر
وأجسام وأعراض **ثم الجوهر في اللغة** عبارة عن الأصل
يقال لفلان جوهر شريف أي أصل شريف ۝ **وحده**
عند الأصوليين ما يقوم بذاته قابل للحلول الصفات المتضادات

كالسواد والبياض والحركة والسكون **وأما** الجسم فهو المتركب
عن جزئين فصاعدا **وعند** الحساب الجسم ما له طول وعرض
وعمق ۝ والمعول عليه هو الأول **وأما العرض** فهو في
اللغة اسم لما لا دوام له يقال فلان في عارض شغل أو
مرض ۝ وعند المتكلمين اسم للصفات الثابتة للمحدثات
كالألوان والأكوان والطعوم ونحوها ۝ وحده عند
بعضهم هو ما يقوم بالجوهر وقيل هو ما لا يستغني في حدوثه
عن محل ۝ ثم الأعراض لا شك في ثبوتها عند اكثر العقلاء
وهي الألوان كالسواد والبياض والحمرة ونحوها ۝ والأكوان
كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق ۝ والطعوم
والروايح والعلوم والقدر والإرادات والاعتقادات
والشكوك والرطوبات واليبوسات وغيرها ۝ وقد
أنكرتها ونفتها طوايف الدهرية والثنوية هربا من لزوم ۝
حدوث العالم ولا مفيص لهم في ذلك **فنقول** ظ محيص
الدليل على ثبوتها أنا نرى جسما أسود ثم رأيناه أبيض وعين
ذلك الجسم باقي ولا يخلو إما أن كان أسود لذاته فلا يتصور أن
لا يبقى أسود وذاته الذي هو علة اتصافه بكونه أسود موجود وإما
أن كان أسود لمعنى غير الذات فلا يجوز أن يصير أبيض أيضا
وذاته الذي هو به علة كونه أسود موجود فقد تحقق انعدام
السواد ما كان موجودا وتحقق وجود البياض وحدوثه بعد أن
لم يكن والذات موجود في الحالين فكان هذا دليلا على ثبوت الأعراض
ووافق الثنوية أبو بكر الأصم في نفي الأعراض **فيقال له**
أليس أن من آمن كان مطيعا وينال الثواب ومن كفر كان عاصيا
ويستحق العقاب وكذى في كل طاعة ومعصية أفيتعلق كل ذلك
بوجود ذاته أم بوجود معنى وراء ذاته فإن قال بذاته بان بهتنه

وظهرت مكابرته وإن قال بمعنى وراء ذاته فقد ترك مذهبه
وانقاد للحق وكذى من شتم غيره يسخطه ومدحه يرضيه والرضا
والسخط لا يتعلقان بذات الشاتم والمادح ولا رضاه وسخطه ۝
يرجعان إلى ذاته وعرف بهذا أن إنكار الأعراض من قبيل
جحد الضروريات وانكار المشاهدات ۝ والذي يقال
له ما حد المفتري فلا بد أن يقول ثمانون وفي الزنا
ماية ولا بد من أن يعترف أن الماية أكثر من الثمانين
بعشرين وليس الضارب بمتعدد ولا المضروب ولا السوط
الذي هو آلة الضرب فلو لم يكن للضرب الذي هو عرض وجود
لكان لا شي أكثر من لا شي بعشرين وهذا مما لا يخفى
بطلانه على المجانين فضلا عن العقلاء وإذ قد ثبت أن العالم
بأسره ما ذكرنا من الأعراض والجواهر والأجسام فلا يوجد
في العالم قسم إلا وهو داخل تحت ما ذكرنا من الأعراض والأعيان
سفليا كان أو علويا جمادا كان أو ناميا نباتا كان أو حيوانا إذ
لا واسطة بين ما يقوم بنفسه قابلا لحلول الأعراض فيه
وهو الأعيان متركبة كانت أو غير متركبة وبين ما لا
يقوم بنفسه وهو الأعراض **ثم نحتاج إلى معرفة معنى
القديم والمحدث فنقول** إن القديم ما لا أول ۝
لوجوده والمحدث ما لوجوده ابتداء ۝ وقيل المحدث ما تأخر
وجوده عن الأزلي ۝ وقيل هو ما لوجوده أول ۝ وهذه
العبارات كلها تنبي عن معنى واحد **وقد ثبت بالدليل** أن
أجزاء العالم في الأصل قسمان أعراض وأعيان ليس وراء
هذين القسمين شي من أجزاء العالم فيجب أن نبحث عن
كل واحد من القسمين أقديم هو أم محدث فبدأنا بالأعراض
فتأملنا فيها فرأيناها محدثة ۝ وذلك لأنا رأينا ساكنا تحرك

بعد سكونه ٥ وقد أقمنا الدلالة على كون الحركة والسكون
عرضين وكان الجسم قايما حين كان ساكنا وقد حدثت
فيه الحركة بعد إن لم تكن موجودة حال كون الجسم ساكنا
تحدث الآن فعلمنا حدوثها بالحس والمشاهدة ٥ وعلم ٥
المشاهدة فوق ساير أنواع العلوم ٥ والسكون كان موجودا
وقد انعدم حين حدثت الحركة وعلم أنه كان محدثا حيث
قبل العدم ٥ لأن القديم يستحيل عليه العدم **وهذا لأن**
القديم واجب الوجود لأنه لو لم يكن واجب الوجود لكان
جايز الوجود أو ممتنع الوجود إذ لا قسمة لما تخطر بالبال
ثبوته وراء هذه الأقسام ٥ وهي جايز الوجود وواجب ٥
الوجود وممتنع الوجود ٥ وبطل كون القديم ممتنع الوجود لأن
وجوده قد تحقق ومحال أن تحقق ممتنع الوجود لاستحالة اجتماع
الوجوب والامتناع ولا يقال أنه جايز الوجود لأن ما كان
جايز الوجود كان جايز العدم وما كان جايز الوجود كان لوجوده
ابتداء وهو تخصيص المخصص والقديم لا ابتداء لوجوده فهو واجب
الوجود بذاته **فثبت أن الموجود قسمان لا ثالث لهما قديم ومحدث**
ولما قبل السكون العدم دل أنه كان جايز الوجود لا واجب الوجود
فإذا عرف هذا علم كون السكون محدثا بهذا الإسناد لا بل وعلم
حدوث الحركة بالحس والمشاهدة وكذى هذا في جميع الأعراض
المتعاقبة من نحو السواد والبياض والاجتماع والافتراق وغيرها
وإذ قد ثبت حدوث الأعراض وتقرر تاملنا في حال
الأعيان فوجدناها غير متعرية عن الأعراض التي ثبت
حدوثها بالدليل القطعي ٥ ثم تاملنا فوجدنا تعريها عن الأعراض
وخلوها عنها ممتنعا مستحيلا ٥ وذلك لأنا رأينا الاجتماع
والافتراق معنيين وراء المفترق والمجتمع وكذا رأينا الحركة والسكون

معنيين وراء المتحرك والساكن على ما ينافي ثبوت الأعراض **وحد الاجتماع**
تماس الجوهرين حتى لا يكون لثالث بينهما مكان **وحد الافتراق** تباين
الجوهرين حتى يكون لثالث بينهما مكان ٥ ثم رأينا خلو الجوهر
عن الحركة والسكون محالا ممتنعا لأن المتمكن في مكان إما أن
ينتقل عنه فيكون متحركا وإما أن يكون يستقر فيه فيكون ساكنا
فثبت كون خلو الجوهر عنهما ممتنعا محالا **وقد ثبت**
استحالة خلو الجوهر عن الأعراض **ثبت** استحالة تقدمها
على الأعراض لما أن في تقدمها على الأعراض خلوها عنها وقد بينا استحالة
استحالته بالبرهان القاطع **وإذا ثبت** أن الجوهر لا يسبق
الأعراض وقد أقمنا الدلالة على كون الأعراض حادثة **ثبت**
كون الجواهر حادثة لأن ما لا يسبق الحادث فهو حادث لأن الحادث
ما لوجوده ابتداء وإذا كان لوجوده ابتداء كان محدثا ضرورة
وهذا لأن العرض كان محدثا لهذا فما ساواه في حد الحدوث
كان مساويا إياه في الحدوث **وإذ قد ثبت** بما بينا من
الدلايل القطعية حدوث الأعراض والجواهر كلها ثبت حدوث
الطبايع والهيولى وجميع ما تسميه الدهرية المعطلة والطبيعيون
عناصر واسطقسات وحدوث الأفلاك بما فيها من البروج والكواكب
والشمس والقمر وحدوث الزمان والخلاء إذ كله داخل تحت ما
أقمنا الدلالة على حدوثه وإذ قد ثبت بالدليل القاطع أن العالم
بجميع أقسامه محدث وكان قبل الحدوث معدوما جايز الوجود
وجايز البقاء على العدم ٥ وما يجوز عليه الحالان لا يختص بإحدى
الحالتين إلا بمخصص كالجسم لما جاز أن يكون متحركا وأن يكون
ساكنا لم يختص بأحدهما إلا بمعنى أوجب اختصاصه بها وهو
الحركة أو السكون فكذى حدوث العالم لا بد من وجود معنى
أوجب تبدله لأن العالم قبل الحدوث كان وكان جايز أن يوجد

على هيئة غير هذه الهيئة والقدر أصغر او أكبر وأزين من هذا ولما اختص
بهذه الهيئة دل اختصاصه بها على أن مخصصها خصصه بتلك الهيئة
وبهذه الدلالة يستدل على وجود الباني لكل بناء يشاهد في الدنيا
وتقررت هذه الدلالة في العقول حتى أن من جوز
وجود ذلك من غير صانع أطبق العقلاء على تجهيله وإلحاقه بالمجانين
ولأن حدوثه ووجوده من غير مخصص وموجد محال لأنه كان
معدوما قبل حدوثه فمحال أن يتوهم أنه وجد وحدث لا بموجد
ومحدث لأن العدم نفي حقيقة والحدوث ابتداء وجود فلا
يتحقق من غير مخصص إذ حقيقة العدم الانتفاء والانعدام
إلا الوجود ومحال أيضا أن يتوهم أنه أحدث نفسه في حالة
العدم لما أنه معدوم لا حقيقة له في نفسه والاحداث فعل ووجود
الفعل من غير فاعل باطل وتحقيق هذا وهو أن الآدمي مع أنه ليس
بعرض بل هو جوهر وليس بجماد بل هو حيوان وليس بعجماء بل
هو ناطق وهذه الحالة على هي النهاية في القوة والتدبير وبها يغلب
بحيله اللطيفة وتدابيره الصائبة جميع الحيوانات الأرضية فيستسخر
الفيلة العظام والأسود الضارية والحيات الناهشة فيستعملها في حوائجه
ويستخرج الحيتان من قعور الماء ويستنزل الطيور من الهواء
ثم هو في كمال عقله وعلمه بالأمور وتمام قوته وبصارته بوجوه
الحيل والتدابير يعجز عن تغيير صفة له ذميمة إلى ما يستحليه
من الحسن وعن تغيير قصر قامته إلى طولها وسواد بشرته إلى
نضارتها فلأن لا يتأتى ولا يتصور إيجاد أصل العالم ممن هو معدوم
أظهر للعقول وأقهر للحواس فثبت أنه كان بصانع
حي قديم قدير قدرته ذاتية أزلية لا يعجزها شيء وتحققه
أيضا أن كل عين من أعيان العالم اجتمعت فيه الطبائع المتضادة
متجاورة التي من شأنها التباين ومن طباعها التنافر ولو تركت لتباينت

وتعطلت للحال ن فدل وجودها متجاورة متفقة على خلاف
شأنها أن ذلك ليس منها وأنها بقادر جبار جبرها على مقتضى
إرادته النافذة لإظهار كمال قدرته وحكمته هذه كلها دلائل
ثبوت الصانع وإذ قد ثبت بما مر من الدلائل أن العالم
لا بد له من صانع لاستحالة وجود المعدوم بلا موجد ومخصص
فبعد ذلك نقول أن العالم شهد بجملته وبكل جزء من أجزائه
بشهادة الخلقة ودلالة الصنعة وهي التغيير والتأليف والتركيب
والتسخير على أن الصانع واحد لا شريك له وذلك لأنه لا يجوز
أن يكون للعالم صانعان لأنه لو كان الصانع اثنين فأرادا إيجاده
فلا يخلوا إما أن كانا عاجزين أو كانا قادرين أو كان أحدهما
قادرا والآخر عاجزا ن فإن كانا عاجزين سقطا جميعا لزوال
قدرة كل واحد منهما عما هو مقدور في نفسه لكونه جائز الوجود
والعاجز لا يكون إلها فبطلت ألوهيتهما وبقي المراد على العدم
ولو كان أحدهما قادرا على إيجاده ولم يكن الآخر قادرا بطل ألوهية
العاجز لكونه مقهورا فيتحقق وجود المصنوع المراد وهو العالم
العاجز بإيجاد الواحد القادر ن ولو كانا قادرين فإما أن
يقدرا على طريق التعاون دون الانفراد فيبطل لأن جميعا للزوم
الحاجة إياهما إلى التساعد وزوال قدرة الإيجاد عن كل واحد منهما
على الانفراد بالذات إذ شرط إيجاد المعدوم هي القدرة الذاتية
تحقيقه أن الموصوفين من حكماء العالم لو اجتمعوا على أن
يخلقوا ذرة أو شعيرة لم يقدروا العدم القدرة الذاتية لأن
قدرتهم أغيار لذواتهم لأنها مستفادة من غير ن وإما أن
يقدر كل واحد منهما على إيجاد العالم على الانفراد فأراد كل واحد
منهما إيجاده على الاستبداد لامتناع ثبوت الكمال في الاشتراك
والتساعد ن لأن الكمال من شرط الإله فيقع التدافع والتمانع

طلبا لتحقيق الكمال إذ الكمال في التفرد بالصنع فحينئذ يتعطل وجود
المصنوع حتى يظهر الغالب من المغلوب ۝ فلما تحقق وجود العالم
المصنوع على الإتقان والإحكام مؤلفا منظوما مركبا عاجزا مسخرا
شهدت خلقته بثبوت صانع واحد قديم حي سميع بصير قادر عليم مدبر
حكيم ۝ وكذى شهدت خلقة كل جزء من أجزاء العالم وهذه
الدلالة تسمى دلالة التمانع أخذها أهل الحق من كتاب الله تعالى
قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال تعالى
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
وذكر تعالى في إبطال ألوهية ما كانت تعتقد عبدة الأصنام فقال
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا
راد لفضله ۝ فكان فيه إثبات الألوهية لنفسه تعالى لنفاذ
مشيئته وفيه إبطال ألوهية العدد بإثبات العجز لغيره عما أراده
هو تعالى ۝ وقال في موضع آخر قل أرأيتم ما تدعون من
دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته ۝ وفيه إبطال ربوبية غيره لعجزه
عن كشف ما أثبته هو تعالى ۝ وقال تعالى قل أرأيتم إن
أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم
به استدل بانعدام القدرة لغيره عن الإتيان بهذه الأشياء عند أخذه
تعالى إياها على ثبوت وحدانيته واستحالة ألوهية من لا قدرة
له ۝ وهذه الدلالة لا تستقيم على أصول المعتزلة فإنهم يقولون
إن الله تعالى إن الله تعالى أراد من الكافر الإيمان وأراد الكافر
من نفسه الكفر فنفذت إرادة الكفر الكافر وتعطلت إرادة الله
تعالى وهذا منهم خلاف ما علم الله تعالى رسوله لإبطال مذاهب
الثنوية فإنه تعالى أثبت ألوهية نفسه بنفوذ إرادته وأبطل
ألوهية غيره بعدم نفاذ إرادته ثم من عظيم جرأتهم ووقاحتهم

يرومون التخلص عن هذا الإلزام الظاهر بحيل ضعيفة بادية العوار
مكشوفة الستار ذكرها أئمة أهل السنة وأبطلوها وأظهروا عوارها
بأنها لا تجديهم سوى العجز عن إثبات الوحدانية لله تعالى بهذه
الطرق التي علم الله تعالى أمينه على وحيه لإبطال مذاهب
الثنوية وأطبق على الاحتجاج بها كافة أهل التوحيد لدحض شبهات
الثنوية **وأما قولهم لا شريك له** فقد أرادوا بذلك نفي أنواع
الشرك التي هي كفر وهي الشرك في الذات ثم الشرك في تسمية
الألوهية واستحقاق العبادة ثم الشرك في الوصف وهذه الأنواع
منفية عن الله تعالى وقد قامت الأدلة العقلية والسمعية على
براءة الله منها وتعاليه عنها أما الدلائل البرهانية فما سبق بيانها
من شهادة العالم بجملته وبكل جزء من أجزائه بلسان التسخير
والتأليف والتركيب بأن الصانع واحد لا شريك إذ لو كان عددا
لوقع التمانع طلبا للكمال إذ هو شرط الإله فلم يتحقق وجود
المصنوع حتى يظهر الغالب من المغلوب ۝ إذ في القول بالتساعد
والاشتراك سقوطهما للزوم الحاجة والنقص ۝ ولما تحقق وجود
العالم محكما متقنا مسخرا مؤلفا مركبا دل أن الصانع واحد
فانتفت الشركة في المصنوع لانتفاء الشريك في الصنع وهذه الدلالة
متحققة في كل جزء من أجزاء العالم على حدة ثم الشرك
في الذات فعل المجوس فإنهم أثبتوا للعالم صانعين اسم أحدهما
يزدان زعموا أنه خالق الخيرات والمسرات والأجسام الحسنة ۝
والآخر أهرمن وهو إبليس عليه اللعنة ولهم هذيانات كثيرة
في مقالتهم زعموا أن يزدان تفكر في نفسه هل يخرج عليه من
يضاده في ملكه فتولد من تلك الفكرة عفونة في بعضه
فتولد من تلك العفونة أهرمن ۝ وقال فرقة منهم
يسمون المسخية إن يزدان كان نورا محضا ثم تمسخ بعضه

نصار ظلمة فكان أهرمن من تلك الظلمة ه وقوم منهم يسمون
الزروانية قالوا إن زروان وهو النور القديم عندهم شك في صلوته
فحدث الشيطان وهو أهرمن من تلك الشكة وما ذكرنا من
الدلايل القطعية فهي توجب بطلان أن يكون مع الله تعالى قديم
آخر فيبطل القول بقدم اثنين ه ولأن قولهم بقدم السفيه
يبادي ببطلانه إذ السفه نهاية في النقص والقول بقدم من فيه
أدنى النقص محال إذ من شرط القديم الكمال لأن ذاتا ما
قط لا يوجب نقصانا في ذاته ولا في صفته إذ ذاك اقتضاء عدمه
وذات ما قط لا يقتضي عدمه إذ لو اقتضاه لما تصور وجوده
فإذا كل نقص تمكن في ذات ما فذاك بإثبات غيره ليعرف
بنقصان هذا مثبته ه ه ه قال الشيخ
الإمام العالم نجم الملة والدين الإمامي الناصري أيده الله
تعالى ولا حاجة إلى بسط القول في ذكر مقالة المجوس هاهنا
وإنما ذكرت هاهنا أصل مقالتهم عقيب ذكر إثبات التوحيد
وحدث العالم بأنواع الأدلة القاطعة لكي تواصب الموحد
على الإذعان بالعجز عن شكر نعمة التوحيد ه وأما الشرك
في تسمية الألوهية واستحقاق العبادة فهو صنيع مشركي العرب
فإنهم أشركوا مع الله تعالى ما عبدوا من الأصنام في استحقاق
العبادة وتسمية الألوهية مع إقرارهم بالتوحيد في الذات والتخليق
على ما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله ه وأما النوع الثالث وهو الإشراك
في الوصف بالصورة والجسم وساير صفات المحدثين فهو كقول
اليهود في الباري تعالى إنه على مثال صورة البشر وتابعتهم على
ذلك المشبهة الجعدية والمجسمة الكرامية حتى وصفوه بالأعضاء
والجوارح **وأما الدلالة السمعية** على نفي الشريك فكثيرة

منها قوله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن إلى
قوله الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون وصف الله تعالى
نفسه بتجريد الألوهية والوحدانية وأنه القدوس وهو الطاهر
عن الآفات والعيوب ووصف نفسه بالجبروت والعظمة
والكبرياء والتكبر هو الارتفاع عن معاني الخلق ثم قال
سبحان الله وهي كلمة تبرية وتنزيه سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال براءة الله من كل
سوء ثم قال عز وجل عما يشركون والإشراك ينتظم على الأوجه
الثلثة المقدم ذكرها إذ الإشراك هو التسوية فالثنوية
حيث أثبتوا اثنين كان ذلك تسوية في الذات ه ومشركو
العرب حيث عبدوا الأصنام وسموها آلهة صاروا مشركين مع إقرارهم
بالتوحيد في التخليق وكان ذلك تسوية منهم بين الله تعالى وبين
الأصنام على ما أخبر تعالى عن إقرارهم بتلك التسوية يوم القيمة ه
عند تبريهم منها وهو قوله إذ نسويكم برب العالمين ه ولذلك
إشراك اليهود ومن تابعهم من المجسمة بوصفهم الباري تعالى بالصورة
والجسم على مثال صورة البشر تسوية منهم بين الله تعالى وبين البشر
وقد نزه الله تعالى نفسه عن كل أنواع الشرك بقوله سبحان
الله عما يشركون ه وبقوله سبحانه وتعالى عما يشركون ه وبقوله
سبحان الله عما يصفون ه وقد صرح الله تعالى بنفي مماثلة الخلق
عن نفسه بقوله ليس كمثله شيء وعظم أمر الشرك بحرمان
الجنة وهو قوله تعالى إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
فلهذه الأدلة جمع فقهاء الملة رحمهم الله في عقيدتهم بين إثبات
الوحدانية وبين نفي الشريك لتحقيق الإيمان في الذات
والصفات لأنه تعالى واحد بأفعاله أحد بذاته **وأما قولهم
ولا شيء مثله** فهو تحقيق لإثبات كمال ذاته في الأزل

والقدم بنفي النظير والمماثل ووصفه بالتعالي عن المشابهة والمماثلة وإنما
قالوا ذلك بالبراهين العقلية التي احتج بها ابرهيم على قومه وسماها
الله تعالى حجته وبالنصوص المحكمة أما البراهين العقلية فهي
ما ذكر أهل الحق وعلماء الأصول فقالوا إن القول بالتشابه بين
الله تعالى وبين غيره قول بنفي الألوهية وإنكار الصانع لأن
التماثل بين الشيئين من كل وجه يوجب المساواة بينهما من كل
وجه والمماثلة بينهما من وجه تقتضي المساواة بينهما من ذلك
الوجه فالمشابهة بين الله تعالى وبين العالم إن كانت من كل
وجه ۝ فإنها تقتضي المساواة في الحكم من كل وجه ۝ ومعلوم
قطعا أن حكم العالم الحدث وأن صفة الله تعالى القدم فتوجب
المساواة أن يكون العالم قديما أو الصانع محدثا من جميع الوجوه
وإن كانت المشابهة من وجه دون وجه يوجب أن يكون
العالم قديما من وجه محدثا من وجه وكذلك الصانع ۝
ثم المحدث من كل وجه أو من وجه لا يكون إلها ۝ وإذا أوجب
ذلك قدم العالم انتفى الصانع لاستغناء القديم عن غيره فكان
القول بالتشابه موجبا لنفي الألوهية ۝ وقد قامت الدلائل
القطعية على ثبوت الصانع فما يوجب نفيه كان باطلا ولأن
الخلق أجسام وجواهر وأعراض فلو كان الباري تعالى يشبه
الخلق لكان من هذه الأقسام فيجب أن تكون له خاصية
هذه الأشياء ۝ وخاصية الأجسام التركب والتركب يتحقق
من الأجزاء والأبعاض فكان الجسم متبعضا متجزيا ۝ ولا يجوز
أن يكون الباري كذلك إذ التركب لا بد له من مركب فمن قال
إنه جسم فقد أبطل ألوهيته وجعله مصنوعا ۝ ومن قال
إنه قديم مع كونه جسما فقد أبطل حدثية الأجسام وصار قايلا بقدمها
وأبطل الدلالة على ثبوت صانع العالم ۝ إذ الدلالة على كون الأجسام

محدثة وأن لها صانعا صنعها كونها مركبة ۝ **وأما الجوهر** فعبارة عن
الأصل القابل للتركب فلو كان الباري جوهرا لكان محلا قابلا للحوادث
وذلك محال لأن قبول الحوادث من أمارات الحدث بدليل
أن الجوهر لا ينفك عن الأكوان والألوان إما أن يكون متحركا
أو ساكنا فلا ينفك عن التغير والقديم لا يجوز عليه التغير ۝ وبقبول
التغير والتركب استدل أهل الحق على كون العالم محدثا وبذلك
دل الصانع القديم على كون العالم مصنوعا وعلى كون نفسه صانعا
بقوله في أي صورة ما شاء ركبك ۝ حتى أقسم على كون العالم ۝
مصنوعة بقبول التركب وتكرر الأحوال عليه بقوله فلا أقسم بالشفق
والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق وهو
تكرر الأحوال عليهم حالا بعد حال ثم قال فما لهم لا يؤمنون
أي أي شيء يمنعهم عن الإيمان بالصانع الواحد القديم مع معاينتهم
دلايل حدوث العالم بالتغيير والتأليف والتركيب والتسخير ۝
وتعاقب الأحوال عليهم فبطل أن يكون صانع العالم جسما أو
جوهرا لما فيهما من قبول التركب والتغير بحلول الحوادث ۝
وأما العرض فخاصيته أن لا يقوم بنفسه ويستحيل بقاؤه
ويتعالى صانع العالم أن يكون كذلك إذ هو قايم بذاته ۝ وبتكوينه
قامت الجواهر والأجسام حاملة للأعراض ۝ وإذا بطل أن
يكون الباري عز وجل من جنس العالم بطل القول بالتشابه بينه
وبين العالم فهذه هي البراهين العقلية التي احتج بها ابرهيم
خليل الله صلوات الله عليه على قومه وقد سماها الله تعالى حجته
على ما قال تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا إلى قوله فلما أفل
قال لا أحب الآفلين تبرأ عليه السلام من ألوهية من يأفل
وينتقل بالذات من مكان إلى مكان وقال في أفول القمر
فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين

جعل وصف الرب بالانتقال بالذات من مكان إلى مكان ضلالا
وقال في أفول الشمس فلما أفلت يا قوم إني بريء مما
تشركون جعل وصف الرب بالانتقال من مكان إلى مكان
بالذات شركا ؞ ثم قال إني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والأرض حنيفا الآية جعل وصف الرب بأوصاف
العالم شركا وضلالا ثم قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم
على قومه **وأما حجج السمع** على نفي المشابهة والمماثلة عن الله تعالى
فمنها قوله تعالى ليس كمثله شيء قال إمام الهدى أبو منصور أي
ليس مثله شيء قال أهل الحق لأن الخلق ذوو أعداد وأشكال
وأمثال من حيث العدد ؞ ثم إنهم وإن كانوا ذوي أمثال وأشكال
فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه ومن كل الجهات ولكن إنما
يشبه بعضهم بعضا بجهة أو بوجه بصفة أو بنفس ؞ ثم صار بعضهم
أمثالا لبعض وأشباها بتلك الجهة وبذلك الوجه والله تعالى
نفى عن نفسه مماثلة شيء من العالم بهذا الكلام المحكم الذي لا احتمال
فيه فدل أن الله تعالى ليس بشبيه للخلق ولا له منهم مثال بوجه
من الوجوه ولا له شبيه منهم لا فيما يرجع إلى الصفة ولا فيما يرجع إلى
النفس وهو متعال عن جميع معاني الخلق وصفاتهم ثم هذا التحقيق
الذي تناوله هذا النص المحكم كان قاطعا لجميع أوهام المشابهة والمماثلة
بين صانع العالم وبين العالم لو كان مذكورا على حدة غير ملتبس كقوله
تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
فكيف وقد تقدم تعالى أمام هذا النص المحكم في تلك السورة ذكر
ألوهيته ووحدانيته بقوله ذلكم الله ربي ؞ ثم أتبع ذكر ألوهيته
بنعوت وحدانيته وكمال قدرته وكون ما سواه تحت قهره وسلطانه
من السموات والأرض وهما من أعظم المخلوقات في العالم المشاهد
ودخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات وما فيها وما فوقهما من

الخلائق ودخل تحت قهره وسلطانه بذكر الأرض وما فيها وما
تحتها فقال فاطر السموات والأرض ثم أتبع ذكرهما بذكر من سخر لهم
ما في السموات والأرض وهم البشر فقال جعل لكم من أنفسكم أزواجا
وهذا الجنس هو المصور بأحسن الصور المخلوق في أحسن تقويم
المشتمل على الأزواج والأشكال والأصناف والأمثال ؞ ثم
أتبع بذكرهم ما جعل لهم من الأنعام المشتملة على الأصناف والأزواج
فقال ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ؞ ثم أتبع ذكر أقسام
العالم نسقا عليه ذكر تعاليه عن مشابهة العالم إياه على المبالغة
نفيا لأوهام الخلق عن المشاكلة والمماثلة فقال جل جلاله ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير ؞ ثم دل قوله ليس كمثله شيء أنه
يطلق عليه اسم الشيء لأنه نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية
لأن اسم الشيء ليس ينبئ عن الكيفية والمائية والجنسية وإنما
ينبئ عن مطلق الوجود والله تعالى موجود واجب الوجود لذاته
وما سواه جائز الوجود ؞ ولا مماثلة بين القديم والمحدث فينفى
عنه ما وراء مطلق الشيئية فيقال إنه تعالى شيء لا كالأشياء كما يقال
عالم لا كالعلماء ينفى عنه شبه الأشياء والشيء إثبات وفي الإثبات
توحيد ؞ ولو لم يجز إطلاق اسم الشيء عليه لنفى الشيئية كما نفى
المثلية دل أنه يسمى شيئا وهو كقوله تعالى قل أي شيء أكبر
شهادة قل الله أثبت أنه شيء لا كالأشياء **وأما قولهم ولا شيء يعجزه**
قال القاضي أبو حفص الغزنوي في شرحه لهذه العقائد
هذا القول منهم وصف له تعالى بكمال القدرة ؞ وإنما قالوا ذلك
بأدلة العقول والسمع ؞ أما دليل العقل فلأن وجود كل شيء
به فمحال أن يعجزه شيء ولأن العجز نقص وهو من أمارات
الحدث إذ ذات ما لا يقتضي نقصه لما يفضي ذلك إلى العدم ؞
والقديم يستحيل عليه العدم فثبت تبريه عن النقائص التي هي من سمات

الحدث ∴ ولأن العجز ضد القدرة وبالقدرة يتحقق وجود المقدور
وعند العجز يتعذر الوجود ∴ ثم الفاعل في الشاهد قاصر القدرة
لأن قدرته مستفادة من غيره فيقدر على ما أقدره غيره ولذلك
لا يتعدى فعله عن محل قدرته لأنه قادر بغيره لا بذاته ∴ والفاعل
في الغايب قادر بذاته فكان كامل القدرة إذ قدرته ذاتية
أزلية تنفذت في إخراج المعدومات من العدم إلى الوجود إذ
قدرته أزلية لا نهاية لها وبها أخرج العالم من العدم إلى الوجود
من غير أصل ومثال فيقدر على إنشاء شيء لا من شيء كالسموات
والأرضين ∴ وعلى إنشاء شيء من شيء كالإنسان من النطفة
وفيه إظهار كمال القدرة فإن الصانع عزت قدرته قلب
النطفة علقة فكونها دما عبيطا ∴ ثم قلب العلقة مضغة فأعدم
العلقة حتى لم يبق منها شيء والمضغة قطعة لحم ثم قلب المضغة
عظاما فأعدم المضغة حتى لم يبق منها شيء ∴ ثم كسا العظام
لحما ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا في ظلمات ثلث ظلمة
البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ففيه إيجاد شيء من شيء
بالإضافة إلى النطفة ∴ وفيه إيجاد شيء لا من شيء حيث أعدم
الأصل وهو النطفة ثم أوجد العلقة ∴ ثم أعدم العلقة وأوجد
المضغة ∴ ثم أعدم المضغة وأوجد العظام ثم خلق فيه الروح
لا من شيء وهذه الأحوال كلها دلايل على كمال القدرة ∴
وفيها إبطال قول الطبايعية إذ الطبايع لا تقتضي خلاف طباعها
ولا يتصور منها تخصيص هيئة دون هيئة لأنها موات لا توصف
بحيوة ولا قدرة ولا علم ∴ وفيها إبطال قول الدهرية بقدم
العالم لوجود تعاقب الأحوال المختلفة ∴ وفيها إبطال قول الدهرية
حيث أنكروا إيجاد الشيء لا من شيء كما في الشاهد حيث يتخذ
الباب من الخشب والثوب من الغزل فيقال لهم هذا تمويه منكم

واستدلال باطل لأن الأصل الذي اتخذ منه الباب وهو الخشب
فإنه قايم بعينه لم تتبدل ذاته وإنما حدث فيه تغير صفة وهيئة
وكذلك الغزل في الثوب قايم بعينه وذلك لقصور قدرة الفاعل
في الشاهد حيث يفعل بقدرة مستفادة من غيره ∴ والفاعل في
الغايب أعدم الأصل وهي النطفة وأوجد جوهرا آخر وهو المضغة
ثم أعدم المضغة وأوجد العظام ثم جعله بشرا سويا وليس فيه شيء
من أجزاء الأصل فهو إيجاد شيء لا من شيء إذ هو كامل القدرة
يفعل بقدرة ذاتية أزلية ∴ فبطل تمويه الدهرية ∴ ومن دلايل
كمال قدرة الغايب قيام السماء في الهواء بلا علاقة من فوق ولا
عمد من تحت فهذه أعجوبة عظيمة لولا اعتياد مشاهدتهم
إياها كذلك منذ نشوا لصعقوا من عظيم هولها ثم هذه الأعجوبة
قايمة إلى يوم تطوى السماء كطي السجل ونظير هذه الأعجوبة
قيام السحاب المسخر بين السماء والأرض في الهواء بلا علاقة
من فوق ولا عمد من تحت والهواء شيء لطيف ليس بمقر لشيء
كثيف حتى لو اجتمع الخلايق على إقامة خردلة أو ريشة في
الهواء لما قدروا على ذلك وقد جعل الله بقدرته الأزلية متن
الهواء مقرا للسحاب وهو جسم كثيف غليظ قد طبق وجه السماء
قايما تارة وسايرا تارة منبسطا في الطول والعرض حاملا لبحور
الماء لا ينزل منها قليل ولا كثير إلا بأمر الصانع القديم ∴
ومعلوم قطعا أن الشيء الثقيل من طبعه في الهواء الانحدار والنزول
فهذه كلها من آيات كمال قدرة الله تعالى وبهذه الأدلة
قال فقهاء الملة ولا شيء يعجزه **وأما دليل السمع** فنحو
قوله تعالى وأعلم أن الله على كل شيء قدير وقوله أوليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق
العليم **وأما قولهم ولا إله غيره** قال القاضي أبو حفص

الغزنوي هذا منهم قول ببطلان كل معبود سوى الله تعالى إذ الإله
في لغة العرب هو المعبود وكانوا يعبدون الأصنام ويسمونها
آلهة فقالوا ولا إله غيره ليعلم أن الله تعالى لم ينصب من خلقه
آلهة يعبدون من دونه على ما قال تعالى أجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون أي لم نجعل ذلك ∴ وقال تعالى وما أمروا
إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ∴ وقال وما أرسلنا من
قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ∴ وقال
تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا
نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ∴ ومن حيث دليل العقل أن خلقة
كل إنسان تشهد بالتأليف والتركيب بوحدانية صانع واحد
في خلقته لتشهد أنه عبد لمعبود واحد عبودية إيجاد وتخليق
إذ خلقته لم تتحقق إلا بصانع واحد ∴ إذ في القول بالعدد
بطلان وجوده بدليل التمانع فتشهد وجوده بإيجاد واحد فبطل
كل معبود سواه ∴ **وأما قولهم قديم بلا ابتداء** فهذا منهم
تصريح بأن الله تعالى قديم أزلي ∴ وقولهم بلا ابتداء تأكيد
منهم لقدمه تعالى بالأزل حقيقة من غير تجدد أولية ∴ إذ
قد يطلق اسم القديم على ما لوجوده ابتداء كما يقال هذا بناء قديم وشيخ
قديم ونحو قوله تعالى كالعرجون القديم يراد به تقدم وجوده
على نظيره في الحدوث ∴ والقديم في أسماء الله تعالى معناه أنه أزلي
لم يزل واجب الوجود لذاته ∴ قديم بأسمائه وصفاته بلا
ابتداء على ما مر بيانه في فصل إثبات حدث العالم وقدم الصانع ه
بالبراهين القطعية ∴ ثم الأصل في أسماء الله التوقيف الشرعي
بكتاب ناطق أو خبر متواتر ∴ ولا يوجد في الكتاب في أسمائه
تعالى لفظ القديم ولا في المتواتر وإنما ورد في بعض أخبار الآحاد
والعقائد إنما تبنى على الدلائل الموجبة للعلم قطعا ∴ وقد أطبق

العقلاء من الأولين والآخرين على تسمية صانع العالم قديما وفي هذا
دلالة واضحة على كون العقل حجة من حجج الله تعالى ∴ وقال
الله تعالى في إثبات قدرته وسلطانه وكمال صفاته له ملك السموات
والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قال إمام
الهدى أبو منصور قوله تعالى له ملك السموات والأرض فيه
وجوه ∴ أحدها هو المالك لكل ملك في السموات والأرض
كقوله مالك الملك ∴ والثاني هو الذي أفقر الخلق وأحوجهم
إليه ∴ والثالث هو القاهر الغالب العالم بالأشياء على
حقيقتها ∴ وقوله يحيي ويميت أي يحيي من شاء ويميت من شاء
وهو على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة وغيرهما
وقوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو حرف التوحيد
ومعناه هو الأول بذاته بلا ابتداء والآخر بذاته بلا انتهاء والظاهر
بذاته والباطن بذاته وهذا قول أهل الحق في معناه ∴ ثم قال
أبو منصور وصف تعالى نفسه بهذا لئلا يفهم من أوليته ما يفهم من
أولية غيره ولا يفهم من آخريته ما يفهم من آخرية غيره ∴ وكذلك
لا يفهم من ظاهريته ما يفهم من ظاهرية غيره ولا من باطنيته ما
يفهم من باطنية غيره وهذا كما أخبر تعالى بأنه عظيم لطيف
وكل حرف منهما في الشاهد مما يناقض الآخر وينفيه فإن ما
عظم في الشاهد لم يلطف وما لطف منه لم يعظم في الشاهد
فذكر هذه الأسماء لنفسه لئلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة
غيره وكذلك لا يفهم من سائر صفاته ما يفهم من صفات غيره وبالله
التوفيق **وأما قولهم دائم بلا انتهاء** فهذا منهم
إقرار بأنه باق بذاته لأنه قديم لم يزل فهو باق لا يزال
لأن القديم يستحيل عليه التغير والزوال فقالوا بأنه دائم

بلا انتهاء ليعلم أن دوامه تعالى ليس يتعلق بالزمان كلما مضى
زمان يحدث زمان كدوام الآخرة بل هو الأول بلا ابتداء
والآخر بلا انتهاء **وأما قولهم لا يفنى ولا يبيد** قال
القاضي أبو حفص الغزنوي جمعوا بين اللفظين تأكيدا
لدوامه وبقائه فأرادوا بنفي الفناء نفي تلاشي الذات وأرادوا
بالثاني نفي بطلان الحيوة إذ تلاشي الذات وبطلان الحيوة محال
في صفات الله تعالى لقدمه الثابت بغير علة إذ هو واجب الوجود
لذاته فهو واجب البقاء لذاته **وأما قولهم ولا يكون إلا ما يريد**
قال الغزنوي في شرحه والنسفي في أصوله إنما قالوا ذلك
لأن كل موجود سواه فهو بتخليقه وتكوينه وإرادته فلا يكون
بغيره إيجاد شيء إذ لا خالق غيره ولا موجد سواه لما مر من
الدلائل القاطعة على كون العالم بجميع أقسامه وأجزائه مصنوع
واحد قديم ۞ وقد علقوا وجود العالم بالتكوين والإرادة
فبقي الكلام هاهنا في إثبات الصفات لله تعالى فنقول
قال أهل الحق إن التكوين صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى
كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر فكان التكوين أزليا
والمكون حادثا ۞ كالقدرة كانت أزلية والمقدور حادثا
وكذى الإرادة صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى والمراد
حادث فيكون التكوين لكل مكون تكوينا له لوقت
وجوده كالإرادة وجود كل موجود يكون إرادة لوجوده
لوقت وجوده قال سيف الحق أبو المعين النسفي اعلم
بأن التكوين والتخليق والخلق والإيجاد والإحداث والاختراع
أسماء مترادفة يراد بها كلها معنى واحد فنخص استعمال لفظة التكوين
اقتفاء لآثار أسلافنا رحمهم الله أما الإرادة فقد قال أهل
اللغة إن الإرادة مشتقة من الرود والرود يذكر ويراد به الطلب

ولهذا سموا طالب الكلاء رائدا ۞ ومنه المثل السائر الرائد لا يكذب
أهله ۞ ومنه قولهم جارية رودا لما تتمايل في مشيتها ۞ إلا
أنه استعمل في الطلب لما أن الطالب للشيء يميل في مشيته تارة
إلى اليمنة وتارة إلى اليسرة ليميز مطلوبه من غيره فيجوز أن
يكون الأصل فيه الطلب إلا أنه استعمل في الميلان لما أن
الميل في العادات لن يكون إلا لطلب شيء ما ملوم فسمي الميل
رودا لأنه اسم ما هو المقصود منه هذا هو مأخذ هذه اللفظة في اللغة
وأما حدها فقد قيل إنها معنى ينافي الكراهية والاضطرار وتوجب
لمن هي له القصد والاختيار فتكون فايدتها على هذا التحديد
كون الموصوف بها مختارا فيما فعله غير مضطر إليه لوجود ما
ينافي الكره والاضطرار وهو الاختيار ۞ وقيل في
تحديدها إنها معنى يوجب اختصاص المفعول بوجه دون وجه
إذ لولا الإرادة لوقعت المفعولات كلها في وقت واحد على هيئة
واحدة وصفة واحدة فإذا خرجت المفعولات على التراخي
والتوالي وعلى النظام والاتساق وعلى الهيئات المختلفة
والصفات المتباينة على حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة كان
ذلك دليلا على اتصاف الفاعل بالإرادة إذ لولا الإرادة لما
كان وقت لوجود المفعول أولى من وقت ولا هيئة أولى
من غيرها ولا صفة ولا كمية ولا كيفية أولى مما سواها
ثم إن هذا المعنى الذي تحصل به هذه المعاني إرادة لما أن الفاعل
إذا فعل شيئا في وقت على هيئة وصفة فقد طلب هذا الوجه لهذا
المفعول دون ما سواه من الوجوه إذ مال إلى تخصيصه بهذا الوجه
دون غيره من الوجوه ۞ والمراد بلفظة الإرادة عند المتكلمين
هو هذا المعنى الذي بينا وهو كون الموصوف بها مختارا في فعله
أو خروج مفعولاته على وجه دون وجه وهي بعينها المشية

المشية عندهم فالارادة والمشية عند المتكلمين لفظان ينبئان
عن معنى واحد لم يفرق بينهما احد من المتكلمين الا الكرامية
فانهم زعموا ان المشية صفة لله تعالى ازلية والارادة غير المشية
وهي حادثة عندهم في ذات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
واذ عرفت الارادة بحدها فنقول قال جمهور الامة ان الله تعالى
موصوف بالارادة على الحقيقة ∴ وقال النظام ومعتزلة بغداد
كالكعبي واستاذه ابي الحسين الخياط ومن تابعهم ان الله
تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة بل يوصف بها بطريق المجاز
وقالوا فيما اذا اضيف الى فعل الله فقيل اراد الله كذا فمعناه انه فعل
وان كان ذلك فعل غير الله فمعناه انه امر به قالوا لان الارادة
هي الشهوة فلو كان تعالى مريدا لكان مشتهيا وذلك لا يجوز ۞
وحجة اهل الحق على ان الله تعالى مريد وقوع المفعولات
المتجانسة على اوصاف مخصوصة يجوز وقوعها على غيرها وكذا
على هيئات مخصوصة في امكنة مخصوصة وازمنة مخصوصة فيعلم
عند تجانسها ان وقوعها على هذا الاختلاف في هذه الوجوه
لم يكن من اقتضاء ذواتها فيعلم ان ذلك لارادة الفاعل على
ذلك لولا هي لما وقعت على تلك الوجوه مع مساواة غيرها
من الوجوه في جواز الوقوع وبها يستدل على الفاعل في الشاهد
مريدا لما فعله كالبناء والكتابة وغيرهما ۞ ولانه لو لم يكن مريدا
لكان مضطرا في افعاله والمضطر عاجز محل لنفوذ قدرة غيره فيه
اذ ما وجد في المضطر من الفعل محض تخليق غيره ولا اكتساب
له فيه ولا قدرة له عليه ومن هو بهذه الصفة فهو محدث ۞ ومن
الدليل على بطلان قول المخالف ان الارادة اذا اضيفت الى فعل غير
الله يراد به الامر قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا فلو كان ما زعموا لكان تقدير الآية ولو امر ربك لآمن من

في الارض كلهم جميعا فيلزمهم احد وجهين اما ان يقولوا انه لم
يامرهم بالايمان نصرة لمذهبهم واصرارا على هواهم فيلزمهم الانسلاخ
لتكذيبهم نصوص الامر بالايمان للكل او يقولوا امر بالايمان
ولم يوجد الايمان منهم جميعا فكان فيه تناقض وتكذيب واثبات
الخلف في خبره وذلك محال ∴ وقولهم ان الارادة شهوة
فذلك منهم تلبيس اعتمدوه لنفي الصفة عن الله تعالى لان
الشهوة ارادة مخصوصة وهي ارادة ما فيه نفع للمريد والله تعالى
لا ينتفع بشيء فلا تكون ارادته اشتهاء بل ارادته صفة ربوبية
ولا يجب ان يفهم من ارادة الله تعالى ما يفهم من ارادة خلقه
كما لا يفهم من فعله وعلمه وسائر صفاته ما يفهم من صفات خلقه
فان العلم في الشاهد يكون باعتبار القلب ∴ وكذا الفعل
في الشاهد يكون بالعلاج وبالآلة وتعالى الله عز وجل عن معاني
خلقه ∴ وقد قامت الدلائل القاطعة من العقليات على ما
ذكرنا ومن السمعيات نحو قوله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وصف نفسه بالمشية والارادة فيثبتان على الحقيقة اذ ثبوت
الصفة له على المجاز محال لانه نقص ومن شرط القديم الكمال
وقال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

وأما قولهم لا تبلغه الاوهام ولا تدركه الافهام قال
اقضى القضاة ابو حفص الغزنوي الوهم هو ما يرجى كونه والفهم هو
ما يحصله العقل ويحيط به والله عز وجل ليس بذي كيفية فيتطبع
في الاوهام وليس بذي حد فيبلغ العقل كنهه بل هو متعالي
عن ان يحيط به شيء اذ المحيط اشرف من المحاط به والقديم
يرتفع عن احاطة شيء به قال الله تعالى ولا يحيطون به علما
وقال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء قال الامام
ابو منصور هذه الآية حجة ورد على المعتزلة في نفيهم العلم عن الله تعالى

وقد وصف نفسه به وأخبر أن له العلم وقوله إلا بما شاء يحتمل لا
علم الغيب فإنهم لا يعلمونه كقوله قل لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب إلا الله ويحتمل لا يعلمون من علم جميع الأشياء
إلا قدر ما يعلمهم الله تعالى ويخلق فيهم من العلوم الضرورية
والاختيارية كقول الملائكة لا علم لنا إلا ما علمتنا وقال
تعالى لا تدركه الأبصار والإدراك في اللغة هو النفوذ والإحاطة
بأطراف الشيء وجوانبه والله عز وجل يتعالى عن ذلك لأنه
خالق الحدود والنهايات وغلطت المعتزلة حيث حملت نفي
الإدراك على نفي الرؤية والله عز وجل تمدح بنفي الإدراك
وهو الإحاطة إذ المحاط محصور فتمدح الله تعالى عن أن يحيط
به شيء ويحصره وكم من شيء لا يدرك إذا لم يرى فلا تمدح في مجرد
نفي الرؤية إذ قد لا يدرك غيره إذا لم ير فكان التمدح في
نفي الإدراك مع الرؤية ولأن الرؤية مشاهدة الموجود
على ما هو به كالعلم فكما نعلم بلا كيفية ولا مائية
فكذلك نرى بلا كيفية ولا مائية ولأن الرؤية إثبات وتحقيق
فلا ينافي الكمال بل يلايمه ويحققه إذ الرؤية من صفات
الموجود والله تعالى موجود واجب الوجود لذاته فكان جائز
الرؤية عقلا وقد تأيد بورود الشرع فوجب الاعتقاد بأنه مرئي
بلا كيفية ولا مائية كما عرف بلا كيفية ولا مائية كما عرف بلا كيفية
ولا مائية ولا إحاطة وإنما تأخرت الرؤية إلى الآخرة لإثبات
محنة الإيمان عن غيب بالاستدلال بالآيات عن اختيار إذ لا
إيمان ينفع عند العيان لأنه يقع اضطرارا ⁂ ولذلك لم ينفع إيمان
الكفرة في الآخرة لوقوعه في دار العيان ⁂ وإنما الكلفة ببذل
المجهود في الوصول إلى معرفة المعبود والإيمان به عن غيب
بالاستدلال بشهادة الآيات عن اختيار مع مجاهدة نوازع النفس ودفع

الشبهات فكان تأخير الرؤية إلى الآخرة لإثبات المحنة بالأوامر
والنواهي لعاقبة الجزاء في دار البقاء **وأما قولهم ولا يشبهه الأنام**
قال الغزنوي هذا منهم نفي لمشابهة الأنام إياه لتعاليه عن صفات
الحدث الموسومة بالكيفية وقد وجب نفي المماثلة والمشابهة بين
الله تعالى وبين العالم من جميع الوجوه بالدلائل القاطعة العقلية
والسمعية على ما سبق بيانها عند شرح قولهم ولا شيء مثله قال
الإمام الناصري ثم معنى الأنام قيل الأنام كل ذي روح وقيل هو جميع
الخلائق كذا ذكر في كتاب التأويلات في قوله والأرض وضعها
للأنام قال الإمام أبو منصور هو عندنا كان المراد به البشر حيث
أخبر أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ⁂ ثم أخبر
أنه وضع الأرض للأنام قال الإمام الناصري فإن كان فقهاء
الملة رحمهم الله أرادوا بالأنام جميع الخلائق فلا إشكال لأن مشابهة
الخلائق منفية عن الله تعالى بالنص المحكم المذكور على نسق
ذكر أقسام العالم من السموات والأرض والبشر والأنعام بقوله ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير ⁂ وإن كانوا أرادوا بالأنام كل
ذي روح فقد دخل تحت لفظة الأنام الملائكة والبشر والجن وكل
ذي روح سواهم فإذا نفوا عن الله تعالى مشابهة هؤلاء الموصوفين
بالحيوة والقدرة والفعل الاختياري فقد نفوا مشابهة ما دونهم
من سائر المخلوقات بطريق الأولى ⁂ وإن كانوا أرادوا بالأنام
البشر فكذلك إذ المقصود بتخليق العالم هم البشر لقوله وسخر لكم ما
في السموات وما في الأرض جميعا فكان نفي مشابهتهم عن الله تعالى
نفيا لمشابهة من سواهم من الخلائق من طريق الأولى وحمل
تلفظهم بالأنام على إرادة البشر أولى لأنهم علموا أن اليهود مجسمة
وقد تبعتهم من هذه الأمة طوائف التجسيم والتشبيه وصفوا
الباري تعالى بأنه جسم على صورة البشر ⁂ وكذلك النصارى

مشبهة حيث وصفوا الباري تعالى بالولد والصاحبة فأرادوا بقولهم
ولا يشبهه الأنام الرد عليهم على المبالغة في تبرئة الله عز وجل
وتنزيهه عما لا يليق به مع نفيهم مشابهة العالم عن الله تعالى بقولهم
ولا شيء مثله في حد ذا فصل التوحيد وأما قولهم حي
لا يموت معناه إن الذي شهد العالم بجملته وبكل جزء
من أجزائه بشهادة الخلقة ودلالة الصنعة بألسنة التسخير
والتأليف والتركيب والتصوير على ألوهيته وقدمه ودوامه هو
حي لا يموت وعلى ذلك خاطب الله تعالى كافة العباد ودلهم على
الوحدانية والألوهية والقدرة والحيوة والعلم والحكمة والتدبير
والسلطان بعجائب مصنوعاته وبدائع مفعولاته فقال عز وجل الذي
جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم
من الطيبات ذلكم الله ربكم هو الحي لا إله إلا هو ففي هذه الآية
دلائل العقول والحكمة وحجج السمع فبدأ بذكر الإله الصانع
بقوله ذلكم الله ثم ذكر الصنع بقوله الذي جعل ثم ذكر المصنوع
بقوله الأرض ثم ذكر دلالة المصنوعية بقوله قرارا أي جعلها
مع سعتها وعظمها على هيئة يقرون عليها ويفترشونها ويتعيشون
فيها وهي موات مسخرة مصنوعة محدثة ليست بقديمة إذ
القديم يرتفع عن التغير والمهانة ويتعالى عن أوصاف النقص والمواتية
وهذه فراش مبسوط يفترشها الخلائق مسخرة مذللة لا تدفع عن
نفسها مع سعتها وعظمها إلقاء الاقتدار عليها وشق الأخاديد والأنهار
فيها فثبت كونها مصنوعة محدثة عاجزة مسخرة ولم تكن محدثة ٥
لنفسها لاستحالة الصنع من المعدوم ولامتناع الإيجاد من المحدث
مع كونه حيا فاعلا مختارا فثبت وجودها وحدوثها بصانع قديم
حي واحد وهو الله تعالى إذ لو كان الصانع عددا لم يتحقق ن
وجودها بدلالة التمانع ثم قال تعالى والسماء بناء أي سقفا محفوظا

قائما في الهواء بلا علاقة ولا عمد وهي مع سعتها وعظمها وغلظها وصلابتها
موات مسخرة لم تكن بنفسها بل بصانع واحد قديم حي قادر أمسكها
في الهواء عن السقوط بقدرة ذاتية أزلية وهو الله ∴ ثم جعل ما فيهما
مع بعد ما بينهما متصلة ليعلم أن ذلك كله صنع واحد ∴ ثم خاطب
العقلاء في تصوير جوهرهم وتركيب أبدانهم لينظروا في آيات ألوهيته
ووحدانيته وكمال قدرته وحكمته فقال عز ذكره وصوركم
وهم يعلمون أنهم كانوا أمواتا نطفا سلت من صلب الذكر وترائب
الأنثى ثم صارت في قرار مكين في ظلمات ثلاث انقطع عنها
تدبير الأبوين وسائر الخلائق ولو كانت موضوعة على لوح أو
طبق واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئا لم يقدروا
ومحال توهم عمل الطبائع فيها لأنها موات عاجزة لا توصف بحيوة
ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير ∴ ثم دل الصانع القديم
على معرفة وحدانيته وربوبيته بآثار صنعه بالتصوير والتركيب إذ
لا صورة إلا بمصور ولا تركيب إلا بمركب ودل على معرفة حكمته
وعلمه بآثار الإتقان والإحكام بقوله فأحسن صوركم قال
إمام الهدى أبو منصور فيه وجهان فأحسن أي أحكم وأتقن
في الدلالة على معرفة وحدانيته وربوبيته على ما أظهر في كل شيء
من الدلالة على الوحدانية والقدرة والحكمة ∴ والثاني
فأحسن صوركم أي حسن تركيبها منتصبا قامتها غير منكبة كسائر
الصور المنكبة على وجهها ثم ذكرهم تعالى بنعمه عليهم فيما تقوم
به أنفسهم فقال ورزقكم من الطيبات ∴ قال الإمام
أبو منصور الأوجه أن يكون معناه أي رزقكم من أطيب ما
أخرج من الأرض لأنه أخرج منها نباتا مختلفا فجعل أطيبه
وألينه رزقا للبشر وسائره رزقا للدواب ثم قال ذلكم الله ربكم
أي ذلكم الذي صنع بكم هذا هو ربكم لا أحد سواه فتبارك الله رب العالمين

ثم قال هو الحي لا إله إلا هو قال المفسرون أي هو
الحي الذي لا يموت أبدا قال الإمام أبو منصور هذا يعرفه كل
أحد لكن الأصل في معنى الحي هو النهاية والغاية في الثناء عليه
بالمدح والكمال ∴ وفيه أن الفعل المحكم لن يتأتى إلا من حي
قادر عليم سميع بصير حكيم يجري العلم بذلك مجرى المعارف
البديهية الضرورية حتى أن العقلاء بأسرهم ينسبون من يصف
نسج الديابج المنقوشة وتحصيل التصاوير المونقة وبناء القصور العالية
واتخاذ السفن الجارية ونجر الخشب على الاعتدال إلى ميت
عاجز جاهل إما إلى الحماقة والغباوة والجنون المطبق وإما
إلى العناد والمكابرة ولا يتخالجهم في ذلك ريب ولا شك
وجاء من هذا كله أنا عرفنا صفات الكمال في الشاهد
الحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر بتعاقب أضدادها التي
هي صفات النقص من الموت والجهل والعجز والصمم والعمى
وعرفنا ثبوت صفات الكمال في القديم لمعرفتنا باستحالة ثبوت
النقايص في حقه وعرفنا ثبوت القدرة والعلم بدلالة المحدثات
عليهما إذ لا فعل يتأتى بدون القدرة ولا إحكام يحصل بدون العلم
وعرفنا ثبوت الحيوة بطريقين عند جماعة من أصحابنا بدلالة
المحدثات عليها إذ إحكام الفعل كما لا يتصور إلا من قادر عالم
كذلك لا يتصور إلا من حي يحققه أن الحيوة لذات ما لا يعرف
في الشاهد إلا بوجود الأفعال الاختيارية وعند وجودها
يقع التيقن بثبوت الحيوة بحيث لا مجال للريب في ذلك
ويعد الشاك سوفسطائيا متجاهلا ∴ وكما يستدل بالفعل
المحكم المتقن على كون الفاعل قادرا عالما يستدل به على كونه
حيا وتمكن في فطر العقول بطلان وجود ذلك من غير
حي على ما قررنا بالدليل القاطع ∴ وعرفنا ثبوت الحيوة عند جماعة

من أصحابنا بدلالات العلم والقدرة بواسطة الفعل ∴ فإن الفعل
يدل على علم الفاعل وقدرته ∴ ويستحيل ثبوتهما بدون الحيوة
إذ الحيوة شرط ثبوتهما ∴ إذ الموت والجمادية يضادان العلم والقدرة
فإن العقول السليمة كما تأبى قبول قول من أخبر عن اجتماع الموت
والحيوة ∴ والسواد والبياض ∴ والحركة والسكون في ذات
واحد في وقت كذلك تأبى قبول قول من يجوز ثبوت العلم
والقدرة للميت ولو جاز اجتماع العلم والقدرة مع الموت ∴
لجاز أن يكون كل ديباج نفيس وكل صورة مونقة
وكل قصر عالي في العالم كانت حاصلة عن فعل الجمادات
والموتى ∴ ولعل كل تصنيف دقيق في فن من العلوم
كان من عمل الموتى والجمادات وتجويز هذا كله هذيان
وخروج من قضية العقول والتحاق بالسوفسطائية فثبت
بما بينا من الدلايل العقلية والحجج السمعية أن صانع العالم
موجود قايم بذاته حي قديم باقي قادر عالم سميع بصير متكلم
خالق مريد حكيم واحد ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس
بشبيه لشيء من المحدثات إذ قد أقمنا الدلايل القاطعة على
كون العالم بجميع أقسامه كان معدوما وآيات المصنوعية
فيها بادية ظاهرة على ما بينا فيستحيل وجوده بلا صانع كما بينا
استحالة وجود الأبنية المحكمة في الشاهد بلا بان ∴ ويستحيل
وجوده من غير موجود إذ لا صنع للمعدوم ∴ ويستحيل وجوده
من غير قايم بذاته لما أن القايم بغيره محدث ∴ ويستحيل
وجوده من غير حي إذ الميت لا يتأتى منه صنع ∴ ويستحيل
وجوده من غير قديم باق بذاته إذ ما سواه محدث يستحيل منه
إيجاد المعدوم ∴ ويستحيل وجوده من غير قادر بذاته إذ القادر
بغيره لا يقدر على تبديل صفة ذميمة موجودة فيه فلأن لا يقدر

على إيجاد المعدوم أولى وأظهر ∴ ويستحيل وجوده من غير عالم
إذ لا يتأتى منه إحكام الفعل وإتقانه والعالم مفعول محكم متقن
ويستحيل وجوده من غير سميع إذ الأصم ناقص والناقص لا يكون إلها
ويستحيل وجوده من غير بصير لمعنى النقص ∴ وكذا يستحيل
وجوده من غير متكلم إذ ضد الكلام نقص ∴ ويستحيل
وجوده من غير خالق إذ التخليق إخراج المعدوم من العدم إلى
الوجود وعدم ذلك المعنى في الأزل نقص ∴ والناقص لا
يكون إلها ∴ ويستحيل وجوده من غير مريد لانعدام المعنى
الذي به يكون تخصيص المفعولات ∴ ويستحيل وجوده من
غير حكيم لانعدام معنى الإحكام والإتقان ∴ قال
سيف الحق أبو المعين وسائر أئمة الهدى هذه المعاني كلها
توجب الكمال فكانت من شرط القديم ∴ وأضدادها نقص
والناقص لا يكون إلها ∴ ويستحيل وجوده من غير واحد
لما في العدد من التدافع والتمانع الموجب لتعطل المصنوع حتى
يتحقق الغالب الواحد وقد وجود المصنوع فتحقق وحدانية
الصانع ∴ ويستحيل وجوده من جسم لما دل الجسم على كونه
مصنوعا والمصنوع لا يكون إلها وكذا العرض والجوهر للزوم الحدثية
والمصنوعية إياهما وكذا يستحيل وجود العالم من شبيه للعالم لما
في ذلك من لزوم دلالة الحدث وتعطل القدم قال الله تعالى
في إثبات الألوهية والوحدانية لنفسه مخاطبا لكافة العقلاء
من خلقه وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ∴ وقال
في إثبات ملكية العالم لنفسه ونفي المشابهة فقال فاطر
السموات والأرض ثم أتبعه بذكر خلق البشر والأنعام ثم
أتبعه بذكر نفي المماثلة على المبالغة فقال ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير ∴ وقال في إثبات الأزلية والبقاء هو

الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقال في
نفي الشريك والعدد أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو
كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال وما كان معه من إله
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقال في
إثبات خالقية كل الأشياء لنفسه واستحقاق العبادة والألوهية
على الانفراد فقال ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل
شيء فاعبدوه ∴ وذكر في إثبات الألوهية وكمال القدرة
ونفاذ الإرادة والبقاء والعظمة والحيوة الأزلية الباقية لنفسه
فقال الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم ∴
فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم ∴ وقال
هو الحي لا إله إلا هو ∴ وقال ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام ∴ وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

وأما قولهم قيوم لا ينام

أقروا وأثبتوا قبل هذا بأن صانع العالم حي لما قامت الدلائل
القاطعة أن إثبات الحيوة أصل في إثبات صفات الكمال لما في
نفي الحيوة نفي السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة ∴ وفي
القول بتعري ذات الباري عن شيء من صفات الكمال إثبات
ضده وهو محال على القديم ∴ وقد أثبتوا هاهنا بأنه تعالى قيوم
لا ينام وفي معنى القيوم وجهان قال قائلون القيوم هو القائم
على كل نفس بما كسبت وقال آخرون القيوم هو الحافظ
قال الإمام أبو منصور القيوم والقائم والقيام يرجع إلى معنى
واحد ∴ وقولهم لا ينام نفي للنوم والسنة والسهو والغفلة ∴
وفي القيوم وصف إياه تعالى بالقيام بمصالح الخلق وأرزاقهم
وإنه قائم على كل شيء بحفظه وتعاهده وتصريفه فيما شاء

وفيه نفي السهو والغفلة عنه قال الله تعالى إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وقد
سمى الله تعالى نفسه حيا قيوما مع تجريد الألوهية والواحدانية
في غير موضع من كتابه فقال الله لا إله إلا هو الحي القيوم
لا تأخذه سنة ولا نوم ∴ وقال وعنت الوجوه للحي القيوم
قالوا ومعنى الحي هو الحي بذاته لا بحيوة هي غيره كالخلق فإنهم
أحياء بحيوة هي غيرهم لذلك يحل فيهم الموت فأما الله تعالى فهو
حي بذاته أي إن الحيوة صفة ذاتية أزلية له لا هو ولا غيره ∴
فيستحيل أن يحله الموت إذ الأزلي يستحيل عليه العدم

وأما قولهم خالق بلا حاجة

منعوا عنه الحاجة إذ الحاجة نقص يفتقر المحتاج إلى دفعه والقديم
يستحيل في حقه طريان ما يفتقر إلى رفعه ودفعه فيتعالى عن
مساس الحاجة قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
والله هو الغني ∴ وقال إن الله لغني عن العالمين بل أوجد
العالم لحاجات المحتاجين من جلب المنافع بالطاعة ودفع المضار ∴
باجتناب المعصية قال الله تعالى وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما لاعبين أخبر تعالى أنه لم يخلق السموات والأرض وما
بينهما لعبا باطلا على ما اعتقد أولئك الكفرة بأن تكون
السماء سماء والأرض أرضا لا لتكونا وما بينهما دليلا على صانع حكيم
مستحق للشكر فيفعلوا ما شاؤا وينتفعوا بمنافع السماء والأرض
ثم يموتوا ويبيدوا لا ثواب لا عاقبة بعث ولا جزاء ولا حساب على ما
شكروا أو كفروا ∴ فيكون على زعمهم إنشاء السموات والأرض
وإنشاء ما بينهما لعبا باطلا فرد الله تعالى عليهم ظنهم وزعمهم وأخبر
أنه خلقهما وما فيهما لعاقبة أرادها وهو أن يمتحن أهلهما بالأوامر
والنواهي إذ في الشاهد من عمل عملا لا يقصد به عاقبة فهو عابث ∴

ويتعالى من دلت المصنوعات على قدمه ووحدانيته وحكمته أن يكون
فعله عبثا ولذلك قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا
ترجعون أخبر أنه لو لم يكن رجوعهم إليه بعد موتهم وفنائهم لكان خلقه
إياهم عبثا ثم نزه تعالى نفسه عن أن يكون فعله عبثا بقوله فتعالى
الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ∴ وقال وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ثم بين أن ذلك ظن من
فقال ذلك ظن الذين كفروا ∴ ثم بين جزاء ظنهم وكفرهم ∴
بالصانع وإنكارهم البعث بقوله فويل للذين كفروا من النار ∴
وقال ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق وقوله ألم
تر حرف تنبيه عن أعجوبة قال أبو منصور فإن كان الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصيرا كأنه قال قد رأيت وعلمت
أن الله خلق السموات والأرض بالحق ∴ وإن كان الخطاب لأولئك
يقول اعلموا أن الله خلق السموات والأرض بالحق لم يخلقهما
عبثا باطلا ∴ ثم قوله بالحق قال عامة المفسرين بالحق أي للحق
قال أبو منصور معنى قولهم للحق أي للأمر الكائن لا محالة وهي
الآخرة لأنه خلق العالم الأول للعالم الثاني فإن المطلوب
من خلق هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلق السموات والأرض
في الحاصل للعالم الثاني لا للأول لأنه لو كان للأول دون
الثاني لحصل خلقهما للفناء فإن فناء هذا العالم متحقق وهو
البشر الذين سخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعا يموتون
ويفنون حقيقة ومعلوم أن الخلق للفناء خاصة بلا عاقبة خارج
عن الحكمة وهو ما قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا
لا ترجعون ∴ وقال آخرون قوله بالحق أي بالحكمة والحكمة
ما نصب فيهما من آيات الوحدانية والألوهية وكمال القدرة والعلم
والحكمة والاستغناء عن كل شيء ∴ وقال تعالى وما خلقت

الجن والإنس إلا ليعبدون وتأويله عند أهل الحق أي لآمرهم
بعبادتي وأنهاهم عن معصيتي فكان خلق الخلق لحاجتهم لا لحاجته
إذ هو غني بنفسه عن العالمين **وأما قولهم رازق بلا مؤنة**
فإنما قالوا ذلك لأنه تعالى يرزق خلقه بلا كسب ولا علاج ولا
استعانة بسبب لأن جميع ما يريد يكون بالتكوين على ما قال
تعالى إنما أمرنا الشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلا
تلحقه المؤنة لأنه كامل القدرة كامل الغنى إذ قدرته
بذاته لا بقدرة مستفادة وغناه بنفسه لا بغيره فيتعالى عن لحوق
المؤنة والكلفة لكنه تعالى خلق العالم الأول وهي الدنيا للاستعباد
والمحنة بالأوامر والنواهي وخلق العالم الثاني وهي الآخرة للجزاء
الوفاق خالدين .·. فجعل أمور الدنيا معلقة بالأسباب امتحانا
وابتلاء على ما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون
وجعل أهلها بعضهم لبعض سخريا على ما قال تعالى ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا .·. وجعل منافع السماء وهي الكواكب والشمس والقمر
والأمطار متصلة بمنافع الأرض وهي إخراج النبات والزروع
والأشجار لإظهار دلائل الوحدانية والألوهية ولإظهار آثار
الحكمة البالغة والمشيئة النافذة .·. وخلق أصل البشر وهو آدم
صلوات الله عليه من صلصال كالفخار وخلق نسله من ماء مذر لإظهار
الآيات والعبر .·. وخلق الملائكة من نور وبما شاء على ما ورد
في الخبر وخلق الجان من مارج من نار وخلق للعاقبة الباقية
دارين الجنة والنار وقدر الخير والشر وضرب الآجال .·.
والمقادير وكل شيء عنده بمقدار وامتحن الملائكة بمحن متنوعة
بعضهم بالكون مع السحاب والأمطار وبعضهم بكتبة أعمال
البشر .·. وكل شيء قبل الخلق عنده مستطر .·. وجعل السماء
مع سعتها وعظمها قائمة في الهواء بلا علاقة ولا عمد بالقدرة القاهرة

وكذا جعل السحب الثقال الماطرة وعليها وعليها بحور الماء قارة على
متن الهواء بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت وهي أعجوبة مشاهدة
نصبها الله تعالى إظهارا لآثار القدرة والحكمة وليعلموا أنه يرزق خلقه
بلا مؤنة وأنه امتحن البشر بالشكر والصبر بالأسباب المذكورة
وكل ذلك للمحنة لا للاستعانة وكفى دليلا على تحقيق
ذلك قيام السماء مع عظمها وسعتها في الهواء وقيام السحاب
الثقال مسخرا بين الأرض والسماء والله الموفق **وأما قولهم**
مميت بلا مخافة فإنما قالوا ذلك لاستحالة ورود الضرر عليه
منهم حيث أخرجهم إلى الوجود من العدم ثم خولهم وقوتهم به لا
بأنفسهم فلم تكن إماتته إياهم المخافة منهم إذ هو العزيز القهار المتفرد
بالدوام والبقاء القاهر لعباده بالموت والفناء أنشأهم ليكون إنشاؤه
دليلا لهم على أن لهم موجدا قديما أوجدهم بقدرته لا لحاجته
بل لظهور عظمته وتعاليه وكذلك جعل إماتتهم دليلا على
تفرده بالعز والبقاء فكان من كمال قدرته أن أوجدهم
من العدم ومن كمال قدرته حكمته أماتهم ليعيدهم
بعد التلاشي والعدم ليجازيهم في دار البقاء والدوام إعلاما لهم أنه
ما بناهم ليهدمهم بلا عاقبة البعث والإعادة فيكون سفها وعبثا
تعالى عن ذلك إذ هو القديم الحكيم ولذلك قال أفحسبتم
أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون أخبر أن الخلق
لا لعاقبة البعث والرجوع إليه يكون عبثا .·. ثم نزه ذاته القديم
عن أن يكون فعله عبثا بقوله فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا
هو رب العرش الكريم **وأما قولهم باعث بلا مشقة**
فإنما قالوا ذلك لأن الله تعالى خلق العالم بلا مشقة بالتكوين
القائم بذاته على ما قال تعالى إنما أمرنا الشيء إذا أردناه أن نقول
له كن فيكون فيتعالى في بعثهم وإعادتهم بعد موتهم وتلاشيهم

عن لحوق المشقة بل الإعادة في عقول الخلق أهون من الإنشاء
والابتداء قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الأول أي ما عيينا
بالخلق الأول فكيف نعيى بالخلق الثاني ∴ وقال تعالى ولقد
علمتم النشأة الأولى وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة أخرى وقال جوابا للذي أنكر البعث وضرب مثلا
وقال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة الى قوله أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وذكر تعالى
في الكشف عن أحوال النشأة لإلزام الحجة على منكري النشأة
الثانية وهو البعث بعد الموت فقال يا أيها الناس إن كنتم في
ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ∴ قوله فإنا خلقناكم
قالوا معناه أي خلقنا أصلكم وهو آدم من تراب وخلقنا أولاده
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أي كيف تشكون في البعث
وتنكرونه وليس سبب إنكاركم البعث إلا أن تصيروا ترابا
وماء في آخر أمركم وقد كنتم في مبادي أحوالكم ترابا وماء فكيف
أنكرتم بعثكم إذ صرتم ماء وترابا ∴ قال إمام الهدى وفيه
تأويل آخر فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم
من مضغة فلو اجتمع حكماء البشر ليعرفوا المعنى الذي به خلق البشر
من ذلك التراب أو من النطفة ما قدروا عليه إذ ما وجدوا في التراب
والماء أثر البشر ولا وجدوا فيه معنى البشرية فمن قدر على ابتداء
إنشاء هذا العالم من التراب أو من النطفة من غير أن يكون في
الأصل أثر ما خلق منه ولا معناه فهو قادر على إعادتهم وإعادة الشيء
في عقول الخلق أهون من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على
الإعادة أقدر ∴ وقوله تعالى من مضغة مخلقة وغير مخلقة قال

قايلون مخلقة أي مخلوقة خلقا وغير مخلقة أي متروكة نطفة على حالها
غير مخلوقة خلقا ∴ وقال آخرون قوله مخلقة أي تامة وغير
مخلقة أي غير تامة خلقا على ما يشاء قال أبو منصور وهذا
أشبه لأن التشديد إنما يذكر لتكثير الفعل فكأنه قال مخلقة أي
قد أتم خلقها من الجوارح والأعضاء ∴ وغير مخلقة أي غير تامة
خلقها ناقصة ∴ وقوله لنبين لكم فيه وجوه أحدها يبين
قدرته وسلطانه أي من قدر على تحويلهم وتقليبهم من حال
التراب إلى حال الانسانية والبشرية بعد إعدام الترابية بحيث
لم يبق من أجزاء التراب شيء ومن حال النطفة إلى حال العلقة
ثم إلى حال المضغة بعد إعدام الأولى فهو قادر على البعث
والإحياء بعد ما صاروا ترابا وتلاشت أجزاؤهم فليس في موتهم
وفنائهم إلا هذا وعلى هذا أنشأهم ابتداء فكذلك ينشئهم إعادة ∴
والوجه الثاني أي يبين علمه في الظلمات الثلث التي كان
هو فيها أن كيف قلبه من حال إلى حال في تلك الظلمات
وركب فيه عينين يبصر بهما بفتحة واحدة إلى السماء
مسافة خمس مائة عام لينظر إليها فبناء مثلها قايمة في الهواء مسخرة
مبنية منضدة مرتبة محفوظة بلا علاقة ولا عمد ∴ ثم إلى نفسه
أي يتأمل في نفسه ثم ينظر إلى الأرض وإلى ما فيها ليستدل
بالصنعة على الصانع وركب فيه سمعين لاستماع ما يؤمر
وينهى ∴ ويدين للأخذ والإعطاء ∴ ورجلين للسعي والطلب
ولسانا لينطق بالحق ∴ وشفتين للفتح والطبق ∴ وقلبا وعقلا
ليستدل بما حضر على ما غاب ليعلم أن من دبر هذا التدبير
في تلك الظلمات قادر قديم عالم حكيم لا يخفى عليه شيء ∴
والثالث يبين حكمته وتدبيره في خلق الإنسان
من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع حكماء العالم ليعرفوا المعنى

الذي خلق الإنسان منه وصار بشرا ما قدروا عليه ليعلموا انه حكيم
بذاته عليم بذاته لا بتعليم غير ومن كان هذا سبيله لا يعجزه
شيء وانه ينشئ الأشياء من الأشياء وينشئ لا من الأشياء
على ما شاء وكيف شاء وبالله الحول والقوة ومنه التوفيق والعصمة
قال أئمة التحقيق ففي هذا الفصل حجة كافية لعقلاء
العالم على إثبات البعث وتحقيقه ∴ وفي كون السماء قائمة
في الهواء فوق رؤوسهم بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت
وهي موات عاجزة مسخرة مع سعتها وغلظها أعجوبة ظاهرة
وآية قاهرة للعقول والحواس ∴ ولولا اعتياد الناظرين
منذ نشوهم إليها ومشاهدتهم إياها كذلك لصعقوا لعظيم هول
القدرة القاهرة ∴ ثم جعل الله تعالى السحاب الثقال
حاملا لبحور الماء مسخرا بين الأرض والسماء بلا علاقة من
فوق ولا عمد من تحت قائما تارة وسائرا تارة قد طبق
وجه السماء في الطول والعرض أعجوبة ظاهرة وعلم
ظاهر لولا إمساكه بالقدرة الأزلية لأهلكت بوقوعها
الخلايق أجمع فمن قدر على ذلك فهو قادر على كل شيء من
الأشياء والإعادة بعد التلاشي والفناء فيبطل قول الدهرية
بقدم العالم بشهادات الخلقة ودلايل الحدث والمصنوعية
بالتغير المعاين والحدوث المشاهد وتلاشيهم جيلا بعد
جيل ومن شرط القديم أن لا يتغير وباطل قول الثنوية
بأدلة التدافع والتمانع على ما مر بيانها ∴ وباطل قول أهل
الطبع بأدلة العقول وشهادات المعارف على ما سبق بيانه
إذ الطبايع موات عاجزة جاهلة لا توصف بحيوة ولا قدرة
ولا سمع ولا بصر ولا علم ولا بيان أي من الموات ولا الإحكام من
الجاهل ∴ ولا تخصص تخصيص المفعول بحالة وهيئة من غير حي

مريد ولكن الدهرية والثنوية والطبايعية كابروا أدلة العقول
ومعجزات الأنبياء والرسل وشهادات الحواس التي هي طرق
العلوم والحقايق وموهوا بخيالات فاسدة وظنون كاذبة
خلعا لربقة التي شهدت بها خلقتهم ودلت عليها جبلتهم
ورضوا برتبة البهايم المهملة عن الأوامر والنواهي التي هي شرف
العقلاء وحلية الحكماء ثم هم مع ذلك يدعون الفلسفة
والحكمة ويموهون على الضعفة المنكبين على تحصيل الحطام
بإضافة الصنع إلى العناصر الأربعة وهي التراب والماء والنار والهواء
وإلى الطبايع البسيطة وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
ولبسوا على أهل الجهل والغباوة إذا الزموا بشيء من دلايل حدث
العالم من التغير والوجود والانعدام فقالوا ذلك ظهور وكمون
نوقعوا عند ذلك في تيار الحيرة والضلالة تضرب بهم أمواج
السفسطة والجهالة حتى يضحك منهم أهل الجهل والغباوة فضلا عن
أهل المعرفة والحكمة ∴ وبيان الظهور والكمون الذي
تشبثوا بهما على زعمهم أن تكون النخلة العظيمة الطويلة بسعفها
المنتشرة وأعذاقها المتدلاة كامنة في النواة ∴ والطير العظيم
الجثة بجناحيه ومخالبه ومنقاره وريشه كامنا في البيضة
بجميع أوصافه المذكورة ∴ والرجل العظيم الجثة الذي انتهى
في استماع الأعضاء والجوارح والحواس السليمة والعقل
والقلب وهو بضعة لحم محل للتأمل والتفكر مع لحية طويلة
وعربضة وشيبة بيضاء مع ساير أوصافه المذكورة على هيئته
المذكورة كامن في تلك النطفة المذرة التي هي قطرة
ماء لم يرد عليها تدبير صانع حكيم قلبها من حال إلى حال ∴
ومعلوم كون تلك النطفة في صلب الذكر فزعمت
الدهرية هذا الهذيان الخارج عن قضية العقول وشهادات

المعارف نعوذ بالله من الخذلان وحرمان العرفان ولذلك عذب
المكذبون لآيات الرسالة المعاندون لحجج الوحدانية بأنواع الاستيصال
كقوم نوح بالطوفان حتى لم يترك على الأرض من الكافرين ديارا ∴
وكذلك بعاد قوم هود ∴ وثمود قوم صالح ∴ وأهل مدين قوم شعيب
وقلب قريات لوط ∴ وخسف قارون مع داره ∴ وطم باليم
فرعون مع جنوده ∴ وكلهم كذبوا الرسل وأنكروا البعث
بعد الموت ∴ وقد تواترت بذلك الأخبار ∴ والأخبار المتواترة
توجب العلم بالمخبر قطعا كمشاهدة العيان عند كل من لا
يكابر العيان فإن العلم بالملوك المتقدمين كذي القرنين وسليمن
والقياصرة والأكاسرة ثبت العلم بهم قطعا بالخبر المتواتر كما
ثبت العلم بهم لمن رآهم عيانا ∴ وكذلك ثبت العلم بالبلدان
النائية كمكة والمدينة ومصر عن الخبر المتواتر يقينا كما ثبت
العلم بها لمن رآها عيانا ∴ وكذلك تواتر الخبر بإحياء الموتى
معجزة لبعض الرسل وهو عيسى صلوات الله عليه وذلك من آيات
إثبات البعث بعد الموت وكذلك ابرهيم صلوات الله عليه طلب
من ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى لتكون له آية ∴
حسية حجة على منكري البعث فقال له خذ أربعة من
الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ∴ قوله فصرهن أي
فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا قالوا ففعل ابرهيم
ذلك ثم أخذ رؤس الطيور الأربعة فدعاهن فأتينه سعيا أحياء
وتواتر الخبر بذلك وجاء به الكتاب المعجز وكذلك تواتر الخبر
أن رجلا مات وأحياه الله تعالى بعد مائة سنة وقد ورد به الكتاب
العزيز وهو قوله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال

قال أهل التفسير هو عزير عليه السلام مر على قرية

كم لبثت

كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام
قال الإمام أبو منصور أراد والله أعلم أن يريه الآية
في نفسه على البعث والإحياء بعد الإماتة وأن تكون آية
للمتأخرين على إنكار البعث والإحياء بعد الموت وذلك
قوله تعالى ولنجعلك آية للناس ∴ وفي كيفية إرائته
للإحياء وجوه قيل إنه أحيا عينيه وقلبه فأذن له بها كيفية
الإحياء في بقية نفسه فيصير إحياء الميت معاينا له فيكون قوله
وانظر إلى العظام كيف ننشزها أي انظر إلى عظامك ∴ وقيل
أحيا نفسه وأراه كيفية إحياء الميت في حماره بقوله وانظر
إلى حمارك فيكون قوله وانظر إلى حمارك يعني إلى إحياء حمارك
وقوله وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما روي
عن السدي أنه قال إن الله تعالى أحيا عزيرا ثم قال له انظر
إلى حمارك وقد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت
بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت
فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس
فيها لحم ودم ثم كسا العظام لحما ودما ليس فيه روح ثم أقبل ملك
حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله تعالى
قال الإمام أبو منصور وكان في قصته آيات عجيبة منها ما
قيل أنه أتى أولاده وهم شيوخ وهو شاب بعد ما لبث مائة عام
ومنها إبقاء طعامه وشرابه مائة عام على ما هو عليه من غير
تغير ومن طبعه الفساد والتغير عند مضي أيام فكيف عند
مضي الزمان الطويل ∴ ومنها موت حماره والبس من طبع
الحمار الهلاك والفساد عن سريع فهذه آيات عجيبة على إظهار
قدرة الله تعالى يبقي ما طبعه الفساد من غير تغير ويغير ويهلك
ما طبعه البقاء من حيث الظاهر فتكون كل واحدة منها دلالة

على قدرة الإحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى واعلم أن الله
على كل شيء قدير ∴ وكذلك تواتر الخبر أن قوما خرجوا
فرارا من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم وقد ورد به الكتاب
العزيز وهو قوله ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على
الناس قال الشيخ أبو منصور قوله ألم تر حرف تنبيه عن
أعجوبة كانت ولذلك يكون تأويل هذه الكلمة تارة عبارة
عن الخبر وتارة عن العلم وتارة عن النظر فقيل ألم تر بمعنى
ألم تنظر وتارة بمعنى ألم تعلم ومثل هذا إنما يقال عن أعجوبة في القصة
ثم تكلم أهل التأويل في قصة أولئك قال قائلون كانوا خرجوا فرارا
من الجهاد في سبيل الله فأماتهم الله عز وجل ثم أحياهم وأمرهم
أن يخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ∴ وقال آخرون إنه وقع
الطاعون في قومهم فخرج أناس وبقي أناس فنجا الخارجون وهلك
الباقون فلما كانت السنة الثانية خرجوا بأجمعهم إلا قليلا
فأماتهم الله ثم أحياهم كذا روي عن الحسن ∴ وكذا
روي عن ابن عباس قال كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا
من الطاعون فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن قيل اسمه حزقيل
يحييهم فأحياهم الله تعالى ∴ وقيل كانوا ثمانين ألفا ∴
وممن أميتوا ثم أحياهم الله تعالى ما قص الله تعالى في كتابه
بقوله وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم
الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية ∴ قال
قائلون هم الذين اختارهم موسى سبعين رجلا ليحملهم إلى طور
سيناء ليأتيهم بالتوراة فقالوا لن نصدقك بالرسالة والتوراة حتى
نرى الله جهرة فيخبرنا أنه أنزلها عليك ∴ وممن بعث بعد الموت
ما ذكر الله تعالى في كتابه فقال وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم

أن تذبحوا بقرة إلى قوله وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج
ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون وذلك أنه قتل في بني إسرائيل
قتيل فاختلفوا في قاتله وتدافعوا فرفعوا الأمر إلى موسى ∴
فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وأخبرهم أنهم إن فعلوا
ذلك وضربوا المقتول ببعضها فإن القتيل يعيش ويخبرهم
بمن قتله ففعلوا ذلك فعاش المقتول وقال قتلني فلان بن
فلان ثم استلقى ميتا وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى أي
هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون ذلك ∴
فإنهم كانوا لا يتوهمون الإحياء بضرب بعض البقرة عليه
وقوله تعالى ويريكم آياته لعلكم تعقلون قال
أبو منصور فيه وجوه يحتمل يريكم آياته أي يريكم آيات ∴
وحدانيته ويحتمل أي يريكم آيات إحياء الموتى وآيات
البعث بعد الموت ويحتمل ويريكم آيات نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم إذ أخبر بهذه القصة عن الغيب وذكرها
على وجه يعلم أهل الكتاب أنه عن الله تعالى يخبر إذ علموا
أنه لم يكن له حظ في العلوم الخبرية لأنه ولد من قوم
أميين ولم يحسن قراءة الكتب ولم يخط بيمينه ولم يختلف
إلى من عنده علم ذلك ولم يفارق عشيرته فيتوهم أنه تعلم
من البشر فكان باب تحصيل العلوم الخبرية من قبل البشر
منسدا عليه وكان يخبر عن القصة على التفصيل بحيث لا يعرفه
إلا الحذاق منهم في علم الكتاب وكانت العلوم الخبرية
متداولة بين أهل الكتب السماوية من التوراة والإنجيل
والزبور ونحوها بلسان السورية والعبرية وهي معدومة عنده
صلوات الله عليه فدل إخباره بكل قصة ذكرها الله تعالى في كتابه

على كونهما حجة واضحة على ثبوت رسالته صلوات الله عليه

وأما قولهم ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته

قال القاضي أبو حفص الغزنوي أرادوا بهذا القول أن الله تعالى متصف بجميع صفاته قبل وصف الواصفين إياه بها أي إن الله تعالى موصوف بأسمائه وصفاته الذاتية كالحيوة والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة والسمع والبصر وبصفاته الفعلية كالتخليق والتكوين والإيجاد والإحداث والإحياء والإماتة كلها صفات له قائمة بذاته في الأزل وتأخر ظهور آثارها إلى الأوقات التي علم وجودها في الأزل وتأخر ظهور الأثر عن المؤثر ثابت بالأدلة القاطعة وهذا هو مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وساير أهل السنة والجماعة

القول باجماع الائمة الاربع

وإذ قد ثبت بالأدلة القاطعة أن صانع العالم قديم ومن شرط القدم التبري عن النقايص ثبت أنه حي قادر سميع بصير عالم إذ لو لم يكن كذلك لكان موصوفا بأضدادها إذ هذه صفات متضادة متعاقبة لذلك فلو لم تكن هذه الصفات وهي الحيوة والقدرة والسمع والبصر والعلم ثابتة لثبت ما يعاقبها ويضادها من الموت والجهل والعمى والصمم والعجز وهي نقص ومن شرط القدم الكمال فدل أنه موصوف بما بيّنا من صفات الكمال لما انتفى عنه أضدادها التي هي من صفات سمات الحدث لكونها نقايص ∴ وإذا ثبت أيضا أنه هو المخترع لهذا العالم مع اختلاف أنواعه وهو الخالق له على ما هو عليه من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وعجيب النظم والترتيب وتركيب الأفلاك الدايرة وما فيها من الكواكب الثابتة والسايرة وتسخير

الشمس والقمر دائبين يتسقان فلا يتداركان ويتداركان فلا يختلطان ∴ وجعل الليل والنهار متكررين على الخلايق أحدهما يغشي بسلطانه وجوه الأشياء ويغطيها ∴ ويكشف الآخر الستائر عن وجوه الأشياء ويجليها ∴ وما يرى ويشاهد في أبدان الحيوانات من الحيوة والتمييز والاهتداء إلى اجتلاب المنافع واجتناب المضار وما فيها من لطايف الحواس ومجاري الأنفاس ∴ وما فيها من في الأجسام الجمادية من البدايع ∴ والخاصيات التي أودعت فيها على وجه لو تأمل علماء العالم وحكماء الأنام الموصوفون بدقة الأفكار وحدة الخواطر وكمال التمييز ورجاحة العقول إلى انصرام الأعمار وانقضاء الآجال لما وقفوا على كنهها ولا على جزء من ألف جزء مما فيها من آثار كمال الحكمة ولطايف التدبير على ما قال الصانع القديم في كتابه الحكيم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ثبت أنه حي قادر عالم سميع بصير تجري العلم بذلك مجرى المعارف البديهية الضرورية حتى أن العقلاء بأسرهم ينسبون من يضيف بناء القصور العالية والدور الواسعة ذوات التقاطيع العجيبة ونسج الديابيج المنقوشة وتحصيل التصاوير المونقة ونصب الأسرة المرفوعة واتخاذ السفن الجارية ذوات الشراعات العالية ونجر الخشب المنجورة على التقاسيم المعتدلة إلى ميت عاجز جاهل إما إلى الحماقة والجنون وإما إلى العناد ومكابرة العيان فعرفنا ثبوت هذه الصفات التي هي صفات الكمال قطعا لانتفاء النقايص عن القديم ∴ ثم كما دلت المحدثات على القدرة والعلم لما لا يتأتى الفعل بدون القدرة ولا يحصل إحكام الفعل بدون العلم كذلك دلت على ثبوت الحيوة لأن الفعل كما لا يتأتى بدون القدرة ولا إحكام تحصل بدون العلم

كذلك لا يتصور وجود الفعل إلا من حي تحققه أن الحيوة لذات
تا لا يعرف في الشاهد إلا بوجود الأفعال الاختيارية وعند وجودها
يقع التيقن بثبوت الحيوة بحيث لا مجال للريب في ذلك وبعد ٥
الشاك فيه متجاهلا ∴ ودليل استحالة ثبوت القدرة والعلم
بدون الحيوة أن الموت والجمادية يضادان العلم والقدرة كما
يضادان الحيوة إذ العقول السليمة كما تأبى قبول قول من
أخبر عن اجتماع الموت والحيوة والسواد والبياض والحركة
والسكون في محل واحد في وقت واحد تأبى قبول قول من
يجوز ثبوت القدرة والعلم للميت وتعرف امتناع اجتماعهما
مع الموت كما تعرف امتناع اجتماع الحيوة والموت ∴ تحققه
أنه لو جاز ثبوت القدرة والعلم بدون الحيوة لجاز أن يكون
كل ديباج نفيس وكل صورة مونقة وكل قصر عالي
في العالم كانت حاصلة عن فعل الجمادات في الموتى ولعل
كل تصنيف دقيق في فن من العلوم كان من عمل الموتى
والجمادات وتجويز هذا كله هذيان وخروج عن قضية
العقول والتحاق بالسوفسطائية المتجاهلة الدهرية
وبالطبايعية حيث أضافوا إحداث الحيوانات إلى الموات ∴
وعرف بهذا بطلان قول أبي الحسن الصالحي أن الحيوة
ليست بشرط للقدرة والعلم وجوز وجودهما في الموتى والأجسام
المواتية وكذا جوز السمع والبصر فيها وعرف أيضا بطلان
قول الكرامية حيث جوزوا اجتماع ما وراء القدرة
مع الموت **وإذ قد عرف** بالأدلة القاطعة أنه تعالى حي
عالم قادر سميع بصير نقول إنه تعالى يجوز أن يوصف
بها فيقال هو حي قادر عالم سميع بصير بل يجب بل لا يثبت
دين الإسلام الذي ما كان خلق العالم حقا وحكمة إلا لإجابه وإثباته ∴

وزعم بعض المتفلسفة أن كل اسم يجوز إطلاقه على المحدث
لا يجوز إطلاقه على الله تعالى لأنه يوجب التشابه وتبعهم على هذا
الكلام الباطل القرامطة وقصدهم بهذا التمويه تعطيل الصانع وهو
مذهب خباث الدهرية ∴ ذكر أئمة الأصول أمثال
هذه الهذيانات من مقالات المعطلة تنبيها وتحذيرا الضعفة ٥
المسلمين عن الوقوع في شرك حبايل المبطلين بسبب النظر
في كتبهم والإصغاء إلى تمويهاتهم ∴ وزعم الناشي أن
الوصف له تعالى بهذه الصفات مجاز على إحدى الروايتين عنه
كذا ذكر عنه أبو المعين النسفي في أصوله ∴ ثم إنه قد
ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن الله تعالى كان
موصوفا بهذه الصفات في الأزل فكان حيا قادرا عالما سميعا
بصيرا وهو مذهب أهل الحق **وإذ قد ثبت** أنه تعالى كان
في الأزل عالما فنقول كل من أثبت الصانع أنه تعالى كان
عالما بذاته وبصفاته وبما وراء ذلك مما يكون وإن كان العالم
معدوما في الأزل وأثبتوا دخول المعدوم تحت العلم ∴ وقال
هشام بن الحكم أحد رؤساء الغلاة وهشام بن عمرو أحد رؤساء
المعتزلة إنه لم يكن عالما بما وراء ذاته ومنعا تعلق العلم بالمعدوم
وقال أهل الحق وعامة المتكلمين إن القول بخروج
المعدوم من أن يكون معلوما يناقض أدلة العقول ويرد
على قواعد الدين بالإبطال ويلحق قائله بالمعطلة وبيان ذلك
بالبرهان القاطع أن كون الفعل محكما متقنا يدل على علم
فاعله به على ما بيناه غير مرة وتقررت صحة ذلك في العقول
السليمة حتى أن من توقع ممن لا علم له تحصيل صورة مونقة
أو صنعة بديعة عجيبة عد متجاهلا إذ شرط ذلك هو ثبوت
العلم به قبل وجود المفعول لا بعد وجوده ليحصله على حسب

الضعف

ما علمه من الاتقان والجودة لا على ما يضاده من الوهاء والرداءة
على ما سبق بيانه وتحقيقه ما عرف من بطلان اضافة الافعال
المحكمة إلى الجاهل كبطلان إضافتها إلى الميت العاجز
فمن لم يجوز العلم بالمعدوم فقد جوز وجود الأفعال المحكمة
والصنائع البديعة لا عن علم لفاعله به وهذا محال ∴ ولان
كل قاصد تحصيل شيء يكون ذلك الشيء ثابتا في علمه فيحصله
على حسب علمه به لولا ذلك لما امكنه تحصيله ∴ عرف صحة
هذا كل من رجع إلى نفسه معرفة يسوغه عقله جحودها ∴
وكذى كل من يفعل فعلا لعاقبة حميدة يعد حكيما ∴
ومن يفعل لا لعاقبة حميدة يعد سفيها ∴ ولو لم يكن العلم
بالعواقب ثابتا لما اتصف فعل بحكمة ولا سفه ∴ ولا فاعل
ما اتصف بحكيم ولكان كل فعل يوجد في الشاهد موجودا
لا احكام فيه ولا اختلال ولا اعتدال فكان ضايعا
مجانا وفي هذا بلوغ هذا القايل نهاية السفه والبطلان
وغاية العناد والتعطيل ∴ ومن الادلة السمعية القطعية ما
اخبر الله تعالى الانبياء المتقدمين عليهم السلام من انباء
نبينا محمد صلوات الله عليه في التورية والانجيل بقوله الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل ∴ وبشارة عيسى على ما نطق به الكتاب بقوله
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وبقوله محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار إلى قوله ذلك مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل وما انباء الله تعالى في القرآن
من الاخبار عن الكاينات من نحو قوله ستدعون إلى
قوم اولي باس شديد وقوله وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية وما اخبر من احوال

القيامة كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا
وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ∴ وقوله يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ∴
وما ذكر من سوق اهل الجنة اليها وسوق اهل النار اليها وحصول
الزفير والشهيق من الكفار وشهادة الجوارح عليهم يوم القيامة وطلبهم
العود إلى الدنيا واخباره تعالى عنهم انهم لو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه واخباره بانكار الكفار تبليغ الرسل اليهم وشهادة امة
محمد للرسل بالتبليغ اليهم وقوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغير ذلك مما يتعذر حصره وتعداده وانكار هذه الايات
كفر صريح ∴ وتعلقهم بظواهر ايات ليس المراد منها ما توهموا
تعلق باطل وما تشبثوا بها على خلاف السمعيات الموجبة للعلم
قطعا بلا احتمال كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وقوله ان الله
عنده علم الساعة وساير النصوص المذكورة وعلى مخالفة البراهين
العقلية التي لا تمسك فيها بان الله تعالى عالم بما كان وبما يكون
الا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم ∴ فتعلقوا بظواهر هذه الايات
وهي قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه ∴ وقوله يتذكر او يخشى ∴ لننظر كيف تعملون ∴ وقوله
لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا ∴ وقوله حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين واشباه ذلك من الايات وقالوا ان الابتلاء
انما يكون ليظهر ما خفي عليه وليحصل علم ما لم يكن حاصلا بحال
من ابتلى فتدل الايات انه لا يكون عالما بالمعدوم ما لم يوجد
كما في الشاهد وجواب اهل الحق عنها على الاستيعاب لا
لا يتسع هاهنا فنذكر على الايجاز فنقول وبالله التوفيق
اما الابتلاء من الله تعالى فليس ليثبت له به العلم كما في حق من

مطلب اولا دعوى

تجهل العواقب بل الابتلاء منه تعالى ليظهر ما علم في الأزل على
ما علم ∴ وكذا قوله لنعلم من يتبع الرسول أي ليعلم
كاينا ما قد علم أنه يكون ويعلم موجودا ما قد علم قبل
الوجود أنه يوجد لأنه تعالى يعلم المعلومات على ما هي بعلم
المعدوم حال العدم معدوما ويعلم أنه سيوجد ❀ لا يقال
إنه يعلم المعدوم موجودا حال كونه معدوما فإذا أوجد في الوقت
الذي علم وجوده فيه يعلمه كاينا موجودا ❀ وكذا
قوله لنعلم أي الحزبين أي ليظهر ما كنا علمنا على ما علمنا ∴
وقوله لينظر كيف تعملون أي ليظهر عملكم على ما كان علمه ∴
وكلمة لعل من الله تعالى واجب فكان إخبارا على القطع
فإنه تذكر وخشي حين أدركه الغرق ❀ فقال آمنت
بالذي آمنت به بنوا إسرائيل ولكنه تذكر وخشي عند معاينة
البأس وحينئذ لا ينفع الإيمان ❀ أو كان ذلك للترجي عند
موسى فإن الأنبياء عليهم السلام أمروا بالدعاء إلى الإيمان على
رجاء الوجود عندهم فإذا علموا أن قومهم لا يؤمنون أمسكوا عن
دعائهم ∴ فأما الله تعالى فإنه بعث الرسل وأنزل الكتب
لدعاء الكل إلى توحيده وعبادته ليظهر ما علم في الأزل على ما علم
إذ الجزاء على وجود الايتمار الظاهر والخلاف الظاهر لا على العلم
الباطن ∴ على ما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار فهذه وجوه كشف
شبهتهم وبالله العصمة ❀ وهذا كما تعلق هشام بن الحكم وغيره
من المجسمة بظواهر المتشابهات فأثبتوا بها الأعضاء والجوارح
على خلاف النصوص المحكمة وعلى مخالفة أهل السنة والجماعة
مع سماعهم حكم الكتاب بزيغ من اتبع ما تشابه منه بقوله
تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الآية فلم

يكن ذلك إلا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم ولا قوة إلا بالله ∴
فصل وإذ قد ثبت أنه تعالى حي قادر سميع بصير عالم
وكان في الأزل ويكون لا يزال موصوفا بهذه الصفات
فبعد ذلك تأملنا فعرفنا أن الحي يستحيل أن يكون بدون
الحيوة ∴ وكذلك القادر بدون القدرة ❀ والعالم بدون
العلم ❀ وكذا ما وراء ذلك من الصفات فعلمنا أن الله تعالى
له حيوة وهي صفة له قائمة بذاته ❀ وكذا العلم والقدرة
والسمع والبصر ❀ وهذه الصفات لا يقال لكل صفة منها إنها
الذات ∴ ولا يقال إنها غير الذات بل هي معاني لازمة
للذات من الأزل إلى الأبد بلا ابتداء ولا انتهاء **فصل**
وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لا حيوة له ولا قدرة ولا علم
ولا سمع ولا بصر ❀ فهو حي لا حيوة له عالم لا علم له وكذا
في الصفات كلها ❀ والذي دعاهم إلى هذا التجاهل شبه
تعلقوا بها ❀ منها قولهم إن الصفة إذا لم تكن هي الذات فهي غير
الذات والقول بالأشياء المتغايرة في الأزل مناف للتوحيد
ومنها قالوا إن القول بأزلية الصفات قول بإثبات القدماء
وذلك لا يجوز ∴ ومنها قالوا إن الصفات لو ثبتت لكانت
باقية ∴ ولا وجه إلى القول بقيام الصفة بالصفة **قال أبو
المعين** ولأهل الحق من الحجج السمعية القاطعة قوله تعالى
ولا يحيطون بشيء من علمه ❀ وقوله تعالى فاعلموا أنما أنزل
بعلم الله ❀ وقوله تعالى أنزله بعلمه ❀ وقوله تعالى إن القوة لله
وقوله تعالى إن الله هو الرزاق ذو القوة ❀ فالله تعالى أثبت
لنفسه العلم والقوة بنصوص صريحة محكمة ∴ والمعتزلة يأبون
ذلك فإذا هم على زعمهم وتحكمهم أعلم بالله من الله تعالى بنفسه
وهذا مما لا يخفى فساده وبطلانه ∴ تحقيقه أن القول بأن الله

تعالى عالم بما لا علم له به .. وقادر بما لا قدرة له عليه محال متناقض
لا يخفى كونه مناقضة على أغبى خليقة الله تعالى .. وكذى
لا يختلف على أسماع أهل اللسان قول القائل إن الله تعالى ليس
بعالم .. الله تعالى لا علم له بشيء والأول فاسد فكذى الثاني
وكذى قوله الله تعالى ليس بقادر على شيء وقوله لا قدرة
له فهذا ما ذهبت المعتزلة إليه وجعلوه توحيدا وسموا به أنفسهم
أهل التوحيد بحيث يتسارع كل سامع إلى إكفار قايله
ونسبته إلى المناقضة .. قال سيف الحق أبو المعين
ميمون بن محمد النسفي وهذا النوع من الاستدلال يسمى عند
أرباب المنطق الاستشهاد بشهادات المعارف يعنون
بالمعارف العلوم الأولية الثابتة في أصل خلقة كل مميز وجبلته
ولهذا يقولون إن من تمسك بمثل هذا الرأي الذي
اعتقدته المعتزلة ينبغي أن يصور عقيدته للدهماء ليقابلوه
بالطنز والاستهزاء .. واستدل إمام الهدى أبو منصور
بهذا الدليل الذي ذكرناه .. ثم قال في أثناء كلامه أي قلب
يصبر على القول بأنه عالم بما لا علم له به ليحتمل أن يختاره
عاقل فضلا من أن يعيب غيره ثم قال سيف الحق
في كتابه الملقب بتبصرة الأدلة ولأهل الحق في المسألة طرق
منها طريقة الاستدلال بالاسم الثابت بالنصوص التي لا
ريب في ثبوتها والإجماع الذي لا مخالف فيه في الأمة وهذه
الطريقة أن يقال إن الله تعالى يسمى حيا قادرا عالما سميعا
بصيرا باقيا .. ثم التسمية إما أن كانت وضعت لتدل
على مطلق الوجود كلفظة الموجود والشيء .. وإما أن كانت
وضعت لتدل على معنى وراء الوجود وذلك المعنى إما ماهية
يمتاز بها النوع من النوع كاسم الآدمي والأسد والفرس .. فإن

لا علم له أعني الغيره

لكل مسمى من هذه الأشياء ماهية يمتاز بها عن الآخر من صورة
مخصوصة أو خاصية لازمة فتدل التسمية على أن له معنى وراء
مطلق الوجود اختص به فصار لأجله نوعا على حدة كالنطق
والاغتذاء للآدمي .. وإما صفة قائمة بالمسمى اشتق منها
الاسم كالمتكلم والمريد .. والأسود والأبيض والمتحرك ..
والساكن .. فإن كل تسمية منها اشتقت من معنى يعرف
عند إطلاق هذا الاسم ثبوت تلك الصفة ثم إن هذه التسمية على
ما عليه وضع الكلام إنما يكون إطلاقه على مسمى صادقا إذا كان
المعنى الذي هو مأخذ الاشتقاق ثابتا وعند انعدامه يعد كذبا
إلا إذا نقل عن حقيقته وجعل لقبا للذات أو علما يمتاز به الذات
عن أغياره من بني جنسه لا باعتبار المعنى كما يلقب الأعمى
بالبصير .. ويسمى العبوس ضاحكا والضحاك عباسا .. ولا يثبت
كونه لقبا علما إلا بضرب اصطلاح لا يعرفه اسما للذات من لا
وقوف له على ذلك الاصطلاح .. فأما الوصف فقد يعرفه
اسما للموصوف به كل من كان من أهل اللغة بالوقوف على
المعنى وإن لم يعرف الاصطلاح ولا سمع أحدا أطلق عليه
هذا الوصف .. وإذا عرفت هذه المقدمة جئنا إلى الغرض
المطلوب وهو إقامة الدليل على ما هو المطلوب من إثبات صفات
الله تعالى فنقول لا ريب أن هذه الألفاظ من قبيل الألفاظ
المشتقة عن المعاني فإذا أطلقت على ذات يراد بها إثبات
الذات فحسب كما في الاسم المتكلم والمتحرك والساكن وغيرها
فلو أطلقت هذه الألفاظ ولم يرد بها إثبات المعاني لكانت ألقابا
وأعلاما وجعل ما هو من صفات المدح لقبا للذات ما وإطلاقه
عليه عند عدم المعنى الذي هو مأخذ الاشتقاق نوع من الهزء
والسخرية كالأعمى يسمى بصيرا والزنجي يسمى أبيض .. ومن

جعل إطلاق الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الأسماء الحسنى
والصفات العلى على الخالق على طريق السخرية فهو غير عارف بالله
وبرسله ∴ وكذى كان الله تعالى على راي المعتزلة بأمره عباده
بالثناء عليه بهذه الأسماء آمرا بالسخرية ∴ وكفر من جوز هذا
مما لا يخفى ∴ تحقيقه أن هذه الأسامي لو كانت غير
مثبتة للمعاني وكانت ألقابا وأعلاما لم يثبت بكل لفظ منها إلا
الذات ∴ فيثبت بقولنا حي الذات وكذى بقولنا قادر
وعالم فيصير قولنا إن الله تعالى عالم قادر سميع بصير قولا بأنه
تعالى ذات ذات ذات ذات ∴ ولم يحصل بكل لفظ
فايدة سوى ما حصلت بالأول ∴ وحيث لم يكن كذلك بل حصل بكل
لفظ للسامع من الفايدة ما لا يحصل بغيره من الألفاظ علم
أن هذه الأسامي ما أطلقت إلا لإثبات ما فيها من المعاني
قال أبو المعين ولأهل الحق على إثبات الصفات أيضا دلالة
المحدثات وهي أن المفعول كما دل على الفاعل فمطلقه يدل
على القدرة وكونه محكما متقنا يدل على العلم فإن كل من رأى
المفعول محكما متقنا استدل بكونه مفعولا على قدرة فاعله
وبكونه محكما على علم فاعله به حتى أن من رأى ديباجا منقشا
أو دارا فاخرة فيها نقوش وتصاوير وهي مبنية على غاية الأحكام
والإتقان فزعم أن ذلك نسج جاهل بصناعة النسج عاجز عنها ∴
وبنى تلك الدار جاهل بصنعة البناء عاجز عنها استجهل ونسب
إما إلى الحماقة وإما إلى العناد والمكابرة ∴ كما أن من زعم
أن ذلك كله كان بنفسه من غير ناسج ولا بان نسب إلى ذلك
قال الشيخ الإمام المصنف أيده الله تعالى وللمعتزلة
اعتراضات على أدلة أهل الحق في إثبات الصفات دفعها
المتكلمون وأبطلوها وأودعوها كتبهم صيانة لقلوب ضعفة المسلمين

وذبا عن حريم الدين لا تدعو الحاجة إلى ذكرها هاهنا لما قد ذكرنا
من الحجج السمعية الموجبة للعلم ما يوجب الانقياد لها والإذعان
لحكمها وذكرنا الإجماع الذي لا يخالف فيه في الأمة الهادية
إذ من خالف فيه يسقط اعتبار خلافه لما به يصير صاحب
هوى لخلافه فيما تجب الفتوى به ∴ بدليل يوجب العلم يقينا ولا
شك في كون الإجماع دليلا موجبا للعلم ∴ لثبوته حجة قاطعة
بالكتاب الناطق والخبر المتواتر ولا عبرة بخلاف صاحب
الهوى في المسائل الاعتقادية في الفصل الذي نسب إلى الهوى
بخلافه فيه ∴ حتى ذكر القاضي أبو زيد في كتاب تحديد
أدلة الشرع فقال وأما صاحب الهوى فلا عبرة بخلافه
في نفس ما نسب إلى الهوى لأنه لا ينسب إلى الهوى إلا إذا
خالف فيما تجب الفتوى به بدليل يوجب العلم يقينا فيصير خلافه
ذلك الدليل برأيه ساقطا كما يسقط رأيه بخلافه نصا
يروى له وقد ذكرنا النصوص الصريحة بإثبات العلم والقوة
لله تعالى وذكرنا البراهين العقلية القطعية التي توجب
الانقياد لمن لا يكابر الأدلة ولا يعاند الحجج بإصراره على هواه
ومعلوم ما ذكر الله تعالى في معاندي الآيات والحجج بقوله
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ∴ والمعتزلة بلغوا
في مكابرة أدلة أهل الحق جدا يحملون ∴ القرآن على مذاهبهم
وما يميل إليه هوى نفوسهم ∴ والحق الواجب حمل المذاهب
على القرآن لا حمل القرآن على المذهب ومن تصفح تأويلاتهم للقرآن   أي طالع
على مخالفة أهل الحق تحقق ذلك ∴ وذلك كما قرأ بعضهم قوله
تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا برفع الباء على جعل الفعل
لقلب ذلك الكافر والمنزل من الله تعالى بفتح الباء على جعل الفعل

لله تعالى وكذى قرأ بعضهم قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق
من شر ما خلق بالتنوين فقرأ من شرٍ ما خلق يريد من شر لم تخلقه
الله تعالى ∴ وهاهنا في فصل الصفات أثبت الله تعالى لنفسه العلم
والقدرة وأخبر بذلك بنصوص صريحة محكمة غير محتملة
كقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه ∴ وقوله أنزله
بعلمه وقوله واعلموا أنما أنزل بعلم الله وقوله إن القوة لله ∴ واطبق
أهل الحق على الانقياد لها واعتقاد موجبها ∴ والمعتزلة أبو
قبول ذلك ثم لما امتنعوا عن ذلك وقالوا إنه تعالى حي لا حيوة
له عالم لا علم له قادر لا قدرة له سموا أنفسهم بذلك أهل توحيد
وعابوا على أهل الحق حيث أثبتوا لله تعالى الحيوة والعلم والقدرة
ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله عليهم السلام
والصالحون من عباده فكان مما يقال للمعتزلة إن الله تعالى
أثبت لنفسه العلم والقدرة بنص صريح محكم وألزم عباده
العلم بذلك بقوله واعلموا أنما أنزل بعلم الله ∴ وقال
إن القوة لله فوصف نفسه بالعلم والقوة ∴ فأنتم يا معشر
المعتزلة أعلم بالله من الله تعالى ∴ ثم معلوم أنه لا فرق
عند أهل اللسان بين قول القايل الله ليس بعالم وبين قوله
الله لا علم له بشيء فالأول فاسد فكذى الثاني ∴ ومع هذا التعطيل
سموا أنفسهم أهل التوحيد ∴ ثم قالوا إنما نثبت للعبد قدرة التخليق
لئلا يكون الله تعالى معاقبا عباده على ما يخلق هو بنفسه فيكون
عادلا في تعذيبهم فأبطلوا التوحيد بهذا العدل فإنهم جعلوا كل
فعل حصل من المخلوقين المختارين مخلوقا لهم فيكون كل فاعل
مميز من روحاني وجسداني وكل فاعل مختار غير مميز حتى يكون
كل كلب وخنزير وبق وبعوض خالقا عندهم ∴ ثم أبطلوا
عدلهم بتوحيدهم فإنهم نفوا عن الله تعالى جميع الصفات من الحيوة

والعلم والقدرة والكلام والإرادة والتخليق والتكوين ∴
وزعموا أنه هو التوحيد وأنكروا أن يكون له الكلام ∴ وفيه
الأمر والنهي معنى قايما بذات الله تعالى وجعلوه محدثا مخلوقا
في محل غير ذات الله تعالى ∴ وقد ساعدوا أن الفاعل من
قام به الفعل لا من خلق الفعل فأبطلوا أمر الله ونهيه ∴ وبطل
بذلك الحل والحرمة ∴ وخرج الفعل عن كونه طاعة أو
معصية ∴ وكان التعذيب على ما ليس بمعصية فأبطلوا
عدلهم بتوحيدهم ∴ وهذا كله جواب أهل الحق ∴ ذكره
أيمة الأصول منهم شيخ الحق أبو المعين النسفي ∴ وأما قولهم
إن إثبات الصفات قول بالقدماء فأجاب عن ذلك بعض
الصفاتية ∴ فقالوا نحن لم نقل إن الصفات قايمات بذواتها
حتى يرد علينا ما قالوا وإنما نقول إن الله تعالى قديم بصفاته
وصفاته قايمة بذاته فاندفع عنهم الزام المعتزلة ∴ وبعض أصحاب
الصفات قالوا إن القديم هو المتقدم في الوجود ∴ أو الموجود
الذي لا ابتداء لوجوده ∴ فنحن نقول إن كل صفة قديمة قايمة
بذات الله تعالى ولا يجوز القول بالقدماء مطلقا لئلا يسبق
إلى وهم السامع أن كل قديم من القدماء قايم بذاته موصوف
بصفات الألوهية ∴ بل نقول إن الله تعالى قديم بصفاته
وعند إطلاق لفظة القديم على كل صفة ينبغي أن نقيد فيقال
إن القديم القايم بالذات واحد وهو الله تعالى ∴ وله صفات
الكمال كل صفة قايمة بذات الله تعالى وهي قديمة على معنى
أن ليس لوجودها ابتداء ∴ وإنها في الوجود متقدمة على
المحدثات فيبطل توهم المعتزلة ∴ وما يقوله الإسكافي والصالحي
والجبائي من روساء القدرية إن القول بالقدماء قول بالآلهة
كلام في غاية الفساد ∴ فإنه لم يقل أحد من أهل اللغة ولا من أهل الكلام

بأن القديم في اللغة هو الإله .: فإن العرب يقولون هذا بناء قديم
وشيخ قديم يريدون به المتقدم في الوجود دون الوصف له
بالألوهية .: وفي الكتاب قوله تعالى كالعرجون القديم والمراد
المتقدم في الوجود على نظيره وهذا كافي في إبطال قولهم .: ومع
ذلك يقال للقائل بهم قلت إن القديم هو الإله والعقلاء
بأسرهم على خلاف ما تقوله .: فإن أهل اللغة يطلقون لفظة
من غير إرادة الألوهية .: وكذى الدهرية يعتقدون قدم
كل جزء من أجزاء العالم من غير اعتقاد الألوهية .: والكفرة
يسمون الأصنام آلهة وإن كانوا لا يعتقدون قدمها بل كانوا
ينحتونها من الخشب والأحجار وكانوا يعتقدون كونها مخلوقة
على ما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن
الله وجملة الأمر في منكري الصفات لله تعالى إما أن قصدوا بنفيها
التعطيل وموهوا بدعوى التوحيد خوفا من معرة السيف .:
أو وقعوا في ذلك غلطا بالنظر في صفات الخلق حيث رأوها أعراضا
أغيارا للذوات فظنوا أن إثبات الصفات للباري تعالى يكون
كذلك .: فإن كان السبب لذلك هو الأول فلا برو
لدائهم .: وإن كان السبب هو الثاني ففيما أوردنا من الحجج
والبراهين كفاية وبلاغ ثم كيف ما كان فقد استمروا على
لزوم الوقاحة ومكابرة الأدلة ولا فائدة في بسط الحجاج معهم
سوى الذب عن حريم الدين .: وتحذير ضعفة المسلمين .:
وإذا كان كذلك فالاشتغال بحل شبهاتهم فضل وليس بلازم
فنقول إن الأدلة القاطعة قد قامت على أن ذوات الخلق
وصفاتهم محدثة .: وإن صفاتهم أعراض لا تقوم بأنفسها بل بذوات
محدثة هي جواهر وأجسام يجوز عليها الوجود والتعري وقامت
البراهين الساطعة والحجج القاطعة على أن الله تعالى قديم لم يزل دايم

لا يزال .: ومن شرط القديم الكمال وقد قامت الأدلة القاطعة
على ثبوت صفات الكمال له في الأزل بلا ريب ولا شك وكذلك
قامت الأدلة القاطعة على كون حدوث الصفات له ممتنعا محالا
لما في ذلك من لزوم النقص في الأزل .: وثبوت التغير عما
كان في الأزل وكل ذلك محال في حق القديم .: وكذلك
قامت الأدلة على استحالة عدمها وحصل العلم بهذه المقدمات
أنها دايمة لا محالة .: وعلم بالبديهة أن القول بدايم ليس بباق
محال .: وكذى قام الدليل على أن القول بباق لا بقاء له
محال كما أن القول بعالم لا علم له وبقادر لا قدرة له محال
فيجب التمسك بتلك الأدلة القاطعة ولا يلزم الاشتغال بما وراء
ذلك من الفضول .: ومن تلك الفضول قول المعتزلة لو كانت
له صفات لكانت باقيات ويستحيل قيام البقاء بالبقاء .: ومنها
قولهم لو كانت له صفة لكانت غير الله والقول بوجود غير الله
في الأزل محال .: قال أبو المعين النسفي هذا
منهم تحكم محض ودعوى مجردة عن البرهان ويكفي
المنع بأن يقال لم قلتم .: وإبطال ما يجعلونه حد الغيرين
جوابا عن مقالتهم .: فيقال وما حد الغيرين ليظهر بمعرفته
أن خصمكم أثبت في الأزل ما هو غير الله فزعمت الكرامية
أن حد الغيرين هو الشيآن فذات الله لما كانت شيئا
وصفته شيء فهما شيآن ولهذا قالت الكرامية إن صفة الله
غير الله .: قال أبو المعين هذا التحديد فاسد لأن الغير
من الأسماء الإضافية كالعلو والسفل والأب والابن .:
ولهذا لا يطلق اسم الغير إلا باعتبار وجود آخر .: والشيء
اسم ذاتي يستحقه المسمى به باعتبار ذاته ولفظة الحد مع
المحدود بمنزلة الاسمين المترادفين لا تفاوت بينهما .: فمن

جعل أحد اللفظين حداً للآخر فهو قليل المعرفة بحقايق
الأسامي ∴ وشرايط صحة التحديد ∴ وقال أبو
هاشم من المعتزلة إن الغيرين مذكوران لا يكون أحدهما
جملة يدخل تحتها الآخر ∴ واحترز بهذا عن الواحد من العشرة
وعن يد الإنسان مع أعضايه ∴ فإن العشرة جملة دخل تحتها
الاحاد ولا يقال إن الواحد هو العشرة ولا غيرها وكذى
كل عضو من الإنسان ليس غير الإنسان ولا هو ∴ قال
أبو المعين وهذا التحديد فاسد لأن لفظة المذكور كما يتناول
الموجود يتناول المعدوم ∴ وإطلاق اسم الغير على المعدوم فاسد
يأباه أهل اللغة ∴ بل الغير اسم يتناول أحد الموجودين باعتبار
الآخر ∴ ثم الأحوال عند أبي هاشم مذكورات وليست
احديهما جملة تدخل تحتها الأخرى فيفسد تحديده ∴ ثم تجاهل
مع ذلك فإنه لما انتهت نوبة رياسة المعتزلة إليه ورأى تحير
سلفه بذل دينه وعقله في نصرة مذهب المعتزلة ولم يبال وصلت
عن التجاهل وتصيير نفسه ضحكة للخلق في ترويج ما هم عليه من
الباطل في نفي الصفات عن الله تعالى ∴ وقال إن قولنا
عالم في الشاهد والغايب إثبات حال يخالف بها الذات ذاتاً
ليس بعالم ∴ وكذى قال في الحي ∴ والقادر والسميع والبصير
ثم تجاهل وقال تلك الحال ليست هي الذات ولا غير الذات
ولا معنى ورا الذات ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي مذكورة
ولا غير مذكورة ∴ ولا معلومة ولا لا معلومة ∴ فهذا منه غاية
في الوقاحة وقلة المبالاة من التخبط في دين الله عز وجل ووقع
في هذا الباطل حيث خالف أهل الحق في إثبات الصفات لله
عز وجل وعاب عليهم قولهم إن صفة الله ليست هي الله حتى لا يكون
فيه تعطيل الذات ∴ وليست هي غير الله حتى لا تكون صفته عرضا

كصفات الخلق ∴ بل صفة الله تعالى معنى قايم بذات الله تعالى
من الأزل إلى الأبد بلا ابتداء ولا انتهاء ∴ وهكذى شأن من
كابر حجج الحق وخالف أهله يتخبط في سلوكه سبيل الحق
بهواه ∴ ثم بيان فساد كلامه أن يقال له ألا قلت
إنه عالم لمعنى مكان قولك عالم لحال ∴ فإن قال إذا جعلته
عالماً لمعنى تشترك فيه المعاني ∴ قيل له يلزمك إذا جعلته عالماً
لحال أن تشترك فيه الأحوال فيصير عالماً بالحال التي يصير بها قادراً
وأسود بالحال التي يصير بها حياً فإن قال ليست الأحوال متجانسة
قيل له ليست المعاني متجانسة فيجب بجميعها ما يجب بأحادها
فإن قال لا يصير عالماً بحال مطلقة بل بحال يمتاز بها الذات
عن ذات ليس بعالم ∴ قيل له لا يكون عالماً بمطلق المعنى
بل بمعنى هو علم يتجلى به المعلوم ∴ ثم يقال له هذه الحال راجعة
إلى الذات أم إلى معنى ورا الذات ∴ فإن قال هي راجعة إلى
الذات فقد التحق بسلفه في تعطيل الذات حيث جعل الحال
هي الذات وإن قال معنى ورا الذات فقد انقاد للحق وزال التجاهل
وإن قال ليست براجعة إلى الذات ولا إلى معنى ورا الذات
فقد ارتكب محالاً إذ اثبت واسطة بين الذات وبين ما ورا الذات
ثم يقال إذا لم تكن الحال مذكورة فكيف ذكرتها وإذا ذكرتها
كيف زعمت أنها ليست بمذكورة ∴ وإذا لم تعلمها كيف
علمت أن الذات عالم وهو لا يكون عالماً إلا بالحال ∴ وإذا لم
تعلم الحال كيف علم الذات عالماً ∴ وإذا علمت كيف زعمت
أنها ليست بمعلومة ∴ فهذا بيان تجاهله في إثبات الحال وفساد
تحديده للتغاير ∴ وقال بعض المعتزلة الغيران هما المختلفان
في الوصف ∴ قال أبو المعين هذا باطل عند الجميع بالواحد
من العشرة ∴ وباليد من الآدمي ∴ فإن الواحد من العشرة

مختلفان في الوصف ∴ وكذى اليد مع الآدمي ولا تغاير ∴ وبهذا يبطل قول من يقول إن ما ليس من بالشيء فهو غيره فإن الواحد ليس بالعشرة وليس بغيرها ∴ وكذى اليد ليست بالآدمي وليست غيره ∴ وهذا لأن العشرة اسم يقع على مجموع هذه الأفراد فكان اسم العشرة متناولا لكل فرد مع أغياره فلو كان الواحد غيره لصار غير نفسه لأنه من العشرة ولن يكون العشرة بدونه ∴ وكذى اسم زيد يقع عليه باعتبار أعضائه فكان متناولا لمجموع هذه الأعضاء فإذا قيل يد زيد غيره كانت اليد غير نفسها ∴ وقال بعض المعتزلة الغيران هما اللذان يصح أن يعلم أحدهما ويجهل الآخر ∴ قال أبو المعين وهذا باطل لأن الشيء يعلم بجهة ويجهل بجهة كمن يعرف السواد أنه لون ولا يعرف أنه مستحيل البقاء ∴ فإن جعلت المعتزلة كل جهة غير صاحبتها فقد جعلوا العرض الواحد الذي هو عرض غير متجزي شيئين متغايرين والقول بتعدد الواحد وتغايره محال ∴ وإن لم يجعلوا كل جهة غير الجهة الأخرى أبطلوا التحديد ∴ ثم قال أبو المعين ولا حاجة بنا إلى الاشتغال بتحديد الغيرين لأن الخصوم هم الذين يريدون نفي الصفات بعلة أنها لو كانت ثابتة لكانت أغيارا للذات فإذا منعناهم من إثبات المغايرة بطلت شبهتهم ولم يبق لنا حاجة إلى إثبات حد الغيرين ∴ ثم نقول على طريق التبرع حد الغيرين عند أصحابنا أنهما الموجودان اللذان يصح وجود أحدهما مع عدم الآخر ودليل صحة هذا الحد أنا استقرينا الأوصاف فعلمنا أن شيئا مما ذكره الخصوم لا يصلح أن يكون حدا لما بينا ∴ وعلمنا أيضا أن الغيرين ما كانا غيرين لأنهما عرضان لثبوت المغايرة بين الباري تعالى وبين العالم ولثبوت المغايرة بين الأجسام ∴ ولا لأنهما

جسمان لثبوت المغايرة بين الأعراض ∴ ولا لأنهما قائمان بالذات لثبوت المغايرة بين الأجسام والأعراض وإذا كان كذلك لم يبق إلا ما ذكرنا ∴ وإذا كان حد المغايرة ينقسم إلى هذه الأقسام وكلها ممتنعة لما بينا من الدلايل ولا امتناع فيما قلنا تعين للصحة على ما هو الأصل في الاستقراء فصح أن حد الغيرين هما الموجودان اللذان يصح وجود أحدهما مع عدم الآخر وهذا محال في حق الله تعالى وصفاته فإن الله تعالى موجود واجب الوجود لذاته لا يجوز عليه العدم لأنه قديم فيستحيل عليه العدم وصفاته واجبة الوجود إذ هي صفات المدح والكمال وهي معاني قايمة بذاته تعالى في الأزل ومن شرط القديم الكمال وإن تعري ذاته عن شيء من صفات الكمال نقص وجواز النقص عليه محال لما في ذلك من زوال الكمال وبطلان الألوهية فيتعالى عن النقص والزوال ∴ فقلنا إن صفة الله تعالى ليست هي الله حتى لا يكون فيه تعطيل الذات وليست هي غير الله حتى لا تكون صفته عرضا كصفات الخلق فإنها أعراض أغيار لذواتهم ∴ بل صفات الله تعالى معاني قايمة بذات الله تعالى من الأزل بلا ابتداء ولا انتهاء وهذا مذهب أهل الحق ومما يكشف عوار المعتزلة ويبطل تمويهاتهم أن يقال لهم ما معنى قولكم إن الله تعالى موصوف بأنه عالم إذ لم يكن له علم عندكم ∴ فإن قالوا موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين إياه إذا بصفة هي وصف الواصف إياه ∴ قيل لهم لو أن رجلا قال للزنجي إنه أبيض أو لقصير إنه طويل هل كان الزنجي أبيض والقصير طويلا فإن قالوا نعم كابروا وإن قالوا لا ناقضوا قولهم موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين إياه لأن الوصف من الواصف قد وجد ولا عبرة له عند انعدام المعنى القايم بالموصوف ∴ ثم يقال

لهم إذا كان العالم من وصفه متكلم بأنه عالم لا من قام به العلم أو من له العلم ينبغي أن يقال إن من قال للجماد إنه عالم أو للطفل أو المجنون لم يقم به علم إنه عالم أن يكون صادقا في مقالته لوجود الوصف له بذلك إذ هو يكون عالما بوصف الواصف له بذلك لا بمعنى قايم به ∴ وهذه مكابرة ظاهرة وسوفسطائية محضة ثم يقال لهم جميع المسلمين يقولون إن الله تعالى كان في الأزل موصوفا بكونه حيا عالما لأن كلامه عند أهل الحق ليس بمخلوق والعلم قايم بذاته مع ساير صفاته في الأزل ∴ وأنتم معشر المعتزلة إن قلتم إن الله تعالى كان في الأزل موصوفا بكونه عالما فما معنى قولكم ذلك والواصفون كانوا معدومين في الأزل فلا يتصور وجود كلامهم ليكون موصوفا بذلك بكلامهم وكلامه تعالى عندكم محدث مخلوق فلم يوجد منه وصف نفسه بأنه عالم وعندكم ليس له علم قايم به فكان قولكم إنه كان في الأزل موصوفا بأنه حي قادر عالم باق سميع بصير تلبيسا وتستيرا لقولكم حي لا حيوة له وعالم لا علم له وقادر لا قدرة له فيبقى قولكم باطلا لا تحقق له ∴ قال سيف الحق أبو المعين النسفي وغيره من علماء الملة فمن وقف على ما بينا في المسألة من الدلايل والكشف لتمويهات المعتزلة عرف أن القوم لم يريدوا بما ذهبوا إليه من نفي الحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة إلا موافقة إخوانهم من الفلاسفة في إثبات ذات في القدم ليس بحي ولا قادر ولا عالم ولا سميع ولا بصير غير أنهم لم يتجاسروا على إظهاره خوفا من معرة السيف لما فيه من جحود ما ورد به الكتاب والسنة المتواترة فأطلقوا هذه الأسامي في الظاهر وأتوا بما يؤدي إلى مقصودهم من نفي كونه حيا قادرا سميعا بصيرا بنفيهم الحيوة والقدرة والعلم وقد صرح بعضهم أن مرادهم هذا

وهو الناشي على أحد قوليه على ما مر قال الإمام الناصري المصنف هذا الذي سبق ذكره كله من كلام أبي منصور وأبي حفص الكبير وأبي القاسم الحكيم السمرقندي وأبي حفص أقضى القضاة عمر الغزنوي وسيف الحق أبي المعين رحمهم الله في بيان قول فقهاء الملة **ما زال بصفاته قديما قبل خلقه** أي قبل مخلوقاته كقوله تعالى هذا خلق الله أي هذا مخلوق الله إذ الخلق في هذا عبارة عن المخلوق لا عن الخلق الذي هو الصفة وقد صرح أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله بقولهم ما زال بصفاته قديما قبل خلقه بأزلية صفات الله تعالى ∴ وصرحوا ببقائها بقولهم **وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا** وهم فقهاء ملة الإسلام وهم أئمة الهدى السابقون لمن بعدهم فإن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين من الهجرة وأدرك نفرا من الصحابة وروى عنهم وأفتى مع التابعين ∴ وناظر الشعبي وعطاء وطاوس وهو أول من دون الفقه ووضع فيه كتبا ورتبه وقد ضمن الله تعالى حفظ الشريعة وأمر بتعلمها والتفقه فيها فيستحيل أن يضمن الله تعالى حفظ الشريعة ثم يكون المبتدي بتدوينها على غير الحق بل يكون على الحق ويوفقه للصواب ∴ ولذلك تجد من تصفح أصوله مبنية على البراهين الساطعة والحجج القاطعة وإجماع الأمة الهادية وقد صرح هو وأصحابه بأزلية صفات الله تعالى وبدوامها وبقائها وهو مذهب أهل السنة والجماعة ∴ وقد ذكرنا بعض الأدلة السمعية الصريحة الموجبة للعلم بثبوت صفات الله تعالى كقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه ∴ وقوله أنزله بعلمه ∴ وقوله إن القوة لله ∴ ومما احتج أئمة الأصول لإثبات الأسماء والصفات لله تعالى في الأزل نصوص

من الكتاب وهي قوله تعالى وكان الله سميعا عليما. وقوله وكان الله عزيزا حكيما. وقوله وكان الله عفوا قديرا. وقوله وكان الله غفورا رحيما. قالوا هذه كلها وردت بلفظ الماضي فكان دليلا على كونه تعالى موصوفا بها في الأزل وقد تقدم إقامة البرهان على كون هذه الأسامي مشتقة أشتقت منها صفات المدح والكمال وإن تعري ذاته تعالى في الأزل عن شيء من صفات الكمال محال

وأما قولهم لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفة وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا

فإنما قالوا ذلك لما قامت البراهين العقلية والحجج السمعية على أنه تعالى قديم كامل فيستحيل أن يكون ذاته في القدم والأزل متعريا عن شيء من صفات المدح والكمال لما في ذلك من النقص والنقص في حق القديم محال. ولذلك قالوا لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفة لأنه كامل في الأزل غني بنفسه متعال عن الحاجات فيستحيل أن يحدث له صفة لم تكن. وأن يستفيد بإيجاد العالم اسما أو صفة لما في ذلك من ثبوت الحاجة إذ الحاجة نقص ومن شرط القدم التبري عن النقايص فوجب القول بتعاليه عن ذلك قال الله تعالى إن الله لغني عن العالمين وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. وقد تمدح تعالى بصفات الكمال والأسماء الحسنى. وتعبد خلقه بها فقال تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى. فقوله هو الله

الذي لا إله إلا هو فيه إثبات الواحدانية والألوهية لنفسه ونفي الألوهية عما سواه. وأن كل معبود سواه فهو باطل وقوله الملك أي الملك الذي له ملك كل شيء ليس لأحد سواه حقيقة الملك. وقوله القدوس أي هو الطاهر الذي تقدس عما قالت الملحدة فيه من الولد والشريك وساير سمات الحدث والنقص وقوله السلام قال بعضهم سمى نفسه سلاما لما سلم المؤمنون به من عذابه. وقال قايلون فيهم أبو منصور سمى نفسه سلاما لما هو سالم من الآفات والعيوب ومن سواه من الموجودين لا يسلمون من حلول الآفات. وقوله المؤمن قال قايلون أي يؤمن المؤمنين به من العذاب فلا يمكن لأحد أن يؤمن أحدا من عذابه وقيل معناه يصدق المؤمنين بما قالوا إذ يقولون عن حجة وبرهان. وقوله المهيمن قال بعضهم هو القاهر وقال آخرون هو الشاهد أي شاهد لما أنزل على رسوله بالصدق وقوله العزيز فيه وجوه أحدها الغالب. والثاني هو المنيع. وقيل هو الذي لا نظير له. وقوله الجبار قال قايلون سمى نفسه بذلك لأنه هو المجبر لكل كسير. وقال قايلون سمى نفسه جبارا لجبروته وعظمته لما تعالى وتجبر عن أن يكون له مثال وأشكال وقوله المتكبر قال أبو منصور هو من الكبرياء والعظمة ولا يليق لغيره هذا الاسم لأن الخلق بعضهم أكفاء بعض في الخلقة ولذلك لم يجز لأحد منهم أن يتكبر على آخر إذ التكبر هو الارتفاع وهو أن لا يرى غيره شكلا له ولذلك قبح في حق غير الله تعالى فلا يجوز التكبر إلا لله تعالى فسمى تعالى نفسه متكبرا إذ هو المتكبر بذاته ولم يكن تكبره بغيره. وقوله سبحان الله عما يشركون قال أبو منصور التسبيح تبرية وتنزيه برأ الله تعالى نفسه ونزهها عن جميع ما قالت الملحدة والمبطلون فيه من

ومن الإشراك
الإشراك في الذات كالمجوس والثنوية ❀ ومن الإشراك
في تسمية الألوهية واستحقاق العبادة كمشركي العرب ❀
ومن الإشراك في الصفات كصنيع اليهود خبث وصفوع
بالصورة والاستقرار على العرش ❀ وقوله تعالى هو الله الخالق
البارئ المصور تمدح بهذه الأسماء التي يشتق منها صفات الفعل
كما تمدح بتلك الأسماء التي تشتق منها صفات الذات من
الوحدانية والألوهية والعظمة والجلال فهذه النصوص
حجة على نفاة صفات الذات والفعل لما فيها من إثبات
صفات المدح والكمال فوجب القول بثبوتها له في الأزل
وهي حجة على الأشعرية في إنكارهم أزلية صفات الفعل
من التخليق والتكوين والإيجاد والإحياء والإماتة ونحوها
من وجهين ❀ أحدهما أنه تمدح بإثبات صفات الفعل
لنفسه كما تمدح بإثبات صفات الذات ❀ والثاني أنهم يقرون
بأزلية كلام الله تعالى وقد تمدح في الأزل بقوله هو الله
الخالق البارئ المصور وتأخر ظهور الأثر عن المؤثر جائز
وبالله التوفيق والعصمة **وأما قولهم ليس منذ خلق الخلق استفاد**
اسم الخالق ∴ ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري
قال الإمام أبو منصور الخالق والباري بمعنى واحد
يقال برأ أي خلق والبرية الخليقة ❀ قال أبو حفص
الغزنوي وإنما كرر أبو حنيفة وأصحابه ذكر هذه
الكلمة تأكيدا وتقريرا والمعنى في ذلك أنه تعالى لم يزل
خالقا متصفا بصفة الكمال غير متعري عن شيء من صفات
الكمال والمدح إذ التعري عن شيء منها يوجب النقص
عن ذلك والافتقار إلى حصوله بإيجاد العالم فتعالى الله عن ذلك
وأما قولهم ليس له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق

58

قال أبو حفص الغزنوي لم يرد بهذا معنى متعددا بتصور زواله
مع بقاء ذاته لأنه حينئذ تكون الصفة غيره ولا يجوز أن تكون
صفة الله تعالى غيره لأن حقيقة الغيرية إنما يتبين بزوال
أحدهما مع بقاء الآخر وذلك محال في حق الله تعالى وصفته
فلا يقال إن صفة الله تعالى غيره فيكون إلحاقا لصفته
بصفات الخلق فيكون جعلا لصفته عرضا إذ صفات الخلق أغيار
لهم لكونها أعراضا تعرض فيهم وتزول والله تعالى قديم بصفاته
بلا ابتداء دائم بكماله بلا انتهاء ولا يقال إن صفة الله هو
لأن فيه تعطيل الذات وحاصل المعنى في ذلك أنه خالق ولا
مخلوق ورب ولا مربوب لأن التخليق معنى قائم بذاته في
الأزل وإن لم يكن مخلوق كما كان عالما في الأزل
بالعالم قبل وجوده وكما كان قادرا في الأزل ولا مقدور
وهذا على ما بينوه رحمهم الله من بعد بقولهم كما أنه محيي الموتى
بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق
اسم الخالق قبل إنشائهم قال الإمام أبو منصور في التأويلات
كل صفة لله تعالى فهي ذاتية سواء كانت ترجع إلى الذات
أو ترجع إلى الفعل عند أهل السنة والجماعة لأن لله تعالى نعوتا
أزليا كسائر صفاته من العلم والقدرة والإرادة ونحوها لأنه
متى لم يكن مستحقا لاسم الخالق في الأزل بمعنى قائم بذاته
قبل وجود المخلوق ثم صار موصوفا به لوجود المخلوق صار
وصفه بالخالق حادثا له بالمخلوق ولا شك أن وصفه بالخالق
من أوصاف الكمال فكان القول بتعريه عنه قولا بقيام
وصف النقص به والقديم يتعالى عن ذلك ولأنه تعالى مدح
نفسه بصفات الفعل بقوله هو الله الخالق البارئ المصور له
الأسماء الحسنى وقوله له الأسماء الحسنى أي الصفات أي لا يسمى

بتلك الأسماء على التحقيق إلا هو إذ لا يقال لغيره على الإطلاق الرب ولا الرحمن ولا المالك فثبت أن له معنى الخالق في الأزل ولا مخلوق وعلى زعم المعتزلة في الصفات الذاتية والفعلية وعلى قول من تابعهم في صفات الفعل لا يتحقق له المدح إلا بعد حدوث المخلوق فيكون فيه إثبات الحاجة له إلى من به تتحقق له صفات المدح والكمال تعالى الله عن الحاجة لأنه على زعمهم لم يكن له اسم الخالق قبل وجود الخلق فصار خلق الخلق لجر النفع وقد وصف تعالى نفسه بصفة الكمال وعدم الحاجة بقوله والله الغني وأنتم الفقراء وبقوله إن الله لغني عن العالمين فثبت أن ما يرجع إلى صفات الفعل أيضا أزلي وفي قوله تعالى مالك يوم الدين دلالة أيضا على قدم التكوين وساير صفات الفعل لأن الله تعالى وصف نفسه بكونه مالك يوم الدين والملك عبارة عن التصرف بالمشية وهو عبارة عن الفعل فكان هذا إخبارا من الله تعالى في الأزل أنه هو المتصرف يوم الدين لوقت وجوده وهو يوم القيمة وهو معدوم في الأزل وفي هذا الوقت وفي وقت النزول فصار هذا حجة على المعتزلة والأشعرية وهو على الأشعرية ألزم لأنهم يقولون إن الملك عبارة عن التصرف والمعتزلة يقولون إن الملك عبارة عن القدرة والقدرة صفة ذاتية هربا عن هذا الإلزام وإن كانوا في التحقيق لا يثبتون لله تعالى صفة أصلا لا ذاتية ولا فعلية وإنما الصفة عندهم هي وصف الواصف لا غير ولأن الله تعالى يوصف بأنه جواد لم يزل وسميع لم يزل وبصير لم يزل وإن كان ما يقع عليه السمع والبصر والجود معدوما وكذى يوصف بأنه رب كل شيء في الأزل وإن كانت الأشيا تحدث في المستقبل لما أنه يوصف بذلك لوقت وجود الأشياء فلذلك في صفات الفعل يجب أن يوصف بذلك في الأزل **وأما قولهم ذلك بأنه على كل شيء قدير** فقولهم ذلك لفظة إشارة إلى ما تقدم ذكره من الإحياء والإماتة وساير الصفات يعنون أنها توجب صفات المدح والكمال فيجب القول بثبوتها له في الأزل **وقولهم بأنه على كل شيء قدير** يعنون أن الله تعالى موصوف في الأزل بأنه على كل شيء قدير وإن لم تكن الأشياء موجودة في الأزل فكذلك يجب أن يكون موصوفا في الأزل بساير صفات المدح من التخليق والتكوين والإحياء والإماتة لأنه قديم ومن شرط القدم ثبوت الكمال فيجب القول بأنه على كل شيء قدير

وأما قولهم وكل شيء إليه فقير

معناه قد افتقر كل شيء إليه في تكوينه ووجوده فصار كل شيء كائنا وموجودا بتكوينه وإيجاده ثم افتقر كل شيء إليه في قوامه وبقائه فهو الذي أحوج كل شيء إليه **وأما قولهم ولا يحتاج إلى شيء** فمعناه أنه تعالى قديم ومن شرط القدم التبري عن النقايص والحاجة نقص فيتعالى عن مساس الحاجة وبكمال الاستغناء وصف نفسه وهو قوله تعالى إن الله لغني عن العالمين

وأما قولهم عقيب نفي الحوايج عنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

فإنما ذكروه لأنه نص محكم لا احتمال فيه وهو شامل لنفي جميع سمات المحدثين وصفات المخلوقين عن الله تعالى ومثبت لصفات المدح والكمال وعلى إثبات موجبه قامت الحجج والبراهين قال القاضي أبو حفص الغزنوي قولهم رحمهم الله له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق كما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم

التكوين والمكون

هذا منهم إثبات لقدم صفات الذات والفعل لله تعالى ۞ وهو
مذهب أهل السنة والجماعة ۞ وذكر سيف الحق أبو المعين
في أصوله إجماع أهل الحق على إثبات صفات الذات والفعل
جميعا ۞ وقالت الكلابية والقلانسية ۞ والأشعرية
إن جميع ما هو من صفات الفعل فهو حادث ۞ وقالوا أيضا إن
التكوين والمكون واحد وحجة أهل الحق على كون صفات
الفعل أزلية قائمة بذات الله تعالى كصفات الذات ۞ وأن
التكوين غير المكون قول الله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا
أردناه أن نقول له كن فيكون ۞ فالله تعالى عبر عن التكوين
بكن وعن المكون بقوله فيكون ۞ وكذا عبر عنه
بالشيء ۞ تحقيقه أن خطاب كن غير المكون عند
الأشعري وغيره من المتكلمين ۞ هو أن كلام الله تعالى
عندنا وعنده صفة أزلية قائمة بذات الله ۞ والمكونات
جواهر وأعراض حادثة غير قائمة بذات الله تعالى ۞ ولا شك
في ثبوت التغاير بين الأزلي والحادث ۞ وبين ما هو صفة
قائمة بذات الله تعالى وبين ما ليس بصفة قائمة بذات الله تعالى
والتكوين ما يتعلق به المكون ∴ والإيجاد ما تعلق به الوجود
وقد تعلق وجود العالم بخطاب كن فيكون هو إيجادا وتكوينا وخلقا
وهو غير المكون الموجد المخلوق ۞ وأن العالم خلق به
فإذا سلموا أن وجود العالم وتكونه حصل به فكان تكوينا وتخليقا
فمن أعطى الحقيقة ثم أنكر الاسم كان مناقضا وعد المتكلمون
هذا من مناقضات الأشعري ۞ قال سيف الحق وهذا لعمري
أفحش مناقضة فإنه ينفي التكوين ثم يثبته ۞ ولو لم يكن هذا
تناقضا فلا تناقض في عالم الله تعالى ۞ وكل شبهة للأشعرية
أوردوها من شبههم السمعية والعقلية في إثبات حدوث التكوين

وفي جعل التكوين والمكون واحدا ۞ فإنها تبطل بهذا ۞ تحققه
أنه ما من كتاب من كتب الأشعري أو أحد من أصحابه تكلموا
فيه على المعتزلة في إثبات أزلية الله تعالى إلا وقد تعلقوا بهذه الآية
وقالوا إن الله تعالى أخبر أنه خلق المخلوقات بخطاب كن
فلو كان خطاب كن مخلوقا لاحتاج إلى خطاب آخر ۞
وكذا الثاني إلى الثالث إلى ما لا يتناهى ∴ فدل أن
الكلام غير مخلوق ∴ وإذا كان الأمر كذلك ثبت
أنهم أثبتوا لله تعالى صفة أزلية يتعلق به حدوث العالم وهذا
هو التكوين والإيجاد والخلق عند القائلين به ∴ وهذا ظاهر
لا محيص عنه لمن أنصف ولم يكابر ۞ ثم لنا دلائل أخر (أي لا محيد عنه)
سمعية يطول ذكرها ∴ وفيما تعلقنا به من الأدلة دلالة كافية
معجزة للخصوم إذا أنصفوا ولم يكابروا **ولنا من الحجج العقلية**
أن نقول وبالله التوفيق أجمع المسلمون على أن
خالق العالم هو الله تعالى ولا شك أن الخالق وصف من الله تعالى
لا بد من وجود معنى يكون به خالقا ۞ ثم عند من يخالف أهل الحق
في هذه المسألة لم يكن من الله تعالى إلى العالم معنى يتصف هو
بكونه خالقا ۞ والعالم بكونه مخلوقا ∴ إذ المعنى الذي به
يكون العالم مخلوقا لو كان لكان هو الخلق والإيجاد
وذلك عند المخالفين هو عين الموجد المخلوق لا قائم بذات
الله تعالى ۞ فإذا كان وجود العالم بالعالم لا بالله تعالى ۞
إذ لم يكن منه إليه معنى يوجد به لأن إيجاد الأشياء بالتكوين
وعندهم التكوين هو المكون نفسه فيكون تكوين السماء هو
السماء ۞ وكذا خلق كل شيء هو نفس ذلك الشيء ۞
فلم يكن إلى العالم منه تعالى معنى سوى أنه أقدم من العالم ۞
ووجود شيء أقدم من شيء لا يجعل من هو أقدم منه خالقا له ۞

إذ لم يكن منه إليه معنى يكون به خالقا كتكوّن زيد بعد عمرو
ولا يجعل عمروا خالقا لزيد وإن كان أقدم منه إذ لم يكن منه
إليه صنع ∴ وكذى القدرة لا توجب كون القادر فاعلا
إذ لم يتصل بها الفعل ألا ترى أنه تعالى في الأزل كان قادرا
ولم يكن المقدور موجودا لما لم يتصل به بالفعل فلم يكن عند هؤلاء
وجود العالم بالباري بل كان وجوده بنفسه ∴ وما كان
وجوده بنفسه لا بغيره فهو قديم فيكون قولهم قولا بقدم العالم

وقد تعلق الخصم بشبهة سمعية

منها قوله تعالى هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه
فقال استدل سبحانه على توحده بالوهية بأفعاله وأطلق
عليها اسم الخلق فدل أن الخلق مخلوق ∴ ومنها قوله تعالى
إن في خلق السموات والأرض إلى قوله ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ∴ قال إنه تعالى
جعل في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات
على وحدانيته لذوي العقول ليستدلوا بما فيهما من علامات
الحدوث ∴ وإنما يستدل على ذلك بمفعولاته لا بصفاته
التي هي غير مرئية لنا ∴ وما دل على الصانع فهو مصنوعه
فدل أنه أراد به مفعولاته وسماها دل أن الخلق مخلوق

الجواب عن ذلك قال سيف الحق أما
قوله هذا خلق الله فأروني وغير ذلك من الآيات فنقول
للخصم ما أنكرت على من يقول لك إن المراد بقوله هذا خلق
الله وغير ذلك من الآيات هذا مخلوق الله إذ لا وجه لك إلى
إنكار جواز إقامة المصدر مقام المفعول في اللغة كما في العلم
والقدرة حيث يذكر العلم ويراد به المعلوم وكذى في القدرة
فإن قلت هذا مجاز ولا يصار إليه إلا بدليل ∴ قيل لك إن على

قولك وهو مذهب أبي الحسن الأشعري ما كان محتملا للمجاز
لا يكون موجبا للعلم قطعا فلا يحتج به في المسائل الاعتقادية
إلا بدليل موجب للعلم قطعا ويقينا ∴ فلا وجه لك إلى التعلق
بهذه الآيات ونظايرها المحتملة للمجاز في محل النزاع ∴ إلا إذا
أقمت الدلالة على نفي احتمال المجاز ولا دلالة على ذلك معك
ثم نحن نقيم الدلالة على أن المراد من الآيات هو المخلوق
دون الخلق الذي هو الصفة بطريق المجاز ∴ وحمل الكلام
على المجاز جايز بالدليل **فمن الدلايل** ما أقمنا الدلالة
السمعية التي لا مجال للشبهة في إبطال الاحتجاج بها
على ما سبق ذكره ∴ وقد أقمنا الدلايل العقلية الموجبة للعلم
بأنه لا بد من وجود معنى يكون الله تعالى به خالقا وهو
التخليق والإيجاد **وأما قول الخصم وإنما يستدل**
على الصانع بمفعولاته لا بصفاته التي هي غير مرئية لنا
فالجواب عنه أن نقول لما كان المفعول
المرئي دالا أن فاعلا فعله كان دالا على فعله ∴ فيصير فعله
معلوما بدلالة مفعوله ∴ ثم فعله يدل على الفاعل إذ لا فعل
يتصور بدون الفاعل فكانت دلالة المصنوع المخلوق على
صنع الصانع إذ هذا دلالة الأثر على المؤثر ∴ والعالم أثر
فعله لا أثر ذاته ثم الفعل المدلول عليه يدل على الفاعل فكانت
الدلالة على الذات في خلق السماء لا في نفس السماء بل دلالة نفس
السماء على الفعل على ما قررت ∴ فكانت فايدة ذكر الخلق هذا
وبالله العصمة **وقول الخصم وما دل على الصانع فهو مصنوعه**
قال سيف الحق هذا ممنوع بل ما دل على الصانع فهو صنعه ∴ وما
دل على الصنع فهو المصنوع فكانت دلالة المصنوع على الصانع بواسطة
دلالته على الصنع ∴ واستدل بعض الأشعرية لما تمسكوا به من

العالم

وهو تخليق الله

القول بحدوث صفات الفعل ∴ فقال إن الفقهاء أجمعوا أن
من حلف بصفة من صفات الذات انعقدت يمينه ∴ ولو قال
وخلق الله لا أفعل كذا لا يكون يمينا ∴ قال سيف الحق
هذا منه لجهله بمذاهب خصومه في الفقه فإن محمد بن الحسن
ذكر في كتاب الأيمان من المبسوط أنه لو قال وعلم الله
لا يكون يمينا ∴ ولا خلاف أن العلم من صفات الذات ومع
ذلك لم تجعله يمينا لما أن المتعارف وكان عندهم أن العلم
يذكر ويراد به المعلوم ∴ ومن المعلومات ما لا يحصى كثرة
لا ينعقد بها الحلف فلم تجوز لهذا ∴ حتى أنه لو قال أردت به
العلم الذي هو صفة الله تعالى كان يمينا ∴ فكذا إذا قال وخلق
الله ∴ لأن الخلق يذكر ويراد به المخلوق بل المتعارف هذا
هو على ما قررنا ∴ فلم تنعقد اليمين به لهذا ∴ حتى أنه لو قال
عنيت به صفة الله تعالى تنعقد يمينه كذا نشر مشايخنا هذه
المسائل ∴ فكان التعلق بمثل هذا حجة لا محضا ∴ وعلى ذلك
قول الناس إن الله تعالى خالق الخلق ∴ وقولهم اللهم ارحم
هذا الخلق ∴ وقولهم إن الخلق غير الله ∴ فالخلق في هذا كله
على إرادة المخلوق ∴ لا على إرادة الخلق الذي هو صفة الله تعالى
وقد استدل بعض الأشعرية على أن الخلق ليس معنى زائدا
على المخلوق بقول أهل اللغة فقال قال سيبويه حد
الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء مثل قولك ضرب
يضرب فاضرب ∴ وقالوا الأفعال على ثلاثة أقسام ∴
ماض ∴ ومستقبل ∴ وفعل أمر ∴ ثم قال هذا المستدل
أيضا إن الفعل على ضربين لازم ومتعدي ∴ ثم عندهم المفعول
على الحقيقة هو المصدر ∴ ثم يقولون مفعول به ∴ ومفعول
له ومفعول فيه ومفعول معه ولا يزيدون على ذلك وما أحد

الفصل بين الفعل والمفعول فدل ذلك على ما قلنا ∴
قال سيف الحق أبو المعين مجيبا له ∴ هذا الرجل تعاطى
صناعة نظر إليها من وراء الجبال لا من وراء الجدار ∴ ولو
عرف مواضعات أهل النحو ما اشتغل بمثل هذا الكلام الدال
على خلوه عن هذه الصناعة فنقول أولا أكل
ما أطلقه سيبويه صحيح مأخوذ به فإن قال لا أبطل
احتجاجه ∴ وإن قال نعم قيل له إن سيبويه أثبت
للعباد فعلا فإنه قال في قوله ضرب زيد ارتفع فلم زعم
صاحبكم الأشعري أن لا فعل في الحقيقة إلا لله تعالى
وخالف سيبويه ∴ ثم قال حد الفعل أمثلة أخذت
من لفظ أحداث الأسماء وأراد بالأحداث المصادر سماها
أحداثا لأنها تحدث في رأي العين من الفاعلين وأضاف
الأحداث إلى الأسماء وأراد به الذوات التي تحصل منها الأفعال
الحقيقية التي هي عندهم المصادر ∴ وسماها الأسماء لأن الاسم
عبارة عن المسمى وهذا ما رده عليه أبو العباس المبرد وقال
هذا خطأ ∴ لأن المصادر من المسميات لا من الأسماء ∴
وأهل الصناعة قالوا الصحيح ما ذهب إليه سيبويه لأنه
عنى بالأسماء المسميات دون التسميات كما هو مذهب
أهل السنة أن الاسم والمسمى واحد ∴ ثم إن صاحبكم
الأشعري لم يقبل من سيبويه قوله إن الاسم هو المسمى ∴
ولا من أبي عبيدة إذ روى عنه هذا بل خالف جميع من
تقدمه وقال إن الاسم هو الصفة وإذا كان هو خالف
سيبويه في هذا كله كيف ألزمتم خصومكم الأخذ بقوله
قال سيف الحق ثم نقول له إن الفعل عند النحويين
هو الكلام وهو ينقسم إلى قسمين تعريف وتكليف وتعني

بالتعريف الإخبار وهو ينقسم إلى أقسام الأزمنة وهو الماضي كقولك
ضرب أمس ∴ والقائم وهو الحال كقولك يضرب ∴ والآتي
كقولك سيضرب ∴ والتكليف ينقسم إلى إيجاب وهو
الأمر ∴ وإلى منع وهو النهي وهذا كله من أقسام الكلام ∴
ولهذا يقال في أقسام الكلام إنه خبر واستخبار ∴ وأمر ونهي ∴
فإن كنت أخذت بقول أهل اللغة ففعل الله إذًا كلامه
وكلامه أزلي وتساعدونا فكان فعل الله أزليًا ∴
ولو كان الفعل حادثًا لكان الكلام حادثًا ∴ وإن لم تقبل
هذا من أهل اللغة بطل إلزامك ∴ ثم الفعل عندك وعند
المتكلمين ما هو المصدر عند أهل اللغة وهم لا يعدون
ذلك فعلًا بل يعدونه اسمًا ولهذا اختص بعلامات الأسماء
وهي لام التعريف أو التنوين أو الإضافة دون علامات
الأفعال وهي قد وسوف فإذا ما هو الفعل عندهم ليس بفعل بلا
خلاف ∴ وما هو الفعل عند المتكلمين ليس بفعل عند أهل
اللغة فكيف تلزم خصمك الأخذ بقولهم ∴ قال سيف
الحق ثم قوله إن عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر ثم
يقولون مفعول به ومفعول له ومفعول فيه ومفعول معه ∴
ثم قال وما أخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا من
أوله إلى آخره كلام فاسد متناقض ∴ فإنه حكى عنهم
في أول كلامه الفصل بين الفعل والمفعول ∴ ثم قال في آخر
كلامه وما أخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا هو
التناقض الظاهر وقع فيه لجهله بمواضعات أهل اللغة ∴ وبيان
ذلك فإن قوله إن عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر
هذا شيء يقوله البصريون وخالفهم فيه الفراء قال إن المصدر
ليس بمفعول بل هو فعل ∴ والمفعول به الفعل ∴ فلم يكن هذا مفعولا

من البصريين مع مخالفة الفراء إياهم وهو من رؤساء أهل الكوفة
ثم تقول المفعول عندهم ليس ما هو المفعول حقيقة وكذا
الفاعل ∴ وكذا الفعل ∴ فإنك إذا قلت لم يضرب زيد عمرًا كان
زيد عندهم فاعلًا وعمرو مفعولًا ∴ ولو قلت مات خالد وطال
الغلام واسود الشعر كان ارتفاع كل اسم من هؤلاء لكونه
فاعلًا ولم يوجد من هؤلاء فعل البتة لكن الفاعل عندهم ما أسند (من أحد)
إليه وحدث عنه ما هو الفعل في صناعتهم فيعد فاعلًا ∴ وما لم
يحدث عنه ولم يسند إليه كان مفعولًا وإن لم يقع عليه
فعل ما ∴ فكان المصدر عند البصريين مفعولًا مطلقًا
على مقتضى صناعتهم لا أن يكون مفعولًا حقيقة كما
لو قلت عبدت الله تعالى كان انتصاب قولك الله لما
ذكرنا وكذا لو قلت لم نعبد الله وليست حقيقة الفعل
واقعة عليه ∴ تعالى الله عن ذلك ∴ فإذًا ما هو الفعل عند
المتكلمين كان مفعولًا عند البصريين من أهل اللغة
وشيء من هذا لا يتصل بما نحن فيه فكان التعلق بهذا
تلبيسًا ظاهرًا وبالله المعونة قال الإمام الناصري
أيده الله تعالى ∴ وذكر القاضي أبو حفص الغزنوي في شرحه
لعقايد فقهاء الملة رحمهم الله فقال قد توهم طايفة من الناس
أن القول بقدم صفات الفعل يؤدي إلى القول بقدم
المخلوق وهذا غلط منهم فإن الخلق والتخليق والتكوين
والإيجاد صفات للخالق دون المخلوق ∴ وإنما المخلوق يكون مخلوقًا
بخلق الله تعالى ∴ لأن المخلوق يكون بالخلق الذي هو تكوين الخالق
فيكون أولًا والمخلوق ثانيًا فبطل ما توهموا لثبوت تأخر المخلوق عن الخلق ∴
ولا يستنكر أن يكون المؤثر يظهر تأثيره في الحال بلا فصل أو مع فصل
بمدة وهو أعني المصنوع في الحالين أثر فعل الصانع ∴ فإذا اتضح كون

المحدثات في الأوقات التي سبق في علم الله تعالى وجودها فيها بإيجاده
وخلقه الذي هو صفة قديمة فكان صفة الخلق قديمة مع انتفاء قدم
المخلوق كثبوت قدم العلم مع انتفاء قدم المعلومات المعدومة ∴
وثبوت قدم القدرة مع انتفاء قدم المقدورات ∴ وذكر سيف
الحق أبو المعين قول بعض من دفعته الحيرة والإفلاس عن الحجة
ممن كان في سني أربع مائة من الهجرة بأن قال إن القول
بقدم صفات الفعل قول حادث فقال سيف الحق في كتابه
هذا قول باطل صدر عن الجهل بمذاهب السلف وذلك أن أبا جعفر
الطحاوي رحمه الله وهو ممن لا تخفى درجته وعلو رتبته في
معرفة أقاويل سلف الأمة على العموم ومعرفة أقاويل أصحاب أبي
حنيفة رحمه الله على الخصوص قال في كتابه المسمى بالعقائد
الذي انتحه فقال صح عندي مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان
النعمان بن ثابت وأبي يوسف يعقوب بن إبرهيم ∴ وأبي عبد
الله محمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله ∴ ثم شرع في بيان أقاويلهم
إلى أن قال ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد
بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفة ∴ ثم قال له معنى الربوبية
ولا مربوب ∴ ومعنى الخالق ولا مخلوق ∴ وأرادوا بقولهم قبل خلقه
أي قبل مخلوقاته ثم قال وإن قولا كان أبو حنيفة وكبار
أصحابه قائلين به مع تبحرهم في أنواع العلوم ∴ وتقدم زمانهم
حتى عرف ذلك عوام أهل الإسلام فضلا عن خواصهم لعلم ظاهر
على جهالة من نسب ذلك إلى حدوث العهد بعد أربع مائة من
الهجرة ∴ ثم إن أئمة أصحاب أبي حنيفة رحمه الله السالكين
طريقته في الفروع والأصول ∴ المجتنبين عن الاعتزال الذابين
عن حريم الدين كلهم كانوا على هذا الرأي في قديم الزمان ∴
وكذا أئمتنا بسمرقند الجامعون بين علم الأصول والفروع كانوا

على هذا الرأي من لدن الشيخ أبي بكر أحمد بن إسحق بن صبيح
الجوزجاني صاحب أبي سليمن الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن
وكان في أنواع العلوم في الذروة العالية ∴ ومن رأى تصانيفه
ككتاب الفرق والتمييز ∴ وكتاب التوبة وغيرهما
يعرف جلالة قدره ∴ ومن كان صاحب محمد بن الحسن صاحب
أبي حنيفة كيف يكون ناشيا حتى يتعرض لهم بالنشو من كان
بعد أربع مائة سنة ثم تلميذه الشيخ أبو نصر أحمد بن العباس
المتصل نسبه بسعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج وكان
في العلوم بحرا لا يدرك قعره إماما في الفروع والأصول وهو أبو
نصر أحمد العياضي الذي استشهد في ديار الترك في أيام نصر
ابن أحمد بن أسد بن سامان الكبير ∴ ومن نظر في
كتابه المصنف في مسألة الصفات وما أتى فيه من الدلائل
على صحة قول أهل الحق وبطلان قول المعتزلة والنجارية عرف
تبحره في ذلك وحكي أنه لما استشهد خلف أربعين رجلا
من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي ∴ والشيخ
الحكيم أبي القسم السمرقندي ∴ ثم ابناه الإمامان أبو أحمد
وأبو بكر العياضيان كانا على هذا المذهب حتى قال الشيخ أبو
حفص العجلي البخاري وكان صدر ما وراء النهر وهو حافد نادرة
الشيخ أبي حفص الكبير ∴ الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة أن
أبا أحمد العياضي يعتقد مذهبه ∴ وعن الشيخ أبي القسم الحكيم
قال ما خرجت خراسان وما وراء النهر منذ مائة سنة
مثل الفقيه أبي أحمد العياضي علما وفقها ولسانا وبيانا وزهادة
وتقى ∴ وكذا أخوه أبو بكر العياضي كان بداية في أنواع العلوم
وساير خصال الشرف ∴ وهو الذي أوصى أهل سمرقند عند القضاء
أجله أن يتمسكوا بمذهب أهل السنة ويتجانبوا الأهواء خصوصا

الاعتزال ∴ وجمع المسايل العشر التي هي اصول المسايل الخلافية
بيننا وبين المعتزلة ∴ قال سيف الحق وقبل هذه الطبقة كان
القاضي ابو عبد الله محمد بن اسلم بن مسلمة بن عبد الله بن المغيرة
ابن عبد الله عمرو بن عوف بن حاضر الازدي وكان على قضاء
سمرقند في ايام نصر بن احمد الكبير ∴ توفي في شهر ربيع الاخر
من شهور سنة ثمان وستين ومائتين ∴ ومن هذه الطبقة
بسمرقند ابو بكر محمد بن اليمان السمرقندي صاحب كتاب معالم
الدين وكتاب الاعتصام وغيرهما من الكتب في الكلام وله كتاب
الرد على الكرامية من وقف عليه عرف تبحره وجلالة قدره في
العلم باصول الدين ∴ وبعد هؤلاء الفقيه ابو سلمة محمد بن
محمد صاحب جمل اصول الدين وكان تخرج على ابي احمد
العياضي واخذ منه الفقه والكلام ∴ والشيخ ابو الحسن الرستغفني
صاحب كتاب ارشاد المهتدي وكتاب الزوايد والفوايد في اصناف
العلوم ∴ قال سيف الحق ولو لم يكن فيهم الامام
ابو منصور الذي غاص في بحور العلوم فاستخرج دررها واي حجج
الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه غررها لكان كافيا
وعن ثلب مذهب كان عليه لذوي العقول والدين زاجرا ∴
وقال غير سيف الحق في وصفه ان ابا منصور الماتريدي
من اجلة اوتاد الملة واعلام الامة وقد اجتمع عنده من العلوم
الملية والحكمية ما صار به علما مشهورا من اعلام الهدى يعرف
به الغاوي من المهتدي في لحن القول ∴ لا يستطيعه اهل الاهواء
خصوصا اهل الاعتزال حتى كانت المعتزلة يلقبون اهل السنة
به ويسنبون سالكي طريقة ابي حنيفة في العقايد والاصول (اي بابي منصور رحمه الله)
اليه فيقولون هؤلاء الماتريدية لشدة ما يغيظهم شانه ∴ ووقوع
انتصاره لمذهب السنة والجماعة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة

ودحض شبهات الخصوم ∴ ومن كتبه كتاب التوحيد ∴
وكتاب المقالات ∴ وكتاب رد اوايل الادلة للكعبي
وكتاب بيان وهم المعتزلة ∴ وكتاب تاويلات القرآن
وهو كتاب لا يوازيه في فنه كتاب بل لا يدانيه شيء من
تصانيف من سبقه في ذلك الفن وله كتب شتى ∴ قال
سيف الحق ولو استقصيت في ذكر من كان على هذا المذهب
من الايمة وابنت عن جلالة اقدارهم وتبحرهم في اصناف
العلوم لطال الكتاب ∴ واكثر من ذكرت من هؤلاء
كانوا ماتوا قبل ثلثمائة وكان وفاة الاشعري في سنة اربع
وعشرين وثلثمائة ∴ وتوفي الشيخ ابو منصور بعد وفاة
الاشعري بقليل ∴ ومات اكثر هؤلاء الايمة قبل الاشعري
بزمان طويل فكيف يرد القول ممن كان بعد سني ثلثمائة
او بعد سني اربع مائة من الهجرة بحدوث العقد لما كان
عليه اولئك السلف المتقدمون وكيف يقبل ما تفرد به الاشعري
من الاقاويل بمثل هذه الوقاحة والجهل بمذاهب السلف وعلى
خلاف اجماع الامة الهادية لولا التعنت والافلاس عن
الحجة ثم قال سيف الحق ابو المعين في كتاب تبصرة
الادلة هذا مع ان اكثر رجال الصوفية الذين كانت بحور
علومهم زاخرة وكراماتهم فيما بين الخلق ظاهرة كانوا على
هذا المذهب يعني به اثبات ازلية صفات الذات والفعل جميعا ∴
ذكر هذا عنهم الشيخ العالم ابو بكر بن ابي اسحق البخاري
الكلاباذي فيما حكى من مذهبهم وعقيدتهم في كتابه
المسمى بالتعرف وهو الموثوق به فيما يروي العدل فيما يحكي
قال الامام الناصحي وقد وقفت على كتاب التعرف
المذكور وعلى اسامي اولئك الاعيان من الاولياء العارفين وعلى اقاويلهم

في التوحيد والصفات على وجه تقوم به البراهين والحجج وتدل
على تحقيق الولاية وشمول الكرامات الظاهرة لهم ببركة صحة
عقيدتهم في توحيد الله تعالى وصفاته ∴ وقد ذكرت هاهنا بعض
الأعلام منهم ∴ قال الشيخ العالم العدل أبو بكر بن ابي العظانهم
أبي إسحق فممن نطق بعلومهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً
بعد الصحابة رضي الله عنهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه
محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق وأويس القرني
والحسن بن أبي الحسن البصري ∴ وممن ذكرهم هناك أيضاً
مالك بن دينار ∴ وعبد الواحد بن زيد ∴ وإبرهيم بن أدهم
والفضيل بن عياض ∴ وداود الطائي ∴ وسفين بن سعيد
الثوري ∴ وأبو الفيض ذو النون المصري ∴ والسري السقطي
ومعروف الكرخي ∴ ومن أهل خراسان والجبل أبو يزيد طيفور
ابن عيسى البسطامي ∴ وسهل بن عبد الله التستري ∴ وممن
نشر علوم الإشارة أبو القسم الجنيد بن محمد بن جنيد البغدادي
وأبو بكر الشبلي ∴ وأبو الحسين أحمد بن عبد الصمد النوري وأبو
سعيد أحمد بن عيسى الخراز المصري ويقال له لسان التصوف
قال وممن صنف في المعاملات أبو عبد الله خبيق ∴
ويحيى بن معاذ الرازي ∴ وأبو القسم إسحق بن محمد الحكيم
السمرقندي ∴ ثم قال الشيخ عقيب ذكره
أساميهم هؤلاء هم المذكورون المشهود لهم بالفضل الذين جمعوا
علوم المواريث إلى علوم الاكتساب سمعوا الحديث وجمعوا
الفقه والكلام واللغة وعلم القرآن تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم
ثم شرع الشيخ العدل في شرح أقاويلهم في التوحيد فذكر أنهم ابي الكلاباذي
أجمعوا على أن الله تعالى واحد ∴ أحد ∴ فرد ∴ صمد ∴ قديم ∴
عالم ∴ قادر ∴ حي ∴ سميع ∴ بصير ∴ إلى أن قالوا إنه تعالى موصوف

بكل ما وصف به نفسه من صفاته ∴ مسمى بكل ما سمى به نفسه
لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته إلى أن ذكر قولهم في الصفات
فقال أجمعوا أن لله تعالى صفات على الحقيقة هو بها موصوف
من العلم والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة والكبرياء
والجبروت والحيوة والقدم والمشية والإرادة والكلام
إلى أن قالوا إنه لا يجوز أن تحدث لله صفة لم يستحقها فيما لم يزل
وإنه لم يستحق اسم الخالق بخلقه الخلق ∴ ولا بإحداث البرايا
استحق اسم البارئ ولا بتصوير الصور استحق اسم المصور ∴
إلى أن قالوا إن الله تعالى لم يزل خالقاً بارئاً مصوراً غفوراً رحيماً ∴
وكذلك جميع صفاته التي وصف بها نفسه يوصف بها كلها
في الأزل كما يوصف بالعلم والقدرة والكبرياء والقوة ∴ كذلك
يوصف بالتكوين ∴ والتصوير والتخليق ∴ والإرادة ∴ وذلك
أنه لما ثبت أنه سميع بصير ∴ قادر ∴ خالق ∴ بارئ ∴ مصور
وأنه مدح له ∴ فلو استوجب ذلك بالمخلوق والمصور والمبرو
لكان محتاجاً إلى الخلق ∴ والحاجة أمارة الحدث ∴ وروى
عن بعض نقلة الآثار أنه وقف على باب دار القضاة بالكوفة
وقال لقد خرج من هذه الدار سبعون قاضياً وهم على
مذهب أبي حنيفة وهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق
وذكر القاضي الإمام أبو العلاء صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد من تصنيفه فقال روى عن عبد الملك بن أبي
الشوارب أنه أشار إلى قصرهم العتيق بالبصرة وقال قد
خرج من هذه الدار وهذا القصر سبعون قاضياً على مذهب أبي
حنيفة رضي الله عنه كلهم كانوا يرون إثبات القدر
وأن الله تعالى خالق الخير والشر ويروون ذلك عن أبي حنيفة
وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن وأصحابهم ∴ ويروى

هاؤلاء القضاة عن أبي حنيفة وأصحابه الذين سميناهم أن من يقول
إن الله تبارك وتعالى خلق الخير ولم يخلق الشر ولم يقدرهما
جميعا فهو مبتدع لا يصلى خلفه قال الشيخ الإمام
الناصري قد ثبت عند علماء الأمة وحفاظهم العارفين بمذاهب
السلف أن من انتمى إلى أبي حنيفة ولم يثبت قدم صفات اي انتسب
الذات والفعل جميعا ∴ ولم يثبت أزلية كلام الله تعالى ∴ ولم يؤمن
بالقدر خيره وشره فليس هو من مذهب أبي حنيفة في شيء
وذكر القاضي أبو العلاء صاعد رحمه الله في كتاب الاعتقاد
أشياء من أصول أبي حنيفة وأصحابه من ذلك ∴ قال
أبو العلاء روى عن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه أنه قال
ما الأمر إلا ما جاء به القرآن ودعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم
وكان عليه أصحابه رضي الله عنهم حتى تفرق الناس فأما ما
سوى ذلك فمبتدع محدث ∴ وذكر أيضا فقال روى عن
أبي مطيع قال قلت لأبي حنيفة أخبرني عن الإيمان فقال
لتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتشهد بملائكته وكتبه
ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره ∴ وتشهد أنه
لم يفوض الأعمال إلى أحد والناس صايرون إلى ما خلقوا له وإلى
ما جرت به المقادير ∴ وذكر أيضا فقال روى عن محمد
ابن الحسن أنه سئل ما كان أبو حنيفة يقول في القدر قال
سمعت أبا يوسف يقول كنت عنده جالسا إذ جاءه رجل من ناحية
البصرة فقال يا أبا حنيفة تثبت القدر فقال كيف لا
أثبت القدر وقد أثبته الله تبارك وتعالى فقال إنا كل شيء
خلقناه بقدر فما بقي في العالم شيء إلا وهو داخل فيه ∴

وأما قولهم وقدر لهم أقدارا

قال أقضى القضاة أبو حفص الغزنوي هذا منهم إثبات أن كل شيء

يجري في الخلق فهو بتقدير الله تعالى ∴ قال سيف الحق في
أصوله ثم القدر على وجهين ∴ أحدهما الحد الذي يخرج عليه
كل شيء على ما جعله عليه من خير أو شر من حسن أو قبح من
حكمة أو سفه وهو تفسير الحكمة أن يجعل كل شيء على
ما هو عليه ∴ ويقدر كل شيء على ما أليق به ∴ فمتى أوجده على
ما تقتضي الحكمة وجوده عليه كان حكيما ∴ ولهذا قال أهل
الحق خلق فعل الكفر ليس بسفه ∴ وإنما يكون سفيها من يقصد
تحصيل السفه حكمة وتحصيل القبيح حسنا ∴ فأما إيجاد ما هو حسن
حسنا وما هو قبيح قبيحا يكون حكمة لا سفها كالإخبار
بالشيء على ما هو به يكون صدقا والوجه الثاني القدر
هو بيان ما يقع عليه كل شيء من زمان ومكان وما له من
الثواب والعقاب هذا هو تفسير لفظ القدر وهو مذهب أهل
السنة والجماعة ودليلهم على ذلك ما مر ذكره من الدلايل
العقلية على أن كل شيء لم يكن ثم كان فهو بتخليق الله تعالى
وتكوينه إذ حدوث المعدوم بنفسه محال لما أن المعدوم
لا حقيقة له في نفسه فلا يكون له فعل الإيجاد ∴ فثبت
أن حدوثه بغيره هو قديم لما بينا من الدلايل القاطعة أن
المحدث يستحيل منه إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود
ويستحيل أن يكون خروج المعدوم وحدوثه باثنين لما مر من
الدلايل القاطعة على استحالة الصانعين لما في ذلك من التدافع والتمانع
الموجب لتعطل المصنوع حتى يظهر الكامل الغالب على ما قال
الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ∴ وعلى ما قال
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على
بعض ∴ فثبت أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء من خير
أو شر ∴ ومن الحجج السمعية على ذلك قوله تعالى قل الله خالق

كل شيء ∴ وقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر ∴ وقوله تعالى
وكل شيء عنده بمقدار ∴ والحديث المشهور عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم القدر خيره وشره من الله ∴ وحديث
سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من كن
فيه فهو مؤمن ومن جاء بثلث وكتم واحدة فقد كفر ∴ شهادة
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأنه مبعوث من بعد الموت ∴
وإيمان بالقدر خيره وشره ∴ فمن جاء بثلث وكتم واحدة فقد كفر
ذكره سيف الحق في كتابه الملقب بتبصير الأدلة

وأما قولهم وضرب لهم آجالا

قال أبو حفص الغزنوي هذا منهم تحقيق بأن الأجل المضروب
لكل أحد منهم مبرم محكم لا يحتمل التأخر عنه ولا التقدم
عليه عما ضرب له إذ يكون في التقديم من غير تعجيز إياه عن
تبليغه الحد الذي ضرب له وذلك محال في حق الله تعالى ∴
وفي التقديم والتأخير من قبله لحوق البداء والجهل وتعالى الله
عن ذلك ∴ ومن الدليل السمعي قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ∴ وكذلك الحديث
المعروف أن عند تصوير العبد في بطن أمه بأمر الله تعالى
ملكا فيكتب على جبهته رزقه وأجله وسعادته وشقاوته وفي
هذه الأدلة بطلان قول المعتزلة إن لكل إنسان أجلين
أحدهما الموت والآخر القتل والله تعالى أخبر أنهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون فبطل قولهم ∴ ومما يبطل قولهم أيضا قوله
تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ∴ أي لا تموت
نفس إلا بقبض المسلط على قبض الأرواح روحه وهو ملك الموت
وهو كقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم إن مات
أو قتل ∴ وعلى قول المعتزلة يقدر كل فاسق وكافر أن

يأتي إلى كل محقون الدم فيقتله قبل أجله فيكون خلاف قوله تعالى وما كان
لنفس أن تموت إلا بإذن الله والقتل هو الموت وهو انزهاق
الروح عند انتهاء الأجل ووجوب القصاص على ارتكاب النهي لا
على انزهاق الروح ∴ وعلى قول المعتزلة تبطل ولاية ملك الموت
عن عموم تسليط الله تعالى على قبض الأرواح العالمين وذلك تعجيز
للوكالة الالهية وهو محال ∴ ودل على بطلان قولهم أيضا قوله
تعالى كتابا مؤجلا ∴ وفيه معنيان كلاهما واحد ∴ أحدهما
قوله كتابا مؤجلا أي وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتأخر كقوله
تعالى لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والثاني كتابا
مؤجلا ∴ أي مثبتا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه كقوله وكل
شيء أحصيناه في إمام مبين ∴ فإن قالوا يجب على قولكم أن
من ذبح شاة غيره بغير أمره أن لا يضمن قيمتها لأنه عجل
المنفعة لصاحبها لأنه لو لم يقتلها لماتت مجانا وكذا من قتل
غيره ينبغي أن لا يجب القصاص لأنه لو لم يقتل يموت قال
أبو منصور فنقول هذا تلبيس وتزوير لأن ما علم الله تعالى أن يموت
بالقتل والذبح لا يكون موته حتف أنفه ∴ وما كتب في اللوح
المحفوظ أن خروج روحه بسبب القتل يكون موته به لا محالة
كيلا يؤدي إلى القول بتغير علم الله تعالى وحكمه لكن
القاتل والذابح منهي عن ذبح شاة الغير وعن قتل الآدمي المعصوم
وإنما يؤاخذ ويذم بارتكاب النهي مختارا ∴ ولا يكون
العبد بسبق القضاء والقدر والحكم بذلك معذورا ∴ إذ
يكون ارتكابه ذلك مختارا مؤثرا لا مضطرا مجبورا معدوم
الاختيار ∴ وذلك لأن القضاء والقدر والحكم كان بما
سبق به العلم في الأزل أنه يرتكبه مختارا وهذا هو معنى
قول أبي حنيفة إن ناظرتنا القدرية في القدر غلبناهم بالعلم

أي يسبق العلم أنه يرتكبه مختارًا لا مضطرًا ∴ فالمواخذة والذم
على ارتكاب النهي وعلى المكلف مراعاة ظاهر الأمر والنهي
دون اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم ∴ ألا ترى أن المؤمن
يعاقب بارتكاب المعاصي من الزنى والسرقة وأكل الربوا
وشرب الخمر واللواطة ونحوها وإن علم الله تعالى منه ذلك
وكتب في اللوح المحفوظ أنه يوجد إذ لا ينقلب علم الله تعالى
جهلًا ولا يمكن للعاصي الخروج عن ذلك الحكم لما فيه من تغير
الحكم وانقلاب العلم جهلًا تعالى الله عن ذلك ∴ لكن
لما نهي عن ذلك وكان في الظاهر ممكنًا من الانتهاء بالقدرة
على ذلك من حيث الأسباب نظرًا إلى الظاهر دون الباطن
كان مواخذًا بالحكم المعلق على الظاهر دون العلم الباطن
فهذا مثله ∴ وقال أبو حفص الغزنوي في شرحه
إنما قالوا يعني به أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمدًا وضرب
لهم آجالًا لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون ∴ وهذا نص محكم صريح ∴ ولأن التقدير
في الأشياء ظاهر والآجال في الخلق معلومة ومحال
إضافتها إلى غير الله تعالى لأن التقدير وضرب الآجال
من أفعال الربوبية فيعلم قطعًا أن الأقدار والآجال بتقدير الله تعالى

وأما قولهم لم يخف عليه شيء من أفعالهم قبل
أن خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم

قال أبو حفص الغزنوي إنما أوجبوا الاعتقاد بسبق علم
الله تعالى بكل كائن من خلقه قبل كونهم لأنه تعالى هو القديم
الكامل وما سواه محدث ∴ وثبوت العلم من صفات الكمال
فيستحيل عليه الجهل لما فيه من التعري عن الكمال ∴ وإنما
قرنوا التخليق بالعلم ∴ لأن العلم بالمخلوق من شرط التخليق

قال الله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ∴ وقال
تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم ∴ وقال وهو بكل خلق عليم ∴ وقال
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم **وأما قولهم وأمرهم بطاعته**
ونهاهم عن معصيته قال أبو حفص الغزنوي وإنما
ذكروا أمره ونهيه بعد ذكر علمه وتخليقه للعالم ليعلم أنه
تعالى خلقهم للاستعباد بالأوامر والنواهي قال الله
تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ∴ ولأهل الحق
في تأويله وجوه أحدها وما خلقت الجن والإنس إلا وعليهم
عبادتي ∴ والثاني وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم
وأنهاهم ∴ والثالث وما خلقت الجن والإنس إلا
لآمرهم بعبادتي والكل يرجع إلى معنى واحد وقال تعالى خلق
السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ∴ وفي قوله بالحق
وجوه أحدها أي خلق السموات والأرض لاستعباد أهلهما
بالأوامر والنواهي ∴ والثاني قوله بالحق أي لم يخلقهما عبثًا
بل لأمر كائن ثابت وهو البعث بعد الموت ∴ والثالث
أي خلقهما لعاقبة الجزاء بالثواب والعقاب إذ لولا الخلق
والإيجاد لذلك لكان خلقهما عبثًا باطلًا وتعالى أن يكون
فعله عبثًا ولذلك قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا
ترجعون أخبر أن الخلق لا للرجوع إليه يكون عبثًا ∴ والكفرة
لما تركوا تحمل الأمر والنهي وأنكروا البعث فقد ظنوا خلقهما
عبثًا وهو قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك
ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **وأما قولهم**
وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته فإنما قالوا ذلك لما
قامت الأدلة القاطعة على أن كل حادث حدث فهو بإرادة

الله تعالى وتخليقه وتكوينه خيرا كان أو شرا حسنا كان أو
قبيحا جوهرا كان أو عرضا وهو مذهب أهل السنة والجماعة ∴
وزعمت المعتزلة أن الله تعالى يريد من أفعالنا ما هو حكمة
أو طاعة ولا يريد ما هو معصية وقبيح ∴ وفي المباحات قال
بعضهم هو مريد لها ∴ ومنهم من زعم أنه غير مريد لها ∴ قال
سيف الحق ويكون هذا على قول معتزلة بغداد فإنهم يزعمون
أن الله تعالى لا يوصف بالإرادة في الحقيقة وإنما يوصف
بها مجازا فما كان من أفعاله تعالى يقال بأنه أراده
فمعناه أنه يفعله أو فعله ∴ وما كان من أفعال غيره ۝
فقيل إنه أراده فمعناه أنه أمره به ∴ والمباح ليس بمأمور
به فلا يكون مرادا ∴ قال سيف الحق والحاصل عند
أصحابنا أن كل حادث فقد حدث بإرادة الله تعالى على أي
وصف كان ∴ ثم ما كان من ذلك طاعة فهو بمشية الله
وإرادته ورضاه وأمره وقضائه وقدره وما كان معصية ۝
فهو بمشية الله تعالى وإرادته وقضائه وقدره وليس بأمر الله
تعالى ولا برضاه ولا بمحبته وذلك لأن محبته ورضاه يرجع
إلى كون الشيء عنده مستحسنا قال سيف الحق
وعلى هذا قدماء أصحابنا وهو الظاهر من قول مشايخ سمرقند
ونص عليه أبو منصور الماتريدي ∴ والإرادة والمشية لفظان
ينبئان عن معنى واحد ∴ ثم لمشايخنا في إضافة الإرادة ۝
عبارتان فمنهم من يضيفها على الإجمال فيقول إن الله تعالى
مريد حدوث كل ما علم حدوثه ولا يكون في سلطانه إلا ما
يريد كونه كما أطلقه المسلمون بقولهم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن ∴ ومنهم من لا يقتصر عند التفصيل عن ضم قرينة
فيقول إن الله تعالى أراد الكفر من الكافر كسبا له قبيحا مذموما ∴

الذرء الإيجاد

وكذي في غيره من المعاصي لئلا يؤدي إلى إبهام الخطاء وحجة أهل
الحق في ذلك نصوص منها قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن
والإنس قالوا أخبر الله تعالى أنه ذرأ لجهنم كثيرا من الجن والإنس
ومن ذرأه لجهنم أراد منه ما به يصير لجهنم إذ لو ذرأه لجهنم
مع إرادة ما به يصير للجنة يكون قد أراد منه ما يصير بإدخاله
ما ذرأه له ظالما وهذا محال ∴ وبيان ذلك أن المعتزلة
يقولون إن الله تعالى أراد من كل أحد الإيمان الذي به يصير
للجنة ∴ والله تعالى أخبر أنه ذرأ كثيرا من الجن والإنس
لجهنم ∴ فيستحيل أن يريد منهم الإيمان الذي به يصيرون
للجنة ثم يخلقهم لجهنم وزعمت المعتزلة بأن اللام في
قوله لجهنم أي يصير عاقبة أمرهم لجهنم كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار أي إنهم ما
التقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة التقاطهم ذلك ∴
قلنا لهم إنما يتصور ما ذكرتم من الحمل على لام العاقبة فيمن
يجهل العاقبة فأما من لا يجهل العواقب كيف يريد عاقبة
بفعل يعلم حقيقة أنها لا تكون على ما يريد تعالى الله عن ذلك ∴
ومنها قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ∴
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا أخبر أنه متى
أراد ضلاله لئلا يؤمن يجعل صدره ضيقا فيبقى على الكفر ∴
قال سيف الحق واعترض الكعبي من المعتزلة على هذا
فقال معنى الآية إن من أسلم آتاه الله من لطايفه ما لا يقدر
عليه غيره ثوابا لطاعته ∴ ومن كفر ضيق الله عليه صدره عقابا
لذلك قال سيف الحق وهذا تحريف لكتاب الله
ونقل للكلم عن مواضعها وليس بتأويل ∴ وذلك لأن الله
تعالى أثبت له الإسلام إذا شرح صدره ∴ والكفر إذا ضيق قلبه

أي شاكا

وجعله حرجا ∴ ولم يقل إنه يوجب شرح القلب لأنه أسلم ∴
ولا ضيق القلب لأنه أسلم كفر فكان فساده مما لا يخفى ∴
واعترض معتزلة البصرة بأنه أراد بقوله يهديه أي يبين له
وبقوله يضله أي يسميه ضالا وهذا فاسد لأن شرح الصدر لو
كان بيانا لكان قد شرح صدر كل كافر لوقوع البيان للكل ∴
ولو كان يقع ضيق الصدر لكل كافر لتسميته إياه ضالا
لكان كل كافر مشروح الصدر لحصول البيان له ضيق
الصدر لوجود تسميته كافرا وهذا محال ∴ وهكذا دأب
المعتزلة يحملون القرآن مذاهبهم ∴ ومما يدل على صحة
قول أهل الحق قوله تعالى خبرا عن نوح حيث قال لقومه
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن
يغويكم ∴ ذكر أن الله تعالى يريد أن يغوي الكفرة ∴
ومن ذلك قوله تعالى أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم
أخبر أنه لم يرد تطهير قلوبهم ∴ وعند المعتزلة أراد الله تطهير
قلوبهم ∴ وفي الآيات كثرة لإثبات قول أهل الحق ∴ وللمعتزلة
عليها اعتراضات فاسدة تركنا ذكرها لظهور فسادها عند
من له أدنى معرفة بدليل العقل والنقل قال الله تعالى فلو شاء
لهداكم أجمعين ∴ وقال ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
كلهم جميعا ∴ وقال ولو شاء الله ما أشركوا ∴ ومن المعقول
أنه لو شاء من الكافر الإيمان والكافر شاء من نفسه الكفر ∴
ثم كان الكفر دون الإيمان على ما زعمت المعتزلة لتعطلت
مشية الله تعالى بمشية الكافر ∴ وكانت مشية الكافر أنفذ
من مشية الله تعالى ∴ وكذي تكون على قولهم مشية إبليس أنفذ
في سلطان الله أنفذ من مشية الله تعالى لكون أكثر الخلق كافرين
وكذي من أدل الدلايل على ضعف الملك وعجزه أن يوجد

في ملكه ما لا يشاء ∴ وإن شاء أشياء ولا تكون ∴ ولا يشاء أشياء
تكون على كره منه ووصف الله تعالى بذلك محال إذ قامت
الأدلة القاطعة على أنه الواحد القهار ∴ وقد أثبت الله تعالى
لنفسه الألوهية والوحدانية بنفاذ إرادته فيما أراد ∴ وأبطل
ألوهية غيره ببطلان الإرادة فقال تعالى وإن يمسسك
الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله
وقال قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم
على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ∴ وقال تعالى وما
تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين فبطل قول المعتزلة
بأن الله تعالى أراد من كل كافر الإيمان الذي هو
خير وفضل ∴ وأن إبليس أراد منهم الكفر والضلال
فنفذت إرادة إبليس ومشيته ووجد الكفر وتعطلت إرادة
الله تعالى ومشيته فلم يوجد الإيمان تعالى الله عما يقول
المبطلون ∴ بل إرادة الله تعالى ومشيته نافذة في الكل
بما سبق علمه في الأزل فمن سبق في علمه أنه يؤمن ويختار
الإيمان أراد منه ذلك ومن سبق في علمه أنه يكفر
ويختار الكفر أراد منه ذلك ولا يجوز أنه يتوهم أنه
يريد غير ما علم لأن ذلك يكون إرادة تجهيل نفسه بأن
ينقلب علمه جهلا وذلك مستحيل في حقه فيستقيم لأهل
الحق التوحيد والعدل وبالله العصمة والتوفيق ∴ وقد
اعترضت المعتزلة على نصوص المشية فقالوا إن المشية المذكورة
أي القهر في الآيات هي مشية القسر والجبر أي لو شاء ربك لجبرهم
على الهدى ولآمنوا جبرا وما أشركوا ∴ واعترضوا في المعقول
فقالوا إنما يدل انعدام ما يشاء على الضعف أن لو لم تكن له قدرة
إيجاد ما يشاء ودفع ما يشاء ∴ وله قدرة إيجاد إيمان كل كافر

جبرًا منه وقدرة دفع كل كفر جبرًا فلا يوصف بالضعف ∴ فقال
لهم أهل الحق أيش تعنون بمشية القسر والجبر فتفرقوا عند ذلك
في تفسيرها فزعم أبو الهذيل منهم ومن تابعه أن تفسير الجبر أن
يخلق فيهم الإيمان جبرًا بدون اختيارهم فيوجد فيهم الإيمان
ويندفع الكفر ∴ فيقال لهم إن من مذهبكم أن
المؤمن فاعل الإيمان والكافر فاعل الكفر ولهذا أبيتم
أن يكون الله تعالى خالقًا لأفعال الخلق ∴ ولهذا قلتم إن المؤمن
يخلق إيمانه ليكون مؤمنًا ∴ وقلتم لو كان الله تعالى خالقًا للإيمان
والكفر لكان هو المؤمن الكافر المطيع العاصي فعلى
هذا لو خلق فيهم الإيمان لكان هو المؤمن لا العباد فلا
يتصور إيمانهم على قولكم ولم تنفذ مشيئته فيبطل على تأويلكم
قوله تعالى فلو شاء لهداكم وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
فيكون على مذهب المعتزلة له تعالى قدرة جعل نفسه مؤمنًا لا
قدرة جعل الكافر مؤمنًا ∴ وكذى ما اندفع عنه تعالى العجز
عن جعل الكافر مؤمنًا بل تكون له قدرة على جعل نفسه مؤمنًا
فيصير التأويل على مذهبهم فلو شاء لآمن نفسه وآتى نفسه
هداها لا غير ∴ ومن العجب العجيب قولهم إنه تعالى لو خلق
في العبد إيمانًا اكتسابًا له باختياره وتعلقت قدرته به لم يكن العبد
مؤمنًا بل كان الله تعالى هو المؤمن لأنه هو الذي أوجد الإيمان
ولو خلق فيهم إيمانًا جبرًا أو هدى جبرًا بلا اختيار من جهة العبد
ولا باكتسابه لكان العبد مؤمنًا ∴ ولو لم يخذلوا عن الحق
والهدى لما أوقعوا أنفسهم في هذه المناقضة الفاحشة والتحكم
البارد ولا استحيوا عن التفوه بمثل هذا الكلام السمج ∴ ثم
رأى الجبائي منهم عوار هذا الكلام وتشنيع أهل الحق عليهم
زعم أن تفسير مشية الجبر أن يخلق الله تعالى في العبد العلم الضرو

بصحة الإسلام ويقيم له الدلائل المثبتة له العلم الضروري
فيؤمنوا حينئذ ∴ قلنا لم وهذا أيضًا فاسد لأن العلم بصحة الإيمان
وحقيقة الدين غير الدين والإيمان ∴ وليس من ضرورة
وجود أحد المتغايرين وجود الآخر ∴ بل الجائز أن لا يوجد
ألا ترى أن الله تعالى قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ∴ أخبر
قبلا جمع قبيل
أنه وإن أقام كل دليل لا يؤمنون إلا أن يشاء الله إيمانهم
فكان في الآية بيان بطلان كلام الجبائي من وجهين أحدهما
أن قيام هذه الدلائل غير ∴ ومشية الإيمان غير حيث قال
ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله بعد وجود هذه الدلائل ∴
والآخر أنه أثبت أن بقيام هذه الدلائل لا يؤمنون ∴ وكذا
قال تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ∴ فمن قال
يؤمنون بها لا محالة فقد كذب الله تعالى في خبره بتحقيقه
أن أهل العناد لم يكونوا يؤمنون ∴ وإن كان العلم بطريق
الحقيقة ثابتًا لهم كما أخبر تعالى بقوله يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ∴ فثبت
أن وجود الإيمان والهداية ليس من ضرورة العلم والدليل
قال سيف الحق وغيره ثم الذي يبطل جميع تأويلاتهم
أن الله تعالى قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن
حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
أخبر أنه إنما لم يؤت كل نفس هداها لما أنه حق القول
منه ليملأن جهنم ∴ ولو أتى كل نفس هداها لم يتصور
أن يملأ جهنم بهم لأن المهتدي لا يملأ به جهنم ∴
وإعطاء الهدى بطريق الجبر على الطرق التي زعموا لا يخرجهم
من استحقاقهم جهنم وأن يملأ منهم جهنم فدل أن قولهم باطل ∴

ولأنه لا معنى لتعليقهم الإيمان الحاصل جبرا بالمشيئة أنه لو شاء لفعل لأنه قد فعل ذلك وحصل من كل كافر ∴ إذ كل كافر وكل مخلوق تشهد خلقته أن له صانعا حكيما عليما موصوفا بصفات الكمال منزها عن سمات الحدث والنقص لا يؤيد الكاذب المتنبي بالمعجزة فكان على هذا كل مخلوق مؤمنا بخلقته وقد شاء الله تعالى وفعل فلا معنى لحملهم قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن على إيمان الجبر والقهر وقد فعل ذلك فدل أن المراد من الآية ليس هو الإيمان الحاصل جبرا بل المراد إيمانهم الاختياري ∴ وقد صح في المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ∴ وكذا هذه اللفظة متداولة على ألسنة الأمة ولا وجه لحملها على مشيئة الجبر لأنه وإن أمكن أن يقال ما شاء الله جبرا كان لم يمكن أن يقال وما لم يشأ جبرا لم يكن لأن الطاعات كلها عند المعتزلة لم يشأ جبرا وكانت والمعاصي لم يشأ جبرا وقد كانت فدل أن المراد من المشيئة غير مشيئة الجبر قال أبو المعين ومن المعقول الذي لا مدفع له أن يسأل المعتزلة فيقال لهم هل علم الله تعالى ما يكون أبدا على ما يكون فإن قالوا لا كفروا لأنهم جهلوا ربهم ∴ وإن قالوا نعم قيل لهم شاء أن ينفذ علمه كما علم أو لا ∴ فإن قالوا لا فقد قالوا إن الله تعالى شاء أن يكون جاهلا وذلك أيضا انسلاخ لأن من شاء ذلك فليس بحكيم فيكونوا قد وصفوه بالسفه ∴ وإن قالوا نعم قد شاء أن ينفذ علمه كما علم فقد أقروا بأنه شاء أن يكون كل شيء كما علم أن يكون ∴ وهذا محكي عن أبي حنيفة حكاه عنه الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو لازم بمرة وهو

المعقول القوي في المسألة **وأما قولهم ومشيئته تنفذ** فإنما قالوا ذلك لما مر بيانه من البراهين الساطعة والحجج القاطعة على أن مشيئته تعالى صفة ذاتية فكانت نافذة في الأشياء إذ هو الواحد القهار قهر الأشياء على مقتضى إرادته وهو الملك القدوس الجبار جبر الأشياء على الدخول تحت مشيئته فظهر آثار نفاذ مشيئته وإرادته بتخصيص مفعولاته ومصنوعاته المتجانسة على هيئات مختلفة وأوصاف متباينة في أمكنة مخصوصة وأزمنة مخصوصة على ما مر بيانها في فصل الإرادة وظهر آثار قهره في كل شيء بالتسخير والتذليل ولزوم التغير والزوال وظهر آثار كمال قدرته الذاتية بقيام السماء في الهواء بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت وبكون السحاب الثقال مسخرا بين السماء والأرض حاملا بحور الماء قارا على متن الهواء قد طبق وجه السماء في الطول والعرض واقفا تارة وسائرا تارة بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت **وأما قولهم لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم** فلأنهم عباد والعبد اسم لمن هو موسوم بسمة التذلل يقال طريق معبد أي مذلل لكنهم مع كونهم عبيدا مملوكين ملك إيجاد وتخليق ليسوا في أفعالهم مجبورين بل لهم قدرة اكتساب لا قدرة تخليق لقيام الأدلة القاطعة على استحالة ثبوت قدرة التخليق لغير القديم تعالى ∴ ولهم اختيار فيما يأتون ويذرون لما ركب فيهم الاختيار والعقل فكانوا مختارين فيما يفعلون لا اختيار ربوبية بل اختيار محنة وكلفة مترددين بين فضل الرب تعالى وعدله ولذلك يثابون ويعاقبون كذا ذكر أقضى القضاة أبو حفص الغزنوي وأبو المعين النسفي وغيرهما وهو مذهب أهل السنة والجماعة قال أبو حنيفة رضي الله عنه أقول كما قال جعفر الصادق

لاجبر ولا تفويض ولا كره ولا تسليط ∴ والله لا يكلف العباد
ما لا يطيقون ∴ ولا يرضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ∴
وروى عبد الكريم الجرجاني عن أبي حنيفة رحمه الله قال
كذب الناس على الحسن حيث نسبوه إلى القدر كذى ذكره
القاضي أبو العلاء في كتاب الاعتقاد ∴

وأما قولهم فما شاء لهم كان وما لم يشاء لم يكن

فإنما قالوا ذلك لأن نفوذ مشيئة الغير في شيء من الأشياء
بدون إرادته تعالى ومشيئته دلالة القهر والعتوة وذلك محال
في حقه تعالى قال الله تعالى وما تشاؤن إلا أن
يشاء الله رب العالمين ∴ ولأن استبداد العبد بشيء لم يرد
الله كونه ولم يشأ وجوده خروج عن محل كونه عبدا وذلك
محال لأن سمات الحدث ورق العبودية لا يرتفع عنه
وإن جل قدره وعظمت رتبته لاستحالة ارتفاع التأليف
والتركيب عن ذاته لما فيه من بطلان الحدثية والمصنوعية
وذلك محال

وأما قولهم يهدي من يشاء ويعصم ويعافي من يشاء فضلا

قال القاضي أبو حفص الغزنوي
بينوا بهذا أن العباد لا يستحقون على الله تعالى وجوب مراعاة
الأصلح ولا مراعاة الصلاح في حقهم وقال عامة المعتزلة يجب
على الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم في باب الدين
وقال بعضهم لا بل يجب عليه مراعاة الصلاح في حقهم

قال الشيخ الإمام الناصري أيده الله تعالى

معنى قول أصحابنا يهدي من يشاء أي يخلق فعل الاهتداء
ممن يشاء وهذا هو قول أهل الحق في تأويل الهداية المضافة
إلى الله تعالى والإضلال المضاف إليه قال إمام الهدى

أبو منصور الهداية تحتمل وجوها أحدها البيان يعني بيان
الدين الحق كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإنك
لتهدي إلى صراط مستقيم أي لتبين الطريق الحق من
الباطل ∴ ومنه سمي القرآن هدى أي بيان للحق من
الباطل ∴ والثاني الدعاء كقوله ولكل قوم هاد
أي داعي ∴ والثالث تحتمل الهدى التوفيق
للطاعات والعصمة عن المعاصي والتحسين للخيرات والتكريه
للكفر والفسق فينطلق اسم الهداية على جميع ما هو معاون
على الطاعات والامتناع عن أضدادها وذلك معنى قولهم
في القنوت اللهم اهدنا فيمن هديت ∴ وتحتمل الهداية
خلق الاهتداء من الله تعالى والخلق صنعه وهو أزلي
والاهتداء محدث ∴ فالهدى بمعنى بيان الحق وبمعنى
الدعاء إليه وبمعنى الأمر بالحق يضاف إلى الله تعالى وإلى
رسله وإلى أتباعهم فإن الله تعالى أمر بالحق ودعا إلى الحق
وبين الحق من الباطل بالحجج العقلية والسمعية وكذلك الرسل
وأتباعهم ∴ وأما الهدى بمعنى خلق فعل الاهتداء
والتوفيق فلا تجوز إضافة هذين الوجهين إلى غير الله
تعالى ثم ثبت بالأدلة القاطعة أن الله تعالى خالق أفعال
العباد كان هو الذي خلق فيهم فعل الاهتداء وفعل الضلال
نوجد منه الهدى والإضلال وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وخالفت المعتزلة في إضافة خلق فعل الاهتداء وخلق فعل
الضلال وقالوا المراد من الهداية المضافة إلى الله تعالى بيان
طريق الدين لا تخليق فعل الاهتداء وما أضيف إليه في القرآن
من الإضلال والإزاغة والمد والطبع بقوله تعالى طبع الله
على قلوبهم ∴ وقوله يمدهم في طغيانهم فهو بطريق التسبب قالوا

لماً م

لأن السبب الذي كان به منهم تلك الأفعال كان من الله تعالى
وهي كإعطاء القدر والآلات فأضيفت إليه لما كان منه
السبب ∴ ومنهم من قال الهداية المضافة إلى الله تعالى
هداية طريق الجنة في الآخرة وهذا محكي عن الجبائي
منهم ∴ وقالوا في الإضلال هو تسمية الله تعالى إياهم ضلالاً لا قالوا
لأنه يقال أضله أي سماه ضالاً ∴ وحجة أهل الحق قالوا لما قامت
لنا الدلائل على أن الله تعالى خالق أفعال العباد كان هاديا بتخليقه
فعل الاهتداء ومضلاً بتخليقه فعل الضلال ∴ ثم الذي يبطل جميع
تأويلاتهم قوله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم إنك لا تهدي
من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فيكون على مذهب المعتزلة
وتأويلهم إن الهدى هو البيان والأمر والدعاء لا غير ∴ يكون
تقدير الآية إنك لا تبين الحق ولا تأمر ولا تدعو إلى الحق
من أحببت ومتى حملوه على هذا افتروا على الله وعلى رسوله ولا يمكنهم
حمل النص على هذا بل معنى الآية من كل بد تخليق الاهتداء
والتوفيق أي إنك لا تخلق فعل الاهتداء ولا تملك التوفيق
إنما ذلك إلى الله تعالى فدل أن وراء البيان والأمر والدعاء
هداية أخرى وليس ذلك إلا ما قلنا يدل عليه أن الله تعالى
قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ∴
ولو كان المراد من الهداية الدعوة وبيان الطريق ينبغي أن
يقال كل من دعاه الله تعالى إلى الإيمان وبين له طريق
الدين فهو مشروح الصدر فيصير قوله يجعل صدره ضيقا حرجا
كذبا باطلا وهو كفر وهكذا دأب من زاغ عن الحق وعاند
دليله وخالف أهله أن توقعه الحيرة والحيد عن حججه في المبد.
الحصول على المناقضة وظهور بطلانه ∴ ويدل أيضا على حيدهم
وضلالهم قسمة الله تعالى الخلق قسمين أحدهما قوله فمن يرد

الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام والقسم الآخر قوله
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ∴ فيصير هذا
التقسيم من الله تعالى على تأويلهم باطلا وذلك لأن الله تعالى
بين الطريق لكل كافر فقد شرح صدره ووجده ضالا
وسماه ضالا على تأويلهم بقوله يضله أي يسميه ضالا أو يجده
ضالا فإذا كل كافر شرح الله صدره لأنه هداه في قولهم ن
وضيق صدره لأنه أضله وفيه وصف الله تعالى بفعل هو محال
وفيه إبطال تقسيم الله تعالى الخلق على ما سبق بيانه وهذا
وهذا كله كفر نعوذ بالله من الحيرة والزيغ ∴ وإنما وقعت
المعتزلة فيما وقعوا لما تلقنوه من الثنوية قولهم إن الحكيم
لا يفعل القبيح فجعلوا الأعيان المستحسنة مصنوع صانع حكيم
والأعيان الخبيثة المستقبحة مصنوع صانع سفيه والمعتزلة
اتبعوا هذه القاعدة فقالوا إن الكفر والمعاصي قبيح لا يجوز أن
يخلقها الله تعالى بل العبد هو الذي يخلقها ∴ ولو تلقت المعتزلة
ما نطق به كتاب الله تعالى من إضافة الهدى والإضلال
إليه بالقبول واتبعوا الدليل الموجب للعلم باستحالة ثبوت
خالق غير الله تعالى لشيء من العالم وتعلموا من أهل الحق دفع
ما تمسك به الثنوية من الشبهة بأن إضافة تخليق الكل إلى
الله تعالى ليست بقبيحة ولا سفه بل تحتها حكم كثيرة
منها وصف الله تعالى بكمال القدرة إذ القادر على المتضادين
هو الكامل ومن شرط القدم الكمال والعجز عن خلق أحد
المتضادين نقص والناقص لا يكون إلها ∴ ومنها وصف الله
تعالى بالاستغناء لئلا يتوهم أنه أوجد نوع المحاسن اجتلابا .
للمنافع ∴ ومنها الوصف بكمال العزة بأنه لا يتضرر بالأعداء
والعصاة فلو اتبعوا كتاب الله تعالى والسنة الواضحة والأئمة الهادية

وهم الجماعة لكان خيرا لهم من أن تلقنوا شبهة الثنوية وتشبثوا
بها وجعلوها قانونا لكتاب الله تعالى فصرفوا كل ما يخالف تلك
الشبهة إلى وجوه مستكرهة وتأويلات غير مستقيمة فحرفوا
الكلم عن مواضعها وأزالوا النصوص عن مواردها ∴ نعوذ
بالله من الخذلان وهو المستعان ∴ وقال سيف الحق
أبو المعين رحمه الله في قول فقهاء الملة رحمهم الله يهدي من
يشاء ويعصم ويعافي من يشاء فضلا هذا منهم بيان أن مراعاة الأصلح
والصلاح ليست بواجبة على الله تعالى والأصل في ذلك أن في مقدور
الله تعالى لطفا لو فعل ذلك بالكفار لآمنوا اختيارا ولم يفعل بهم ذلك
فلم يكن بأن لم يعطهم ذلك بخيلا ولا سفيها ولا جائرا ظالما ∴
ولو فعل بهم ذلك لكان متفضلا منعما لا مؤديا حقا واجبا عليه
وإنه إذا لم يعطهم ذلك فقد منعهم ما هو الأصلح لهم وكان إعطاؤه
إياهم ذلك اللطف أصلح لهم من ترك الأصلح ∴ ويجوز أن يفعل
بالعبد ما ليس بمصلحة له ∴ وإعطاء ما هو المصلحة ليس بواجب
على الله تعالى وليس لما في مقدور الله تعالى مما به الصلاح للعبد
غاية ولا نهاية ∴ فإن فعل بالعبد الأصلح أو الصلاح كان
متفضلا منعما محسنا ∴ وإن ترك لم يترك واجبا وكان ذلك
منه عدلا لا جورا وهو مذهب أهل الحق ∴ وزعم جمهور المعتزلة
أن ليس في مقدور الله تعالى لطف لو فعل بالكفار لآمنوا ولو
كان ذلك في مقدوره ثم لم يفعل بهم ذلك ولم يعطهم لكان
سفيها بخيلا ∴ جائرا مانعا حقا واجبا عليه وقد فعل ذلك
بالعباد غاية ما في مقدوره مما به صلاحهم وواجب عليه أن يفعل
بهم ذلك هذا قول جمهورهم ∴ وقال بشر بن المعتمر رئيس
معتزلة بغداد ومن تابعه إن الله يجب عليه أن يفعل بالعبد
ما هو المصلحة ∴ ولا يجوز له أن يفعل بالعبد ما هو المفسدة ٥

له ولا يجب عليه فعل الأصلح إذ ليس لما في مقدور الله من المصلحة
واللطف غاية ∴ وإنما يجب عليه إعطاء ما هو صلاح لهم وإزاحة
عللهم فيما يحتاجون إليه ∴ وذكر الكعبي في كتاب
المقالات أنه تاب عن هذا ورجع إلى قول أصحابه قال كتب
بذلك إلي أبو الحسين الخياط وكان جعفر بن حرب
يقول إن عند الله تعالى لطفا لو أعطاه الكفار لآمنوا
اختيارا إيمانا لا يستحقون عليه من الثواب ما يستحقون
به إذا آمنوا مع عدم ذلك اللطف والأصلح قال الكعبي
ثم ترك جعفر بن حرب هذا القول ورجع إلى قول أصحابه
وشبهتهم قالوا إنا وجدنا الحكيم إذا كان آمرا بطاعته
محبا لها مريدا فلن يجوز أن يمنع المأمور ما يصل به إلى طاعته
إذا كان قادرا على أن يعطيه ذلك وكان بذله إياه
لا يخرجه من استحقاق الوصف بالحكمة ومنعه لا ينفعه ∴
وكذلك إذا كان له عدو يدعوه إلى موالاته ويحب
رجوعه فلن يجوز أن يعامله من الغلظ واللين إلا بما
يعلم أنه أنجع فيما يريد منه وأدعى له إلى ترك ما فيه من
عداوته فلما كان هذا فيما بيننا على ما وصفنا وكان الله
عز وجل قادرا رحيما جوادا عالما بمواضع حاجة عباده آمرا
لهم بطاعته وترك عداوته لا يضره الإعطاء ولا ينفعه المنع
ولا يلحقه منه ذم علمنا أنه لا يفعل بهم إلا أصلح الأشياء لهم في
دينهم وأدعى لهم إلى طاعته سقما كان ذلك أو صحة لذة
أو ألما آمنوا أو كفروا أطاعوا أو عصوا قال الله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ∴ قال
سيف الحق أبو المعين وحجة أهل الحق كتاب الله تعالى
وإجماع أهل الأديان والوجود والدليل العقلي أما الكتاب

الإزاحة المنع

أنجح

بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ∴ وقوله تعالى ولو
شاء لهداكم أجمعين ∴ وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
كلهم جميعاً ولو لم يكن في مقدوره ما لو فعل بهم لآمنوا لم تكن لهذه
الآيات فائدة سوى ادعاء قدرة ومشية ∴ ليست له كفعل
الكذوب المتحلي بما ليس فيه تعالى الله عن ذلك ∴ وحملهم
الآيات على مشية الجبر باطل على ما مر بيانه **وأما الوجود**
فإن الكفر والمعاصي قد وجدت وقد ثبتنا بالدلايل السمعية
والعقلية الموجبة للعلم قطعاً لمن أنصف ولم يكابر أن
أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وفيها الكفر والمعاصي
وهم يتضررون بها ولا ينتفعون فلم يكن إيجادها مصلحة
لهم فضلاً عن الأصلح ∴ ثم ما أظهر من هذا أن الله تعالى
فعل بالكافر ما لا صلاح له فيه بل له فيه مضرة ومفسدة
فإن الله تعالى بقاه إلى وقت بلوغه وركب فيه العقل مع
علمه أنه لا يؤمن بل يكفر ويعادي الله تعالى ولا شك أن الله
تعالى إذ علم أنه يكفر عند بلوغه واعتدال عقله لو أماته في حال
صغره وعدم تمييزه أو لم يركب فيه العقل عند بلوغه حتى
بلغ مجنوناً غير مخاطب لكان ذلك أصلح له وحيث لم يمته
بل بقاه وركب فيه العقل حتى دخل في حد التكليف مع
علمه أنه يكفر دل أنه لم يفعل به ما له فيه صلاح وكذي
من عاش مدة عمره على الإسلام ثم ارتد بعد ذلك نعوذ بالله
ولو كان الله قبض روحه وتوفاه قبل ارتداده بساعة
حتى ختم له بالإسلام ولم يستحق التعذيب في النار خالداً
مخلداً لكان أصلح له ∴ وحيث لم يفعل بل أبقاه مع علمه
بأنه يرتد عن الإسلام وكان ذلك مضرة له لا صلاحاً فقد
فعل ذلك وهو تعالى حكيم دل أن ذلك كان حكمة ∴ ووقعت

المعتزلة فيما وقعت بجهلهم بحقيقة الحكمة ∴ ثم بعد تقرر فعل
الله تعالى ذلك كان دعوى من زعم أنه سفه وليس بحكمة
وصف منه لله تعالى بذلك وهو كفر ∴ بل ظهر بفعله أنه
حكمة وإن جهلت المعتزلة جهة الحكمة إذ الجهل عليهم
جايز وخروج فعل الله تعالى عن الحكمة ممتنع ∴ وأما الإجماع
فقد أجمع المسلمون وأهل الأديان السماوية قبلهم على
الدعاء لله تعالى وطلب المعونة على الطاعات والعصمة عن
المعاصي وكشف ما بهم من الضر وبأهل عناياتهم من المرض وتبديل
ذلك بالعافية ∴ فإن كان آتاهم ما سألوا من المعونة والعصمة
فسؤالهم سفه وكفران للنعمة إذ السؤال عند العقلاء لما لم
يكن موجوداً ∴ فكان السؤال إلحاقاً للنعمة الموجودة بالمعدوم
حيث اشتغلوا بسؤاله وجل الله عن أن يأمر في كتبه المنزلة
عباده وأنبياءه ورسله أن يشتغلوا بما هو في الحقيقة سفه
وكفران للنعمة وإن كان لم يؤتهم ∴ وعند المعتزلة
إعطاء ما يجوز إعطاؤه واجب عليه حتى قالوا إنه يصير بمنعه
جايراً ظالماً فكان السؤال في الحقيقة كأنهم قالوا اللهم لا تظلمنا
بمنع حقنا الواجب عليك ولا تجر علينا ∴ ومن ظن أن الأنبياء
والرسل وأتباعهم استجازوا من أنفسهم أن يشتغلوا بمثل هذا
الكلام مناجين ربهم فقد كفر من ساعته ∴ ومن حجج
أهل الحق قوله تعالى يختص برحمته من يشاء ∴ وقوله
يهدي من يشاء ويضل من يشاء ∴ وقوله والله ذو فضل عظيم
وهذا كله يرد على المعتزلة قولهم وتحكمهم البارد بأنه
يجب على الله تعالى مراعاة الأصلح أو الصلاح ∴ وإنه يجب أن
يعطي كل أحد ما هو معاون الدين على السواء **وأما**
قولهم ويضل من يشاء ويخذل ∴ ويبتلي من يشاء عدلاً

قال أبو حفص الغزنوي وهذا منهم بيان أن الله بالخذلان
والإضلال لا يكون ظالما لما أن الظلم وضع الشيء في غير
موضعه والله تعالى وضع التصرف في ملكه بما سبق علمه
فيهم بما يكون منهم من الكفر والعصيان عن اختيار وإيثار
لا عن جبر واضطرار فلا يكون ظالما لأنه لم يعاقب على
ما أمر ولا على الانتهاء عما نهى عنه وأما قولهم وهم
يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله
قال القاضي أبو حفص الغزنوي وسيف الحق وغيرهما
هذا منهم رحمهم الله بيان أن خلق فعل الاهتداء فيهم لم يكن
واجبا عليه إذ لا موجب في الحقيقة غير الله تعالى فمن هداه
فبفضله ومن أخزاه فبعدله وذلك كله على ما سبق في علمه
في الأزل على هذا دلت البراهين العقلية والحجج السمعية وعلى
هذا إجماع الأمة الهادية فلا يقال لم كان ذلك لأن
ذلك معارضة في الربوبية وذلك باطل من العبد مع الرب
تعالى على ما قال تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فأولياؤه يستحقون الكرامة لوجود الهداية والاعتقاد
الصحيح مع العصمة عند الابتلاء المظهر لصدق عقيدتهم
والأعداء يستحقون الهوان لعدم الهداية لتركهم التدين
بالحق عند الابتلاء المظهر لخبث عقيدتهم وخلافهم للحق على
ما سبق في علمه في الأزل أنه يوجد ذلك عن اختيار منهم
وأما قولهم لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
قال أبو حفص الغزنوي أرادوا بهذا قضاء التكوين
الذي لا يقدر العباد على رده وقال سيف الحق أبو
المعين في فصل القضاء وإذا ثبت أن الله تعالى هو الذي
خلق الأفعال ثبت أنه تعالى قضى بكونها وقدرها على ما هي

من حسن وقبح ثم القضاء يذكر ويراد به الحكم يقال قضى القاضي
على فلان بكذا أي حكم عليه ويذكر القضاء ويراد به
الأمر كقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه أي
أمر ربك وحتم وألزم ويذكر ويراد به الفراغ يقال
قضيت كذا أي فرغت منه وانقضى الأمر أي صار مفروغا
منه وهو انفعال من القضاء ويذكر ويراد به الفعل وهو
المراد به في المسألة قال ابن عرفجة قضاء
الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه ويذكر أيضا ويراد
به الإعلام كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب أي أعلمناهم
ثم قال أبو المعين رحمه الله والمراد من قولنا الطاعات
والمعاصي كلها بقضاء الله أي بخلقه وتكوينه وأما قولهم
ولا غالب لأمره قال القاضي أبو حفص الغزنوي
يحتمل أنهم أرادوا به أمر التكوين وهو قوله إنما أمرنا لشيء
إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهو منهم إثبات الوحدانية
والألوهية لله تعالى ونفي الألوهية والربوبية عما سواه وهو
تأويل قول لا إله إلا الله ويحتمل أنهم أرادوا بذلك
أي لا يقضي عليه غيره غلبة وقهرا وإنما يقضي سبحانه وتعالى
بمشيئته وإرادته فيكون هذا تأويل قوله تعالى وهو الواحد
القهار ظهرت آثار قهره ووحدانيته في كل شيء بالتسخير
والتذليل شهدت بذلك السماء بكونها مبنية منضدة مرتبة
مرفوعة ممسوكة في الهواء بلا علاقة ولا عمد والأرض
بكونها مسطوحة قرارا مبسوطة فراشا وما فيها من سائر
المخلوقات شهدت بذلك سمات الحدث من التأليف والتركيب
وعجائب الإبداعات أن صانع الكل هو الله الذي لا إله إلا هو
الواحد القهار وأما قولهم آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده

القول بأن الأرض مبسوطة

قال القاضي أبو حفص الغزنوي ذكروا الإيمان واتبعوه
بالإيقان ليعلم أن الإيمان بجميع ما سبق ذكره وشرحه
واجب وأن الإيقان بجميع ذلك على التأبيد لازم إذ كل ذلك
من حق الربوبية ثابت لله تعالى من الأزل إلى الأبد قال
الإمام الناصري أدام الله أيامه ما ذكر القاضي أبو حفص الغزنوي
من لزوم الإيمان والتيقن بجميع ما ذكروا رحمهم الله على الدوام
والتأبيد فهو ثابت لازم قطعا كما ذكر ۞ وكذلك ذكر
أئمة كتاب السواد الأعظم في شرح أصول فقهاء الملة
رحمهم الله وإمام الهدى أبو منصور يقول في تفاصيل
كلامه في تأويل الجمع بين الإيمان والإيقان هو ما
أن ما أقروا به واعتقدوه ثابت بالحجج السمعية والبراهين
العقلية فالسمعيات أخبار صادرة عن الصدق وهي مؤيدة
بالمعجزات القاهرات فتستوجب التصديق وهو الإيمان ۞
بحقية موجبها والعقليات توجب النظر والتأمل والاستدلال
والعلم الثابت بالاستدلال يسمى يقينا ۞ والعالم عن الاستدلال
يسمى موقنا قال الله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت
السموات والأرض وليكون من الموقنين

ثم ذكر أبو جعفر الطحاوي في كتابه عقيب ذكره عقيدة فقهاء الملة في التوحيد والصفات عقيدتهم في الرسالة

فقالوا وأن محمدا عبده المصطفى وأمينه المجتبى ورسوله المرتضى
خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب
العالمين وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى وهو المبعوث
إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضيا

أما قولهم وأن محمدا

فقد شهدوا برسالته ونبوته عقيب شهادتهم بوحدانية رب العالمين

لما أن الله تعالى أرسله إلى الثقلين رسولا ليكون نذيرا للعالمين
داعيا إلى توحيد خالقهم ۞ وقرن شهادة رسالته بشهادة
وحدانيته وألوهيته فقال جل جلاله قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو
يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ۞ وقال
عز وجل محمد رسول الله **وأما قولهم عبده المصطفى**
قال القاضي أبو حفص الغزنوي وغيره من العلماء
وصفوه بالعبودية إذ هو عبده بخلقته ودعوته ۞ أما الخلقة
فلأن خلقته وخلقة كل ممتحن في السموات والأرض قد
شهدت بالتأليف والتركيب على كونه عبدا ومملوكا لله
تعالى وما سوى الممتحن من جميع المخلوقات شهدت
خلقتها لله تعالى بالملكية والمصنوعية ۞ وأما الدعوة
فلأنه دعا الخلق إلى توحيد رب العالمين وعبادته وإنما
قدموا وصفه بالعبودية على وصفه بالنبوة والرسالة لحسم الشبهة
العارضة للناس عند ظهور المعجزات الناقضات للعادات
والأمور الإلهية التي يعجز عنها البشر حتى لا تعترض لأحد
منهم شبهة من شبهات النصارى حيث اعتقدوا فيه الإلهية
بسبب ما وجدوا منه فعلا إلهيا آية لرسالته من نحو إحياء الموتى
وإبراء الأكمه والأبرص وكان أول آياته تكلمه في
المهد صبيا بأن قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
فبدأ بعبوديته قطعا لحسم الشبهة العارضة لقومه فافتتن
بعضهم من بعده وتفرقوا على ثلاثة أقانيم أخرجوه بها من
العبودية ۞ ولكل نبي معجزة خارجة عن العادات
وكلهم ادعوا بها أنهم عباد وأنبياء بعثوا داعين إلى توحيد
رب العالمين قال الشيخ الإمام الناصري أدام الله

أيامه ولنبينا محمد بن عبد الله النبي الأمي العربي صلوات الله
عليه معجزات قاهرات وآيات بينات وحجج واضحات حسيات
وعقليات وسمعيات وهي مودعة في كتب دلايل النبوة
لعلماء الأمة وقد ذكرت أنواعا منها في كتاب مفرد
من تعليقاتي سميته بكتاب أعلام رسالة محمد خاتم النبيين
ومعجزاته وهي مستخرجة من كتب أئمة الهدى وأعلام
الورى ۞ ونذكرها هنا طرفا منها فمنها انشقاق القمر
نصفين حين طلب منه أهل مكة آية على الرسالة فأشار إلى القمر
فانشق ونزل حتى وقف فوق الجبل فقال لهم اشهدوا اشهدوا ۞
ومنها حنين الجذع اليابس وذلك أنه كان يخطب
مستندا إلى جذع فلما صنع له المنبر فرقي عليه ليخطب صاحت
الأسطوانة حتى كادت تنشق وسمع أهل المسجد صياحها
كصوت الناقة الخلوج وهي التي مات ولدها فنزل إليها
فاحتضنها وضمها إليه حتى سكنت ۞ ومنها تسبيح
الحصى في كفه بصوت كصوت القطا ۞ ومنها انقياد الشجرة
له حين دعاها ۞ ومنها شهادة الضب ۞ ومنها شهادة
الذيب ۞ وشكاية البعير إليه ۞ ومنها كلام الشاة المصلية
ومنها نبع الماء من بين أصابعه مرارا شاهد ذلك الجيش
في غزوة الحديبية وفي غزوة تبوك ۞ مرة من سطيحة ماء
ومرة من فضل وضوءه في ركوة في غزوة تبوك فنبع الماء من
بين أصابعه عيون الماء حتى سقى فيما روي ثلثين ألف
مقاتل وشرب منه عشرة آلاف فرس ۞ واثنا عشر ألف
بعير وملوا كل سقاء معهم ۞ ومنها أنه أطعم الجيش من
تمرات يسير حتى كان الرجل ينزع قميصه فيملاه ويحمله ۞
ولم تبق معهم غرارة إلا ملؤها من ذلك وكان ذلك الطعام

بعد أخذ الكل كهيئته حين ابتدوا ۞ ومنها أنه أخذ قبضة
من الأرض فرمى بها في وجوه الأعداء يوم حنين وهم عشرون ألفا
وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولم يبق منهم إنسان إلا
امتلأت عيناه من تلك القبضة ۞ وأمثال هذا من الآيات
لا تحصى كثرة وكلها وردت بالنقل المتواتر الموجب للعلم
ومن أعظم معجزاته الحجة الباقية إلى يوم القيمة وهو القرآن
الذي أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل سورة منه ۞
وفيه وجوه من الإعجاز أولها النظم الذي أعجز الخلايق
عن الإتيان بمثله تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا طلب المناظرة
العرب العاربة أولي الفصاحة والبراعة في نظم الكلام وإنشاء
الأشعار والقصايد تحداهم بذلك بمكة ثلث عشرة سنة ۞
وبالمدينة عشر سنين وهو قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله فإن لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكافرين الحق بهم هذا الوعيد إن لم تفعلوا تعجيزا
لهم وتبكيتا وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ما بقيت الدنيا
بقوله ولن تفعلوا ۞ وقال أيضا قل لئن اجتمعت الإنس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا ۞ ثم جعل هذا التحدي قايما إلى
يوم القيامة إذ هو يتلى إلى قيام الساعة وانقراض العالم ۞
ومنها إخباره صلوات الله عليه بما كان من لدن أول
العالم من نحو خلق آدم من التراب ۞ وخلق الجان من
مارج من نار والملائكة من نور وبقصص الأنبياء والرسل
مع أقوامهم ۞ ونجاة المصدقين ۞ وهلاك المكذبين وهو
صلوات الله عليه ولد من قوم أميين لا يؤمنون بالكتب السماوية

ولا بالمخصوصين بالرسالة والنبوة ولا يعرفون الأخبار السماوية
ونشأ بين قومه وعشيرته ولم يختلف إلى أستاذ ومعلم ولم يقدم
إليه أحد من علماء أهل الكتاب ليلازمه ويعلمه ولم يحسن
أن يقرأ كتابا ولا خطه بيمينه ولم يفارق قومه وعشيرته ۞
وهذه الأخبار والقصص التي أتى بها هي في الكتب السماوية
بغير لسانه ۞ فإتيانه بها في كتاب أعجز الخلايق بنظمه
آية خارجة عن وسع الخلايق وعاداتهم فكان نظم كتابه
معجزة قاهرة على ما سبق ذكره ۞ وكان إخباره بتلك الأنباء
والقصص في القرون السالفة آية ظاهرة ودلالة قاطعة موجبة
للعلم بأنه صلوات الله عليه إنما علمها بالوحي السماوي من قبل علام
الغيوب ۞ ومنها الإخبار بما يكون في المستقبل من نحو قوله
عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر ۞ وقوله الم غلبت الروم
في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ۞
وقوله إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ۞ وقوله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا الآية وغير ذلك من الأخبار
بالفتوحات الواسعة وظهور الإسلام وفشوه في الآفاق وغيرها
تحققت على ما أخبر بها وهي كلها من علوم الغيب لا يعلمها
إلا صانع العالم وهو الله تعالى يدل كل فرد على أنه رسوله

وأما قولهم وأمينه المجتبى

وصفوه بالاجتباء والأمانة ليعلم أن الله تعالى لا يظهر الإعجاز
إلا على يدي الأمين الذي يخبر بالممكن والواجب لثبوت
الصانع ووحدانيته وقدمه ودوامه وثبوت حدث ما سواه
ولا يقيم المعجزة على يدي الكاذب الذي يخبر بما تكذبه العقول

كفعل زرادشت ۞ ومزدك ۞ وماني ۞ ومسيلمة
وساير المتقولة على الله تعالى ۞ لما في إقامة الآية على يدي الكذاب
من التلبيس على الخلق بين النبي والمتنبي وذلك يفضي
إلى السفه والعجز عن التمييز بين المحق ليتبع وبين المبطل
ليجتنب ۞ أما بيان وجه السفه فلأن إقامة الآية على
يدي من يثبت الوحدانية والكمال وعلى يدي من ينفي الوحدانية
ويثبت التشبيه والنقص سفه وجهل لما في ذلك من ثبوت
المناقضة في الحجج والله عز وجل واحد قديم عالم حكيم
فيتعالى عن ذلك ۞ وأما وجه العجز عن التفرقة بين
المحق والمبطل فلأنه لو أقام المعجزة للنبي على إثبات
الرسالة وجاز مثلها على يدي المتنبي ولا يمكن الفصل بينهما
إلا بالآية الخارقة إذ جوهرهما على السواء والخبر بأنه رسول
لفظ يتأتى تكلمه من كل أحد أفضى ذلك إلى العجز عن
تمييز المحق من المبطل إذ كلما قامت معجزة للنبي جاز
ظهور مثلها للمتنبي فينسد على الخلق طريق معرفة الصادق
من الكاذب والحق من الباطل فيفضي إلى العجز عن تمييز
المحق من المبطل فيتعالى الله الحكيم القدير عن العجز والسفه
فيمتنع قيام المعجزة على يدي المتنبي لذلك ۞ ولا يمتنع قيام
الخارق للعادة على يدي المتأله كفرعون وجري
النهر تحته ۞ والسامري وخوار العجل ودعوته ألوهية
العجل ويكون ذلك فتنة واستدراجا لمن ادعى ذلك ولمن اتبعه
على ذلك مع ظهور آيات كذبه وإنما لا يمتنع وجود ذلك على
يدي المتأله لأن أمارات كذبه في دعوى الربوبية ظاهرة
فإنه تكذبه خلقته بشهادة التأليف والتركيب وساير دلايل كونه
محدثا مصورا مصنوعا فلا يقع في كونه كاذبا التباس على الخلق

بخلاف المتنبي لأنه ليس في خلقته أمارة تكذيبه في دعوته فيقع
الالتباس بينه وبين النبي فلذلك افترق الأمران ∴

وأما قولهم ورسوله المرتضى

فإنما قالوا ذلك اقتداءً بالكتاب
الذي هو من أعظم المعجزات واتباعاً له وإيماناً وتصديقاً حيث
قال الله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ∴
وقال إنك لمن المرسلين ∴ وقال وأرسلناك للناس
رسولاً ∴ ولم يرسله إلا بعد ارتضائه للرسالة لأنه تعالى لا يرسل
غير المرضي وهو الذي يخبر بالمحالات كزرادشت
وماني ∴ ومزدك حيث ادعوا الرسالة من عند صانع سفيه
جاهل

وأما قولهم وخاتم الأنبياء

فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم ∴ ولما تواتر الخبر عمن قامت المعجزات
الظاهرات على رسالته وعصمته صلوات الله عليه أنه قال
لا نبي بعدي ∴ وقال أنا الحاشر الذي يحشر الناس على
عقبه ∴ فصرح فقهاء الملة رحمهم الله بكونه خاتماً حسماً لدعاوى
المتنبئين والدجالين ولهذا المعنى قال مشايخنا رحمهم الله
إذا ادعى أحد بعد نبينا محمد صلوات الله عليه النبوة لا يقال
له ما آيتك على ما تدعي بل يقابل بالتكذيب والرد لقيام الدلالة
القاطعة على أنه لا نبي بعد محمد نبينا صلوات الله عليه ∴ فثبت
أن من ادعى النبوة بعده فهو كذاب دجال فإن كانت
له شبهة اعترته كشفت له فإن أسلم وتاب وإلا وجب تطهير
الأرض منه بالحسام القاضب ∴ والحمام الغالب

وأما قولهم وإمام الأتقياء

فإنما قالوا ذلك لأنه بعث بالتقوى عن الشرك والمعاصي وهو أكثر
الأنبياء أتباعاً بالتصديق والتقوى ∴ فأمته الحمادون وهو

نبي الحمادين ∴ وأمته المتقون ∴ وهو إمام المتقين وهو
يوم القيمة قائد الغر المحجلين من آثار الوضوء وصح بذلك الخبر
المنقول

وأما قولهم وسيد المرسلين

فإنما قالوا ذلك لدلايل منها قول الله تعالى وإذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية ∴ فذكر النبيين
وقدمه عليهم تدل تقديمه في الذكر عليهم مع كونه
آخرهم مبعوثاً على تعظيمه وإجلاله وتفضيله عليهم ∴ ومنها
أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام بأسماء
الأشخاص كقوله تعالى يا نوح اهبط بسلام ∴ وقوله
يا إبرهيم أعرض عن هذا ∴ وقوله وما تلك بيمينك يا موسى
وقوله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس الآية ∴ وقال
يا هود ونحو ذلك وخاطب نبينا عليه السلام بأسماء الشرف
والإجلال والتفخيم ∴ فقال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك ∴ وقال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ∴ وقال
يا أيها النبي قل لأزواجك ونساء المؤمنين ∴ ولما ذكر اسم
علمه قرنه باسم الرسالة والاختصاص فقال محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار ∴ وقال ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهذا
كله دلالة على تقديمه وتفضيله عليهم ∴ ومنها أنه
ناسخ لشرايع من تقدمه وليس بعده من ينسخ شريعته وهذا
يدل على تفضيله عليهم ∴ ومنها ما روي عنه عليه السلام
أنه قال لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا
اتباعي وهما صاحبا شريعة مستأنفة وهذا يدل على تفضيله
وكونه متبوعاً لهم ∴ ومنها ما روي عنه عليه السلام أنه
قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر أنا أول من تنشق عنه الأرض

ولا فخر ∴ أنا أول شافع وأول مشفع ∴ وهذا دليل على كونه سيدهم
ومنها ما روي أنه قال أنا أول من يقرع باب الجنة فيقول
رضوان من فأقول محمد فيفتح ويقول بك أمرت ولا أفتح
لأحد قبلك ∴ ومنها ما روي في حديث الشفاعة أن الناس
يكونون يوم القيمة في كرب فيقول بعضهم لبعض لو أتينا
بعض أصفياء الله ليشفع لنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا هذا
فيأتون آدم صلوات الله عليه فيدلهم على نوح صلوات الله عليه
فيأتون نوحا فيقول لست بصاحب ذلك ويدلهم على ابرهيم
خليل الرحمن صلوات الله عليه فيقول لست بصاحب ذلك
ويدلهم على موسى كليم الله صلوات الله عليه فيقول لست بصاحب
ذلك ويدلهم على عيسى صلوات الله عليه فيقول لست بصاحب
ذلك ويدلهم على محمد صلوات الله عليه فيأتونه فيقول أنا لها
وهذا دليل كونه سيد المرسلين فلذلك قالوا بأنه سيد المرسلين

وأما قولهم وحبيب رب العالمين

فإنما قالوا ذلك لأن هذا الاسم من الأسماء المختصة به كما
اختص ابرهيم صلوات الله عليه بأنه خليل الله ∴ وموسى صلوات
الله عليه بأنه كليم الله ∴ وعيسى صلوات الله عليه بأنه روح
الله وكلمته ∴ وقد وردت الأخبار بأن محمدا حبيب الله
وعلى ذلك إجماع الأمة **وأما قولهم وكل دعوة نبوة**
بعد نبوته فغي وهوى هذا إثبات منهم أن كل من
ادعى النبوة بعده صلوات الله عليه فدعواه كاذبة باطلة
والغي عبارة عن الباطل والضلال وقولهم فغي أي باطل وضلال
وقولهم وهوى أي إن تلك الدعوى صدرت عن هوى
النفس ليست بهدى من الله تعالى ∴ وإنما قالوا ذلك لما سبق
بيانه من الأدلة القاطعة والحجج الواضحة على كون نبينا محمد صلوات الله

على

عليه خاتم النبيين ولا نبي بعد الخاتم فمن ادعى النبوة بعده
فهو يريد تكذيب الله تعالى في خبره بأن محمدا خاتم النبيين
ويتعالى الله ذلك ∴ ويريد أيضا تكذيب من قامت الدلايل
القاطعة على ثبوت رسالته وصدقه في كل ما يخبر وهو
ما ثبت بالتواتر عنه أنه قال لا نبي بعدي ∴ ويريد أيضا
تكذيب التورية والإنجيل حيث قال الله تعالى محمد رسول
الله والذين معه أشداء على الكفار إلى قوله ذلك مثلهم
في التورية ومثلهم في الإنجيل ∴ وقال الرسول النبي
الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل ∴
وقال الله تعالى خبرا عن عيسى إني رسول الله إليكم مصدقا
لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد ∴ فواحد من هذه الأدلة القاطعة كافي في إيجاب
العلم قطعا بختم النبوات بمحمد صلى الله عليه ∴ وأنه لم
يبق بعده وقت يجوز فيه دعوى النبوة ∴ ولو كان
بعده نبي ينتظر لأخبر به فثبت أنه لا نبي بعده لأن
حجج الله تعالى لا تتناقض بل تتأيد وتتعاضد ∴ ولذلك
جا كل واحد من الرسل داعيا إلى توحيد الله تعالى وإلى
الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب السماوية وكلهم بشروا
بمن يأتي بعدهم وأمروا قومهم بالإيمان به كما أخبروا بمجي
نبينا محمد صلوات الله عليه وأمروا قومهم بالإيمان به وكما
أمر نبينا صلوات الله عليه أمته بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم
السلام فلو كان بعده نبي لأخبر به وأوجب عليهم الإيمان
به ∴ فلما قال لا نبي بعدي ثبت قطعا أنه لم يبق بعده
نبي **وأما قولهم وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة**
الورى فهذا إخبار منهم أن رسالته عمت الجن والإنس وإنما

قالوا ذلك لدلالات موجبات للعلم قطعا .:. منها قول الله تعالى
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا .:. ومنها قوله تعالى
وما أرسلناك إلا كافة للناس .:. فتعميم رسالته
جميع الناس دليل على تعميمها جميع الجن إذ الجن كالتبع
للناس في تسخير الله تعالى العالم للبشر فيكونوا تبعا في باب
لزوم الديانة والمحنة لما ركب فيهم العقل والتمييز ومنها
قوله تعالى في غير موضع خطابا للإنس والجن فبأي
آلاء ربكما تكذبان .:. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه أتاه وفد الجن ليلة الجن يسألونه أن
يأتيهم فيعلمهم معالم الدين فمضى إليهم وقرأ عليهم سورة الرحمن
فلما أتى إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا كانوا أحسن
جوابا من الإنس .:. وقال الله تعالى وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا
فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين .:. وقال تعالى قل
أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي إلى الرشد فآمنا به .:. وذكر في القصة أنهم لما
سمعوا القرآن أيقنوا كونه معجزة فيما علمت الآية فيهم
كادوا يكونون عليه لبدا .:. فدلت هذه الدلايل على أن
دعوته عامة لكافة الثقلين **وأما قولهم بالحق والهدى**
يحتمل قولهم بالحق أي بعثه الله تعالى بالحق الذي لأجله خلقت
السموات والأرض ٥ وهو الدلالة على وحدانية صانعهما
والاستعباد بالأوامر والنواهي والبعث بعد الموت والفناء
للجزاء في دار البقاء .:. ويحتمل بالحق أي بالحق الذي لله
تعالى عليهم وما لبعضهم على بعض والكل يرجع إلى معنى واحد
وقولهم والهدى أي بالبيان يتبين للخلق طريق الدين الحق

بوفاق الكتب السماوية والرسل والأنبياء وبما تعرفه العقول
المستقيمة فإن كل من تأمل فيما دعا إليه محمد صلوات
الله عليه من حدث العالم وتوحيد الصانع وإثبات البعث
والجزاء وتصديق الكتب المنزلة من السماء والرسل والأنبياء
تحقق كونه مبعوثا بالحق والهدى قال الله تعالى
وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض **ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في القرآن**
وهو قولهم وأن القرآن كلام الله عز وجل منه بدا بلا كيفية
قولا وأنزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا
وأيقنوا أنه كلام الله جل وعلا بالحقيقة ليس بمخلوق
ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر
فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وأوعده بسقر حيث قال
تعالى فيمن قال إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر .:.
فلما أوعد الله بسقر لمن قال إن هذا إلا قول البشر علمنا
أنه قول خالق البشر ولا يشبهه قول البشر .:. ومن وصف
الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر .:. فمن
أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن
الله تعالى بصفاته ليس كالبشر **أما قولهم إن القرآن**
كلام الله تعالى فإنما قالوا ذلك بدليل السمع والعقل
والإجماع .:. أما دليل السمع فقول الله تعالى وإن أحد
من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله .:.
وقوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله .:. ولأن الكفرة
كانوا يطعنون فيه بأنه كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه
وكان رسول الله صلى الله عليه يقول لهم إنه كلام الله تعالى
وعلى ذلك أجمعت الأمة .:. وأما دليل العقل فلأن الكلام

من صفات المدح والكمال في الشاهد وضده نقص وذم
والله تعالى حي قديم ومن شرط القدم ثبوت الكمال وانتفاء
الذم والنقايص فوجب وصفه بالكلام ∴ وأما الإجماع
فقد اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله عز وجل
وإجماع الأمة دليل موجب للعلم **وأما قولهم**
منه بدا بلا كيفية قال الإمام أبو حفص الغزنوي
في شرحه لعقايد فقهاء رحمهم الله وغيره من المشايخ إنما
قالوا ذلك لأن كلام الله تعالى صفته إذ هو حي متكلم
فلا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه ساير صفاته
من القدرة والعلم والحيوة والسمع والبصر صفات الخلق ∴
إذ صفات الله تعالى قديمة قايمة بذاته من الأزل إلى
الأبد ∴ وصفات غيره إعراض محدثة تحل بذواتهم
وتزول فلم يريدوا بقولهم منه بدا بلا كيفية حدوثه
إذ ما كان مخلوقا محدثا لا يخلوا عن الكيفية لكنهم أرادوا
بذلك أنه تعالى أظهره للسامع قولا بلا كيفية فأرادوا
بنفي الكيفية عن كلامه تعالى إثبات أزلية كلامه
وقدمه ∴ ولا يعنون به حدوث معنى في ذات الله تعالى
ولكن يعنون به أنه يطلع الملك أو من شاء من الأنبياء على
قوله الذي هو صفته أزلية قايمة بذاته ∴ وليس من ضرورة
الإطلاع حدوث ما يطلع عليه ∴ فإنا أطلعنا على آثار قدرته
في خلق العالم وإيجاده عندنا تأملنا فيها ولم يلزم من ذلك
حدوث قدرته تعالى ∴ وقد زاغت المعتزلة وخالفت
أهل الحق حيث قالت بحدوث الكلام لله تعالى ∴ والدليل
على أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق أنه تعالى حي
متكلم ∴ فالكلام صفة له قديمة قايمة بذاته كالعلم والقدرة

والحيوة ∴ على أن المعتزلة لا يثبتون لله تعالى صفة لا ذاتية
ولا فعلية وإنما الصفة عندهم وصف الواصف لا غير فصاروا
معطلة إذ القول بحي لا حيوة له ∴ وقادر لا قدرة له وعالم
لا علم له متناقض ظاهر البطلان كقول القايل
أبيض لا بياض ∴ وأسود لا بسواد **وأما قولهم وأنزله**
على نبيه وحيا فإنما قالوا ذلك للنصوص المصرحة
بالتنزيل والوحي كقوله تعالى وأوحي إلي هذا القرآن
لأنذركم به ومن بلغ ∴ وقوله هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر
متشابهات الآية فقال فقهاء الملة رحمهم الله إن القرآن
كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله على ما نطق الله تعالى عليه
وأما قولهم وصدقه المؤمنون على ذلك حقا فهذا
منهم بيان أن الصحابة الذين شهدوا نزوله على رسول الله صلى
الله عليه وتحققوا إعجازه وصدقوا كونه كلام الله تعالى
وكتابه وتنزيله ∴ ثم نقلوه إلى من بعدهم على ما تلقوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ∴ ودعوا الخلق إلى إقامة حكمه
اعتقادا وعملا وجاهدوا من امتنع عن الانقياد له **وأما**
قولهم وأيقنوا أنه كلام الله جل وعلا بالحقيقة أي
تحققوا بالسمع والعقل بأن كلام الله تعالى صفة له كالعلم
والحيوة فيستحيل أن يكون مخلوقا ككلام البرية
وأما قولهم فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر
وهذا ظاهر لأن فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه قال إن القرآن كلام الله عز وجل ∴ فمن زعم
أنه كلام البشر فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبره
فيكون كافرا بالرد والتكذيب

وأما قولهم وقد ذمه الله تعالى وأوعده بسقر
أي عابه الله وأوعده عذابه حيث قال تعالى فيمن قال
إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر أي ما هذا القرآن
إلا قول البشر فصار ذلك القايل بذلك كافرا مستحقا
دخول سقر فكذلك من قال بخلق القرآن فقد جعله كلاما
للبشر فيصير كافرا مستحقا للوعيد المذكور ∴ وذلك
لوجهين أحدهما أن الكلام صفة من صفات الله تعالى
فيكون القايل بكونه مخلوقا قايلا بتعري ذات الله تعالى
عن صفة الكمال في الأزل ∴ وواصفا له بضده وهو
الخرس والآفة وهو كفر ∴ والثاني أن القول
بخلق كلام الله تعالى جعل له كلام غيره فيكون تكذيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خبره حيث أخبر أن
القرآن كلام الله تعالى ∴ وتكذيب الرسول في خبره
يكون كفرا ∴ وفيه قول بحدوث الكلام في ذات الله
تعالى إذ الكلام قايم بذات المتكلم ∴ ويستحيل أن يكون
ذاته محلا للحوادث ∴ ومحال أيضا حدوثه لا في محل
لأنه حينئذ يكون عرضا ∴ وقيام العرض بغير محل يقوم به
محال ∴ فبقي أن يقولوا هو حادث في محل غير ذات
الله تعالى فيكون القرآن كلاما لذلك المحل لا لله تعالى
وهذا قول ذلك الكافر حيث قال إن هذا إلا قول البشر ∴
فيكون القول بخلقه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
إن القرآن كلام الله ∴ وتكذيب الرسول من أشد المعاصي
فيستحق أشد العذاب وهي النار فتوعده بسقر إذ هو أشد العذاب
**وأما قولهم فلما أوعد الله تعالى بسقر لمن قال إن هذا إلا قول
البشر فعلمنا أنه قول خالق البشر ولا يشبهه قول البشر**

فلانا

فلانهما قالوا ذلك لأن الكلام صفة المتكلم والقول صفة القايل فكان
القول بخلق القرآن وحدوثه وصفا لله تعالى بمعنى من معاني
البشر فيكون كفرا لما فيه من تشبيه الرب بالخلق ∴ إذ
البشر لما كان مخلوقا محدثا كان كلامه الذي هو صفته
مخلوقا ويتعالى الله عز وجل عن معاني خلقه **وأما قولهم
فمن أبصر هذا اعتبر** معناه فمن تأمل في هذه المعاني
وبحث عنها حتى فهمها وقع له الاعتبار وهو الوقوف على
معاني الأصول والفروع **وقولهم وعن مثل قول الكفار انزجر**
معناه يجب عليه أن ينزجر عن مثل قول الكفار
وقولهم وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر
أي يجب عليه أن يعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر
لأن الله تعالى قديم بأسمايه وصفاته لم تجز تعريته عنها
في الأزل لأن في تعريته عن شيء من صفات الكمال نقصا
والقديم يتعالى عن ذلك لأنه واجب الوجود لذاته فكان
أزليا بصفات المدح والكمال وقد تمدح تعالى بقوله هو الله
الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ∴ هو الله
الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ∴ هو الله
الذي لا إله إلا هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى
فكان وصفه بحدوث شيء من صفات المدح والكمال اشراكا
إياه مع غيره في حدوث الصفات ووصفا له بتعريته عن
صفات المدح في الأزل وذلك في حقه تعالى محال وهذا
كله من كلام القاضي أبي حفص الغزنوي وغيره
كالقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد
عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وغيرهم من العلماء أنهم كانوا

يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يتعرضون لما سوى ذلك
ثم ذكر ابو العلاء عن ابي يوسف انه كان مع ابي حنيفة
يوما فمر برجل يخوض في القرآن فقال له ابو حنيفة
ان كنت ترجوا بذلك الى الله قربة الى الله فلا قربة لك اليه
وعليك بما عليه السلف ولا تمار في الله وفي صفاته فان
القرآن كلام الله واله عما سواه ∴ وذكر عن الحسن (واله اي اشتغل عما سواه)
ابن زياد انه قال اتيت داود الطائي انا وحماد بن
ابي حنيفة فجرى ذكر شي فقال داود لحماد يا ابا اسمعيل مهما
تكلم المتكلم فيه من شي رجا ان يسلم منه فليحذر
ان يتكلم في القرآن الا بما قال الله عز وجل لقد سمعت
اباك يعني ابا حنيفة يقول علمنا الله انه كلامه فمن اخذ
بما علمه الله فقد استمسك بالعروة الوثقى ∴ فهل بعد التمسك
بالعروة الوثقى الا السقوط في الهلكة فقال حماد جزاك
الله من اخ خيرا فنعم ما اشرت به ∴ وعن ابي يوسف قال
اما القرآن فانه كلام الله ووحيه وتنزيله على هذا وجدت
ابا حنيفة والائمة ولم يكن عندهم مخلوقا ولا خالقا وروى
عن الحسن بن زياد انه قال ادركت مشيختنا بالكوفة (اي جميع المشايخ)
ابا حنيفة وزفر وابا يوسف وكل من ادركنا يقولون
القرآن كلام الله لا يجاوزونه فقال له رجل فنعلم كيف
كان يقول فيه ابن ابي ليلى والحجاج بن ارطاة وابن
شبرمة قال ما بين احد منهم اختلاف فيما ذكرت لك ∴
قال الامام الناصري ادام الله ايامه ذكر اصحاب
التواريخ ان ابا حنيفة رحمه الله ولد سنة ثمانين من الهجرة
وتفقه في زمن التابعين وافتى معهم ∴ وناظر عطا وطاوس
والشعبي ولقي نفرا من الصحابة وسمع منهم وكان هو واصحابه

يواضبون على ما عليه الصحابة ∴ وقد روى الحسن ابن ابي
مالك عن ابي يوسف انه قال جاء رجل الى مسجد الكوفة
يوم الجمعة فدار على الحلق يسالهم عن القرآن وابو حنيفة
في غيبته الى مكة فاختلط الناس في ذلك ∴ والله ما احسبه
الا شيطانا تصور لي في صورة الانس حتى انتهى الى حلقتنا فسالنا
عنه فنهى بعضنا بعضا من الجواب وقلنا ليس شيخنا حاضرا ان
ونكره ان نتقدمه بكلام حتى يكون هو المبتدي بالكلام فيه ∴
وفي رواية عن الحسن بن ابي مالك انه لما قدم ابو حنيفة
من سفر الحج ذكروا له مسئلة وقوع القول في القرآن
فاطرق ابو حنيفة ثم رفع راسه وقال القرآن كلام
الله ووحيه وتنزيله ثم قال ما احسب هذه المسئلة تنتهي
حتى توقع اهل الاسلام في امر لا يقومون له ولا يقعدون
اعاذنا الله واياكم من الشيطان الرجيم ∴ والذي روى
عن ابن زياد عن داود الطائي وقوله لحماد وما يضاهيه
من الرواية عن ابي حنيفة واصحابه وابن ابي ليلى
والحجاج وابن شبرمة فذلك لشدة مواظبتهم على النصوص
الصريحة بكون القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله
اذ لم يكن وقعت مسئلة القول في القرآن في زمن الصحابة الا ما ذكر
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين قالت له الخوارج حكمت
في دينك الرجال وذلك حين بعث الحكمين فقال رضي الله عنه
ما حكمت مخلوقا انما حكمت القرآن فاقتصر هؤلاء الائمة
في اول وقوع القول في القرآن على ما سبق ثم لما شاع القول
في الناس وتكلم بعض الناس بخلقه فعند ذلك تكلموا في معاني
النصوص الصريحة من نحو قوله تعالى حتى يسمع كلام الله ∴ وقوله
يريدون ان يبدلوا كلام الله ∴ وقوله وكلم الله موسى تكليما

وأن الكلام صفة المتكلم كالحياة والقدرة والعلم صفات
للمتصف بها ∴ فروي عن أبي يوسف أنه قال ناظرت
أبا حنيفة في القرآن كذا كذا شهرا فاتفق رأيي ورأيه على
أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر ∴ وعن أبي يوسف
وأبي حنيفة قالا من قال القرآن مخلوق فهو ضال مبتدع
وعن أبي سليمن الجوزجاني وعنه قال سمعت محمد ابن الحسن
يقول لا يصلى خلف من يقول القرآن مخلوق ∴ ومعلوم
بين أئمة مذهب أبي حنيفة أن كتاب العقائد الذي
رواه أبو جعفر الطحاوي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد
هو الذي اعتمد عليه أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم ∴
وقد تقدم بيان قولهم وعقيدتهم في القرآن وما تكلم في شرحه
أبو حفص الغزنوي على وجه الإيجاز ∴ فنذكر الآن
طرفا من أصول سيف الحق أبي المعين النسفي رحمه الله في
فصل أزلية كلام الله عز وجل على مذهب أهل الحق وأقاويل
رؤساء المعتزلة في ذلك قال أبو المعين في كتابه قال
أهل الحق إن كلام الله تعالى صفة أزلية وهي صفة
قائمة بذاته منافية للسكوت والآفة من الطفولية والخرس
وغير ذلك والله تعالى متكلم آمر ناه مخبر ∴ وزعم جمهور
المعتزلة بأن كلام الله تعالى عرض محدث أحدثه الله تعالى
في محل فصار به متكلما وكلامه من جنس الحروف والأصوات
وزعم الجبائي ومن تابعه بأن الكلام حروف مؤلفة وأصوات
مقطعة ∴ وزعم جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر ومن تابعهما
من المعتزلة بأن القرآن خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ
وإليه ذهب أبو القسم الكعبي ومن تابعه من معتزلة بغداد
ولهم اختلافات فيما بينهم لم نذكرها هاهنا ∴ وعند

النظام

النظام منهم إن الكلام في الشاهد جسم لأن عنده لا عرض إلا
الحركة على ما يذكر في كتب الكلام ثم عند هؤلاء كلهم الله تعالى
متكلم لأنه خالق الكلام ∴ والمتكلم عندهم هو الخالق للكلام
وهو آمر ناه لأنه خلق الأمر والنهي **قال النسفي وحجة
أهل الحق** ما تعلق به بعض من قال بأزلية كلام الله
تعالى وهو قوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون أخبر الله تعالى أنه يحدث المحدثات بخطاب
كن ∴ ولو كان هذا الخطاب محدثا لأحدثه بخطاب
آخر وكذى الثاني والثالث إلى ما يتناهى فيتعلق وجود
العالم بما لا يتناهى من الخطاب ∴ وتعلق وجود العالم
بما لا يتناهى مما يدخل وجوده في حيز الممتنعات ∴ لأنه
لا يتحقق وجوده حتى ينتهي إلى تكوين أزلي لما قامت
الأدلة القاطعة أن المحدث لا يتصور منه الإيجاد

ومن المعقول لهم في المسألة

أن يقال إن كلام الله تعالى لو كان حادثا لا يخلو إما
أن يكون حادثا في ذات الله تعالى أو في محل سوى ذات
الله تعالى أو لا في محل وهذه الأقسام كلها ممتنعة
أما القسم الأول وهو توهم حدوث الكلام في
ذات الله تعالى فهو ممتنع محال لوجهين ∴ أحدهما
القديم
أن الكلام من صفات المدح في الشاهد وثبوت ضده نقص
فيستحيل تعري ذات القديم عن صفات المدح والثاني
أن القول بحلول الكلام الحادث في ذات الله الباري
تعالى قول بتغير ذاته والتغير على القديم محال ∴ لأن
التغير لا يكون إلا بمغير وبذلك عرفنا حدوث العالم وحدوث
الهيولي وبهذا يتبين بطلان قول الكرامية وإلحادهم

الهيولى على زعمهم مادة العلم كالخبزة للعجين وتلك المادة عندهم قديمة

حيث جوزوا حدوث الكلام وحدوث صفة التكوين في ذات
القديم تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا **وأما
القسم الثاني وهو القول بحدوث الكلام لا في محل**
محال أيضًا لأن الكلام الحادث يستحيل أن يكون
جسمًا أو جوهرًا لأن الكلام من قبيل الصفات ∴ والصفة
مما يتميز به الذات المتصف بها والجسم والجوهر كل واحد
يمتاز بالصفات فتعين كون الكلام الحادث عرضًا لانحصار
المحدثات في هذه الأقسام الثلاثة ∴ ثم قد تقرر في الأدلة وبداية
العقول أن العرض لا يقوم بنفسه بل يفتقر إلى محل يقوم
به ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بوجود حركة أو سكون
أو اجتماع أو افتراق أو شيء من الألوان أو رائحة أو طعم لا في محل
ولهذا اتفق جمهور العقلاء على نسبة الدهرية إلى العناد بتجويزهم
قيام الصور متجردة عن محالها ن على أن الكلام لو جاز ن
وجوده لا في محل لم يكن ذات ما متكلمًا به إذ ذات ما ليس
بأولى بالاتصاف به من ذات ن ويستحيل أن يكون الذوات
كلها متكلمة بكلام واحد كما يستحيل أن تكون
جميع الأجسام متحركة بحركة واحدة ∴ ولا يشكل
بطلان قول من يقول إن الله تعالى وجميع خلقه موصوفون
بكلام واحد **وأما القسم الثالث** وهو القول
بحدوث الكلام في محل سوى ذات القديم فيكون هو المتكلم
به محال أيضًا لأن الكلام لو حدث في محل لكان المتكلم
الآمر الناهي المخبر هو ذلك المحل لا الله تعالى ∴ لأن
الاسم المشتق من الصفة يكون راجعًا إلى محل الصفة لا إلى
محدثه والصفة تكون صفة لمحلها لا لمحدثها ∴ ألا ترى
أن الميت والأعمى والأعور والأشل والأعرج والأسود والمتحرك

محال هذه الصفات لا موجدها ∴ ومن وصف موجد هذه
الصفات بها تسارع الناس إلى إكفاره وقصدوا ضرب
علاوته فكذى هذا ∴ ثم بعد ظهور بطلان هذه الأقسام
إما أن تنقاد الخصوم للدليل فيقولوا إن كلام الله تعالى قائم
به وهو آمر ناه كما قال أهل الحق وإما أن ينكروا ان
أن يكون لله تعالى كلام وأمر ونهي فتبطل فرضية الإيمان
والعبادات وحرمة الكفر والمعاصي لانعدام أمره ونهيه
وكون هذا كفرًا ظاهرًا ∴ فإن قالوا إن الله تعالى يخلقه
الكلام في محل آخر يكون متكلمًا آمرًا ناهيًا ∴ قيل فيكون
على زعمكم موجد العرج والشلل والعمى ونحوها هو الموصوف
بها دون من قام بها فإن قالوا نعم فقد انسلخوا من الدين ∴
وإن لم يلتزموا ذلك لزمهم القول بانعدام الكلام والأمر والنهي
من الله تعالى فيكون الله تعالى على زعمهم بتعذيب من جحده
وصد عن سبيله وسفك الدماء معذبًا بغير جريمة فيكون
على قود مذهبهم ظالمًا لا عادلًا تعالى الله عما يقول الظالمون
علوًّا كبيرًا ∴ ثم هم بنفي الصفات عن الله يسمون أنفسهم
أهل توحيد وهو قولهم إنه تعالى حي لذاته لا حيوة له
وقادر لا قدرة له وعالم لا علم له ويسمون أنفسهم أهل عدل
لإثباتهم قدرة تخليق الأفعال لغير الله تعالى ∴ قالوا لأن
تخليق الأفعال لو كان من الله تعالى لكان معذبًا لهم على فعله
لا على فعلهم ∴ وقد أبطلوا بعدلهم هذا توحيد صانع العالم إذ العالم
أعيان وأعراض وأكثر الأعراض التي هي الأفعال الاختيارية
مخلوقًا لفاعليها من جميع من يوصف بالحيوة من المتحنين ن
وغيرهم من كل ما دب ودرج فكان العالم عندهم مخلوق
لله تعالى ولمن لا يحصون من الخالقين وقد سموا أنفسهم مع هذا

أهل توحيد ∴ ولهذا قال علماؤنا إن المعتزلة يسمون أنفسهم
أهل عدل وتوحيد وقد أبطلوا عدلهم بتوحيدهم وتوحيدهم بعدلهم
وهذا ظاهر رحمه الله قال الإمام الناصري ولهم على
هذا القسم الأخير أسولة كثيرة إذ هو مذهب جمهورهم قد
دفعها علماء الأصول وأودعوها كتبهم ∴ وحجج أهل الحق
لا تقوم لها شبهات أهل الأهواء والخصومات إذ حججهم السمعية
محكمة لا تحتمل الانتقاض بتأويلات المبتدعة وكذلك
إجماعهم لا يقوم له خلاف أهل الأهواء لسقوط اعتبار من خالفهم
إذ إجماعهم صار حجة قاطعة بنصوص محكمة من الكتاب
والسنة المتواترة الموجبة للعلم ∴ منها قوله صلوات
الله عليه ستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة
في الجنة والباقون في النار ∴ قيل يا رسول الله ومن
الناجية قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي ۵ وقد
صح أيضا قوله عليكم بالسواد الأعظم وصح أيضا قوله عليه السلم
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من
عنقه ∴ وقال أيضا في المتواتر لا تجتمع أمتي على ضلالة
وعند عرض الأقاويل على الكتاب والسنة الواضحة
وإجماع الصحابة وسلف الأمة يتبين من شذ عن الجماعة
وبالله العصمة ولأهل الحق معقول آخر في المسئلة
وهو أن الله تعالى لو لم يكن متكلما في الأزل لكان موصوفا
بضد من أضداد الكلام كالسكوت والآفة وذلك محال
لأن الآفة والخرس والطفولية وغيرها على القديم محال
ممتنعة إذ هي من أمارات الحدث وكذى السكوت
عنه في الأزل منتفي فإنه لو كان ساكتا في الأزل لكان
لا يتصور اتصافه بالكلام البتة لأن الأمر لا يخلوا إما إن كان ساكتا

لذاته ∴ وإما أن كان ساكتا لمعنى ∴ والاتصاف بالكلام مع
وجود ما يوجب اتصافه بالسكوت محال ممتنع إذ العدم
على ما يوجب كونه ساكتا محال ∴ ذاتا كان ذلك
الموجب أو معنى لما مر من استحالة العدم على القديم
وإذا لم يكن موصوفا بضد من أضداد الكلام ولا يستحيل
اتصاف الذات بالكلام لما هو من صفات الكمال
كان موصوفا به ضرورة إذ لا واسطة بين الكلام وأضداده
فيستحيل التعري عنه ∴ وتعلقت المعتزلة بقوله تعالى
إنا جعلناه قرآنا عربيا قالوا والجعل والتخليق واحد وبقوله
ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قالوا ولا فرق بين
المحدث والمخلوق ∴ قال الإمام الناصري ۵
وجواب أهل الحق في حل شبهاتهم السمعية هو أن يقال
لا تعلق لهم بقوله إنا جعلناه قرآنا عربيا لأن معناه والله
أعلم جعلنا العبارة عنه بلسان العرب وأفهمنا المراد به
باللسان العربي ∴ ثم إن أهل اللغة قالوا إذا تعدى الجعل
إلى مفعول واحد كان بمعنى الفعل والخلق كقوله تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ∴
وإذا تعدى إلى مفعولين لا يكون بمعنى الخلق بل يكون بمعنى
الحكم والتسمية قال الله تعالى خبرا عن الكفرة وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والمراد منه التسمية لا التخليق
أي سموا الملائكة إناثا ∴ وقد تعدى قوله جعلناه قرآنا عربيا إلى
مفعولين وكذى في قوله الذين جعلوا القرآن عضين ∴
والمراد منه التسمية لا التخليق قال سيف الحق
والمراد من قوله من ذكر من ربهم محدث يحتمل أن الذكر
هو الرسول على ما قيل في ذكرا رسولا فيكون تأويله ما يأتيهم

من رسول محدثا إلا استمعوا قوله ∴ ويحتمل أي ما
يأتيهم من وعظ عن النبي صلى الله عليه ∴ ويحتمل أي من
ذكر حديث العهد بهم لا أن يكون في نفسه حدثا كمن له
غلام صغير فاشترى غلاما مسنا فإنه قد يقول ادعوا
غلامي الحديث وإن كان أكبر سنا من الأول
فلم يبق للخصوم في محل النزاع دليل ولأهل الحق دليل آخر
وهو أن كلامه تعالى لو كان حادثا لكان مستحيل
البقاء إذ الكلام الحادث عرض والعرض اسم لما لا دوام
له ولا يبقى زمانين ۝ وأبو هاشم منهم ساعد في الكلام ۝
وأبو القسم الكعبي منهم ساعد في استحالة بقاء الأعراض
كلها ۝ فقد ثبت استحالة البقاء فيما نزل من القرآن
على النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مذهبهم فلم يبق اليوم على
قولهم لله تعالى كلام ولا أمر ولا نهي وبطلت الشرائع ∴
ثم رامت المعتزلة التخلص عن هذا الإلزام فقالت
إن كلام الله تعالى وأوامره ونواهيه وإن انعدمت
بقيت الشرائع لبقاء الإجماع على تلك الشرائع ۝ قال
سيف الحق هذا منهم كلام باطل لأن الإجماع كان
حجة بالقرآن فيبطل بانعدام الكلام والأمر به ∴ وعرف
بهذا أن مآل مذاهب المعتزلة هو السعي في إبطال
الشرائع ودفع الدين ورفع الملة الحنيفية نعوذ بالله من
قول عقباه هذا ۝ وأما قول المعتزلة بأن الأمر
والنهي في الأزل مع انعدام المكلفين مستحيل فهو تشنيع
عائد عليهم وهو مع ذلك أفحش مناقضة وأشد انقطاع لأنهم
سالكون هذا المسلك ۝ وبيان هذا أن يقال لهم إن ۝
عندكم كان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم خطابا لمن يوجد

من أهل العقل إلى قيام الساعة عند البلوغ وإن كانوا ۝
معدومين حال نزول الخطاب ولم يعد ذلك سفها ولا
خروجا من الحكمة استدلالا بالشاهد فكذا ما قلنا ∴ ومن
لم يجعل من وجد بعد ذلك العصر مخاطبا بذلك الخطاب
مع انقطاع الوحي فقد أبطل الشرائع وأخرج كل الخليقة بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن لوازم الأمر والنهي
وأفلتهم عن ربقة الخطاب والقول به كفر صراح ∴
ثم يقال لهم إن كان الأمر والنهي مع انعدام المأمور
سفها في الشاهد فلم ينبغي أن يكون في الغائب هكذا فلا بد
من إثبات التسوية بينهما ليمكن الاستدلال وتعدية الحكم
إلى الغائب عند اتحاد المعنى أليس أن كل فاعل في الشاهد
جسم وهو لحم ودم وعظم وعصب ولا يلزم مثله في ۝
الغائب فكذا فيما نحن فيه ثم نكشف عن المعنى فنقول الأصل
أن وجود المحدث هو الذي يتعلق بالعلل والحكم لا وجود
القديم إذ المحدث لم يكن ثم كان بتكوين غيره إياه فليتفحص
عن الحكمة التي لأجلها أحدثه الصانع وأوجده فأما ما لا
ابتداء لوجوده وهو واجب الوجود لم يكن وجوده متعلقا
بمعنى وراء ذاته الذي هو واجب الوجود أليس أن من
قال لا حكمة في وجود صانع العالم سابقا على العالم
سبقا لا نهاية له يستحق وينسب إلى الغباوة والجهل لما مر
من العلة فكذا هذا ∴ ثم نقول إن كلام واحد منا
في الشاهد محدث فيطلب لوجوده جهة الحكمة ∴ فإن
كان المخاطب حاضرا موجودا حصلت له العاقبة الحميدة
وإن كان معدوما أو غائبا لم تتعلق به العاقبة الحميدة فكان
سفها ∴ فأما كلام الله تعالى فهو أزلي واجب الوجود فلا تطلب

لثبوته في الأزل حكمة كما في حق الذات وهذا هو الجواب
لقولهم إن التكلم في الخلوة مع نفسه لن يكون إلا لتذكر أو لدفع
الوحشة ∴ والتكلم بدون ذلك سفه **فيقال لهم** إن كان
هذا هكذى في حق من كلامه محدث ∴ فأما في حق
من كان كلامه أزليا غير محدث وغير داخل تحت
القدرة فلا يكون كذلك ∴ ثم هذا يرد على المعتزلة حيث
زعموا أنه تعالى أحدث كلامه في عصر النبي صلى الله عليه
خطابا لمن في عصره ولمن يوجد إلى قيام الساعة فأما
علينا فلا يرد **وأما توهمهم** إن الإخبار عن آدم وعصيانه
بلفظ الماضي وعن ابرهيم وإذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا البلد آمنا ∴ وعن إلقاء موسى العصا ∴ وعن فرعون
فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى ونحو ذلك قبل وجودها
يكون كذبا والكذب على الله تعالى مستحيل **قال
سيف الحق أبو المعين في أصوله** فيقال لهم أليس أن
المروي على طريق الاستفاضة ثابت عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال في أشراط الساعة منعت العراق
قفيزها ودرهمها ∴ ومنعت الشام إردبها ولم يوجد بعد
وقال صلى الله عليه وسلم هذا القول قبل هذا بقريب من
خمس مائة سنة أكاذب هو عليه السلام أم صادق ∴ فإن
قال هو صادق فقد أبطل احتجاجه لو واقع فيما غاب وإن
قال هو كاذب فقد كفر ∴ وإن قال هو صادق
لأن ثبوت ذلك قد تقرر في علمه كما يتقرر ثبوت ما
وقع فلذا قال منعت قيل له فاقبل منا هذا العذر ثم يقال
أليس أن الكذب كما يتحقق في الإخبار عن الماضي بأن
كان على خلاف ما هو به فكذى يتحقق في المستقبل إذا كان

على خلاف ما هو به فلا بد من بلى ∴ فيقال أليس أن الله تعالى
قال قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم
أولي بأس شديد فلا بد من بلى ∴ قيل أليس أن هذا
قد مضى لأن المخلفين قد انقرضوا قبل الدعاء فلو كان
الدعاء لهم لم يوجد حال حيوتهم وانقرضوا قبل الدعاء كان
هذا إخبارا عن المخبر لا على ما هو به ∴ وكذى قوله وهم
من بعد غلبهم سيغلبون قد مضى كل ذلك ولا وجود لشيء
من ذلك في المستقبل بعد مضي هذه الحوادث ∴ فإن قالوا
نعم كل ذلك قد مضى قيل أكذب هذه الآيات أم لا
فإن قالوا لا أبطلوا دليلهم وإن قالوا نعم كفروا **ثم الجواب
البرهاني** أن يقال إن إخبار الله تعالى إخبار
عن المخبرات بأحوالها على أوصافها ∴ فإذا لم يوجد مخبره
وجب أن تقول بأنه خبر عنه أنه يكون وإذا وجد وجب
القول بأنه خبر ثابت ∴ وإذا مضى وجب أن تقول بأنه
خبر عنه أنه كان والتغير على المخبر عنه لا على الخبر
دليله ما تلونا من الآيات ∴ وكذى علمه تعالى بالمعلومات
فإن علم الله تعالى بوجود آدم صلوات الله عليه قبل وجوده
علم بأنه يوجد ∴ وبعد ما وجد علم بأنه موجود ∴
وبعد انقراضه علم بأنه كان وكذى في كل معلوم
سبق علمه بوجوده ولا تغير على العلم إنما التغير على المعلوم
**ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الرؤية أنهم قالوا
والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية**
كما نطق به كتاب ربنا جل وعلا وجوه يومئذ ناظرة
إلى ربها ناظرة ∴ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه ∴
وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله

فهو كما قال ومعناه على ما أراد :. لا ندخل في ذلك متأولين
بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا ما سلم لله
عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه عليه
إلى عالمه :. ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم
ومن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه
مرامه من خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان
فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب
والإقرار والإنكار موسوسا تائها شاكا زائغا لا مؤمنا
مصدقا ولا جاحدا مكذبا ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار
السلام لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم إذ كان ذلك منهم
تأويل الرؤية وتأويل الرؤية معنى يضاف إلى الربوبية كل
إلا بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين
ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه فإن
ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت
الفردانية ليس في معناه أحد من البرية تعالى الله عز وجل
عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات
لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات

أما قولهم والرؤية حق لأهل الجنة
بغير إحاطة ولا كيفية

هذا من فقهاء الملة وهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ومن
تابعهم إثبات بأن رؤية الله تعالى حق لأهل الجنة في الجنة
وقد اعتقدوا ثبوتها وحقيتها بالكتاب وبالأحاديث الصحيحة
والعقل الصحيح يثبتها ولا ينفيها وأما قولهم بغير إحاطة
ولا كيفية فإنما قالوا ذلك لما قامت الأدلة القاطعة
على استحالة الإحاطة به سبحانه وتعالى لأنه لا نهاية له

ونفوا الكيفية عن الرؤية الموعودة بها لاستحالة الكيفية في ذات
الله تعالى وصفاته على ما مر في فصل الصفات من البراهين العقلية
والحجج السمعية على تعاليه سبحانه عن الكيفية والمماثلة لما
فيهما من أمارات الحدث :. ثم في إثباتهم الرؤية لله تعالى
بغير إحاطة ولا كيفية بيان أن الرؤية لا تتضمن
تشبيه المرئي ولا إحاطته ولا تكييفه بل يرى المرئي
على ما هو به كالعلم سواء فإن العلم لا يتضمن شيئا من ذلك
بل يعلم المعلوم على ما هو به :. فإن كان المرئي
متكيفا يرى كذلك وإن كان غير متكيف يرى غير
متكيف فيرى الله تعالى بلا إحاطة ولا كيفية كما يعلم
بلا إحاطة ولا كيفية وأما قولهم كما نطق به كتاب
ربنا جل وعلا وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة :. هذا
منهم احتجاج بهذه الآية على إثبات الرؤية وهذا يدل على
أن هذه الآية موجبة لنظر العين :. وأن تأويل المعتزلة
إياها على انتظار الثواب والكرامة تأويل فاسد :. إذ
أبو حنيفة وأصحابه هم المتبحرون في علم الأصول والفروع
وهم أعرف بالتأويل والتنزيل وقد صرحوا على إثبات الرؤية
فيسقط تأويل المعتزلة وأما قولهم وكل ما جاء في ذلك من
الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما
قال ومعناه على ما أراد
فهذا منهم إثبات لصحة الأحاديث المروية في إثبات الرؤية
وشهادة منهم بحقية موجبها :. إذ ما ثبت في الشريعة يجب
الاعتقاد به لكونه شريعة الله تعالى ثبتت بالمعجزات
القاهرات والدلائل الواضحات فما ثبت كونه منها يقابل
بالسمع والطاعة ولا تضرب الأمثال والمقاييس

قال الإمام الناصري أخبرني الشيخ الثقة ٥
أمين الدين أبو سعد ثابت بن مشرف بن أبي سعد بن
ابرهيم وهو البناء البغدادي المعروف بابن شنبستان
قراءة عليه قال أخبرنا عمي أبو الحسن علي بن أبي
سعد بن ابرهيم قراءة عليه وانا أسمع قال أخبرنا الشيخ
الإمام أبو ياسر عبد الله بن محمد البرداني قراءة عليه وأنا
أسمع قال أخبرنا القاضي أبو المظفر هناد بن إبرهيم
ابن نصر النسفي قراءة عليه وانا أسمع في الجامع سنة ست
وخمسين وأربع مائة قال أخبرنا أبو القسم علي بن احمد
ابن محمد بن الحسن الخزاعي ببخارا قال أخبرنا أبو محمد
عبد الله بن يعقوب الحارثي قال حدثنا أبو عبد الله
محمد بن خزيمة بن حسان بن عيسى البخاري قال
حدثنا رجاء بن عبد الله النهشلي بمكة قال حدثنا شقيق
ابن ابرهيم البلخي قال حدثنا حماد بن أبي حنيفة
عن أبيه أبي حنيفة النعمان بن ثابت عن اسمعيل بن أبي خالد
عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انكم سترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر
ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا
على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ∴ قال حماد
وحدثنا اسمعيل وبيان عن قيس بهذا الحديث قال
الناصري وأخبرني أبو سعد ثابت قراءة عليه قال أخبرني
عمي أبو الحسن علي بن أبي سعد قراءة عليه قال أخبرنا محمد بن احمد
ابن محمد أبو عبد الله الموصلي بها قال حدثنا محمد بن عمر بن
سلم قال حدثنا علي بن الفضل بن الطاهر قال لنا هناد
كتب عني هذا الحديث أبو حازم الحافظ بنيسابور وأبو الفضل ٥

الجارودي وهبة الله بن الحسن الطبري وأبو عبد الله الصوري
وأبو بكر الخطيب الحافظ وجماعة من الحفاظ وغيرهم قال
الناصري هذا حديث صحيح أخرجه الحفاظ في الصحاح
وقد رواه الإمام الجليل أبو حنيفة بإسناده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخذ به وكذلك رواه أبو يوسف يعقوب
ابن ابرهيم بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ به
وذكر القاضي أبو العلاء صاعد في كتاب الاعتقاد
فقال روي عن بشر بن الوليد قال كنت جالسا عند
أبي يوسف القاضي فدخل عليه بشر المريسي قال أبو
يوسف حدثنا اسمعيل عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر حديث الرؤية يعني قوله صلى الله عليه سترون
ربكم لا تضامون في رؤيته كما تنظرون إلى القمر ليلة ٥
البدر ثم قال أبو يوسف اني والله أؤمن بهذا الحديث
وأصحابك يكفرون به قال الناصري قد جمع أبو يوسف
في حديث الرؤية بين لفظ الإيمان وتاكيده بالقسم
بالله عز وجل وهذا لنا كذ ثبوت هذا الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنقل المشهور إذ الاعتقاد لا يبنى إلا
على دليل موجب للعلم وذلك كتاب ناطق أو خبر متواتر
أو مشهور تلقاه السلف بالقبول أو إجماع الأمة
وأما قولهم ومعناه على ما أراد
فإنما أرادوا بذلك النظر المذكور في الكتاب إلى الرب
تعالى ∴ وما صح في ذلك من الخبر فإنه يجب قبوله باعتقاد
الحقيقة والتسليم لما أراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
من غير بحث ولا تاويل لأن الله تعالى لا يعرف بالقياس
ولا يقاس بالناس وإنما يعرف بهدايته ودلايله وآياته

والدلايل والآيات دلت على وحدانيته وقدمه وكماله
بصفاته وعلى تعاليه عن معاني خلايقه على ما مر بيانها
فيما مضى **وأما قولهم لا ندخل في ذلك متأولين**
بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا
فإنما قالوا ذلك لأن الرؤية معنى يضاف إلى الربوبية
ولا يقاس ذاته بالذوات لوحدانيته وقدمه ولا يفهم من
صفاته ما يفهم من صفات غيره لأن صفات غيره دلالات
على أن صانعا قديما صنعها ودبرها وذلك يستحيل في حق
صفات القديم تعالى فمن دخل في ذلك متأولا برأيه فأما
أن يؤديه رأيه إلى النفي على ظن أن ذلك تنزيه
فيصير ردا لما ثبت بالدليل القطعي وذلك ضلال
وباطل ∴ وإما أن يؤديه رأيه إلى التشبيه والتجسيم
على ظن أنه يثبته فيصير غلوا وذلك باطل ∴ فوجب
اعتقاد حقية ما ثبت بالدليل الموجب من غير تشبيه ولا
تعطيل وهو سبيل أهل الحق **وأما قولهم فإنه ما سلم في**
دينه إلا ما سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه ورد علم
ما اشتبه عليه إلى عالمه فإنما قالوا ذلك في كل ما
ثبت كونه من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم
بالدليل الموجب للعلم من كتاب ناطق أو خبر متواتر أو
إجماع فإنه تسليمه لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم سواء [يجب]
علم الحكمة فيه أو لم يعلم إذ هو من شريعة علام الغيوب وعقول
البشر تقصر عن الوقوف على الحكم البشرية ∴ إذ العقل جزء
من أجزاء العالم ∴ فكيف يحيط بالحكم الربوبية ما هو جزء
من أجزاء عالمه **وأما قولهم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه**
فإنما قالوا هذا لوجوب الإيمان بالآيات المتشابهات

والأحاديث المتشابهة الثابتة بالنقل المتواتر من غير حمل إياها
على مخالفة النصوص المحكمة الموجبة للعلم ومن غير إيقاع
المناقضة بين حجج الحكيم القديم على ما مر في فصل الصفات
والمتشابهات فإن قوما تأولوا بآرائهم فعطلوا وقوما
حملوها على ظواهرها فوقعوا في التشبيه والتجسيم فصاروا
معطلة من حيث المعنى إذ قامت البراهين الساطعة
والحجج القاطعة على أن صانع العالم ليس بجسم ولا جوهر ولا
عرض وأنه لا مشابهة بينه وبين شيء من العالم
وأما قولهم ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم
فلأن الإسلام هو دين الله عز وجل الذي تعبد به عباده
وبعث لأجله الأنبياء والرسل وأنزل الكتب السماوية وهو في
الحقيقة جعل كلية الأشياء لله تعالى سالمة لا شريك له فيها
في ملك ولا إنشاء ولا تقدير ∴ ثم الإيمان والإسلام واحد عندهم
أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمدا وساير المحققين لأن
الإيمان هو التصديق لله تعالى بالربوبية بشهادة كلية
الأشياء لله تعالى بأنه خالقها وربها على ما هي عليها من آثار
الحدثية فالمسلم هو الذي جعل الأشياء كلها سالمة لله تعالى
بجعل تخليق الأجسام والجواهر والأعراض كلها خيرها وشرها
من الله تعالى لا كما قالت الثنوية إن خالق الخيرات هو
الله تعالى وخالق الشرور والقبائح هو أهرمن يعنون به الشيطان
فهذا تفسير الإسلام ∴ ∴ وأما تفسير الإيمان ففيه
عبارتان إحداهما الإيمان هو التصديق لله تعالى بما أخبر أنه
رب كل شيء وأن له الخلق والأمر ∴ والعبارة الثانية
هو التصديق بما جاءت به الرسل وذلك يرجع إلى ما بينا أن
الإسلام والإيمان في الحقيقة واحد هكذا ذكر إمام الهدى

أبو منصور في كتاب التأويلات وعليه أيمة التحصيل أنهما واحد
عند فقهاء وذليلهم على ذلك اتحادهما في المعنى على ما بينا
ونصوص كثيرة منها قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما
أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون
فأمر الله تعالى بالإسلام له في جميع ما أمر بالإيمان به ومنها
قوله تعالى في قصة لوط فأخرجنا من كان فيها من
المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فعبر
بالإسلام عمن عبر عنهم بالإيمان فالذين سماهم مسلمين هم
الذين سماهم مؤمنين فكان الإيمان والإسلام واحدا
في التحقيق ∴ ثم الأعمال من نحو العبادات وساير الطاعات
من موجبات الإيمان وشرايع الإسلام ∴ ويدل على ذلك
أيضا حديث جبرئيل عليه السلم حيث سأل رسول الله صلى
الله عليه عن الإيمان والإسلام فقال الإيمان أن تؤمن
بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
وشره من الله ∴ ثم قال في جواب سؤاله عن الإسلام
فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج
البيت إن استطعت إليه سبيلا ∴ فذكر في الإسلام
الشهادتين وفيهما جميع ما يجب أن يؤمن به إذ في الشهادة
بوحدانية الله تعالى الإيمان والتصديق بألوهية الله وأسمايه
وصفاته وفي الشهادة بالرسالة الإيمان بجميع ما جاء به محمد من
عند الله ∴ ثم اتبع ذلك بشرايع الإسلام ∴ وكذا الحديث
المشهور المتواتر يؤكد هذا ويوضحه وهو قوله صلى الله عليه أمرت

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها ∴ وفي رواية إلا بحق الإسلام
وحسابهم على الله ∴ وهذا بيان واضح أن الإيمان والإسلام
واحد وأن العبادات وساير الأحكام من حقوق الإيمان
والإسلام وشرايعهما ∴ وهذا الذي ذكرنا كله داخل
تحت قولهم ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم
فالإسلام هو التسليم لله عز وجل في كل ما ثبت بالدليل
الموجب للعلم والإيمان هو التصديق بحقية كل ما
ثبت بالدليل الموجب للعلم وقد مضى ذكر أنواع الأدلة
الموجبة للعلم قطعا وأما قولهم ومن رام علم ما حظر عنه
علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص
التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فمعناه
أن كل من لم يستقبل ما ثبت بدليل يوجب العلم قطعا
من كتاب ناطق أو خبر متواتر أو إجماع الأمة الهادية
بالتسليم لله ولرسوله ولم يقنع بالتسليم فهمه وطلب الوقوف
على الحكمة فيما حظر عن الخلق علمه كان مرامه ذلك منه
تحكما وعدولا عن موجب الإسلام والإيمان فيصير
برايه وتحكمه محجوبا عن خالص التوحيد وصافي المعرفة
وصحيح الإيمان فيبقى مترددا بين نقيضين بين الكفر
والإسلام ∴ وبين التكذيب والتصديق ولا إيمان مع
التردد ∴ ولا إسلام مع التحكم ∴ ولهذا قالوا فيتذبذب
بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار
والإنكار موسوسا تايها ∴ شاكا زايغا ∴ لا مؤمنا مصدقا ∴
ولا جاحدا مكذبا ∴ قال الإمام الناصري فمن
أراد أن يعرف الحق فعليه التمسك بالأدلة الموجبة للعلم

قطعاً وهي الكتاب المتلو بلا شك ∴ والخبر المروي بلا إنك
وهو المتواتر وإجماع الأمة الهادية وما اشتبه عليه من متشابهات
الكتاب والخبر المتواتر فيؤمن بمراد الله تعالى ومراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها وينفي عن الله تعالى متشابهة الخلق
عملاً بالنص المحكم وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء
ويصفه بما وصف به نفسه في سورة التوحيد والإخلاص
ويعتقد أن الله تعالى قديم حكيم لم ينزل كتابه متناقضاً ولا
بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بدين متناقض بل نعلم
أن الله تعالى أنزل الكتاب وفيه المحكمات ليتبعوها
بالعمل والاعتقاد ∴ المتشابهات وأخبر أن اتباع
ما تشابه منه زيغ فقال فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ∴ وثبت قطعاً أن هناك معاني موافقة
للمحكمات ولكن الله تعالى امتحن عباده باتباع المحكمات
والإيمان بحقيقة مراده في المتشابهات ليظهر في ما علم
في الأزل من يحق ممن يزيغ كما امتحن العباد بالأوامر
والنواهي ليظهر للخلق المطيع من العاصي ولم يعرف الحق
بما ذكرت من الأدلة القاطعة فهو بما بعدها أبعد ∴ وهذا
كما ذكر القاضي أبو العلاء صاعد في كتاب الاعتقاد
فقال روي عن أبي يوسف أنه قال من لم يعرف
الحق بالقرآن والسنة فهو بالخصومة بالرأي عن معرفته أبعد
قال أبو العلاء وروي عن أبي سليمان أن رجلاً
جاء إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فقال أرى مقالات
الناس مختلفة ولقد بقيت فيما بينهم متحيراً لست أقف
على صواب القول منهم أحب يا أبا حنيفة أن تبين لي
طريقاً أكون عليه فأنجو غداً من النار وترضاني ما ترضاه

لنفسك وإذا تابعتك عليه لا لوم عليه فقال أبو حنيفة رضي
الله عنه أدركت الناس وهم يقولون من قال أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد أخلص الملك
لله وتبرأ من عبد من دونه وخلع الأنداد والأشباه ثم البراءة
من الكفر والشرك ∴ الواجب عليهم بعد الشهادة بوحدانية
الله وبإثبات رسله إقراره بالمفروضات من الصلوة والزكوة
والصوم والحج لمن استطاع إليه سبيلاً فمن استقام على ذلك
ومات عليه فهو من أولياء الله ∴ ومن استقام على الشهادة
وقصر في هذه المفروضات فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه
على تضييعه وإن شاء عفى عنه ∴ وإياك أن تشتم أحداً
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع سرائرهم
إلى الله تعالى تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ∴
وتؤمن بالقدر كله ولا تقل على الله غير الحق ∴ وارض
للناس ما ترضى لنفسك ∴ واكره لهم ما تكره لها ∴ ولا تغل
في دين الله ∴ ولا تتأل على الله فإن الله لا يسأل عما يفعل
والعباد مسؤلون يوم القيمة ∴ قال الإمام الناصري
قد جمع الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله في هذه الجملة
فصولاً يطول شرحها نذكر منها حرفاً واحداً وهو قوله أدركت
الناس وهم يقولون من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله أراد بقوله أدركت الناس الاحتجاج بجماعة
الأمة وهو من أعظم الأدلة الموجبة للعلم إذ مراده بالناس
جماعة المسلمين وهم الذين نقلوا القرآن وعدد الصلوات
الخمس وجميع الشرعيات والأحكام والحدود فمن خالف
إجماعهم فقد خالف ما نقلوه وهو القرآن والسنة الواجبة
إذ إجماعهم صار حجة موجبة بما كذا فسره علماء الأصول

ولا تتأل على
معناه أي لا تقسم على

وذكر القاضي أبو العلاء أيضا فقال روي عن أبي عمرو
ابن مطر قال سئل محمد بن إسحق بن خزيمة عن الكلام
في الأسماء والصفات قال بدعة ابتدعوها ∴ ولم تكن
أيمة المسلمين من الصحابة والتابعين وأيمة الدين
وأرباب المذاهب مثل أبي حنيفة ومالك بن أنس
وسفيان الثوري وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والشافعي
وأحمد بن حنبل وإسحق الحنظلي ويحيى بن يحيى وعبد
الله بن المبارك ومحمد بن يحيى ∴ يتكلمون في ذلك ه
وينهون عن الخوض فيه وعن النظر في كتبهم بحال
والله أسأل أن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن

وأما قولهم ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم

فهذا منهم إثبات لرؤية الله تعالى في الجنة إذ دار السلام
هي الجنة قال الله تعالى والله يدعوا إلى دار السلام
أي يدعوا إلى الجنة وفي تسميتها دار السلام وجهان أحدهما
أن السلام اسم من أسماء الله تعالى قال الله تعالى السلام
المؤمن فيكون معناها دار الله إذ هي دار أولياء الله والثاني
سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم عن الآفات
والعيوب والزوال فيكون معناها دار السلامة ∴ وإنما
قالوا لا يصح الإيمان بالرؤية لأهل الجنة لمن اعتبرها بوهم
لأن الوهم إنما يقع على الموهوم وهو ما ينطبع في الحواس
وهو ما يوصف بالجنس والكيفية وذلك محال في حق
الله تعالى ∴ وإنما قالوا أو تأولها بفهم لأن الفهم يكون
بالتأمل بالعقل وذلك يكون لمعرفة الدلايل المنصوبة
في العالم على حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته وقدمه

وعلى براءته عن سمات الحدث وأمارات النقص ∴ وأما فهم
المعنى الذي يضاف إلى الربوبية فلا سبيل إلى ذلك وهذا هو معنى
قولهم إذ كان ذلك تأويل الرؤية وتأويل الرؤية معنى يضاف
إلى الربوبية ∴ أرادوا بأن الربوبية منزهة عن المائية ه
والكيفية فلذلك قالوا لا يصح الإيمان بالرؤية إلا بترك التأويل
ولزوم التسليم كما في العلم بالذات والصفات يعلم ذاته
بأنه واحد حي قديم موصوف بصفات المدح والكمال بلا
إحاطة كيفية **وأما قولهم إلا بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين** فهذا منهم بيان أن الرسل عليهم السلام
سلكوا طريقة واحدة في الهدى والتوحيد فتوادينهم على ما
أتاهم الله تعالى لهم من آيات الوحدانية والألوهية وآيات
الرسالة فأسلموا لرب العالمين على ما قال تعالى لنبيه عليه السلام
قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين
وعلى ما أمر به خليله إبرهيم صلوات الله عليه بقوله إذ قال له
ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبرهيم
بنيه الآية ∴ وعلى ما قال تعالى أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده قال أهل الأصول أمروا في الأسماء ه
والصفات وما يجب اعتقاده أن يكونوا على دين ونهج واحد
وهو الإسلام على ما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ∴ فالأنبياء كلهم عليهم السلام
على دين واحد وهو الإسلام لرب العالمين وأما في الشرايع
فلكل واحد منهم شريعة على حدة على ما قال تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا فالأنبياء صلوات الله عليهم اتفقوا في الدين
على الطريقة الواحدة المستقيمة والسيرة المرضية المهدية قد

قوله شرعة ومنهاجا [illegible]

أنقادوا الحجج الله تعالى وبراهينه وعصموا عن طريق الفلاسفة ۝
والمتكلمين ليعلم أنهم منقادون لوحي الله تعالى ∴ وملتزمون
لحكمه ومستسلمون لأمره فوجب علينا الاستسلام لما
استسلموا والاتباع لسيرهم والتدين بطريقتهم ∴ ومن
رغب عن شيء مما استسلموا له فقد زاغ عن الحق والهدى
ووقع في السفه والضلالة على ما قال تعالى ومن يرغب عن
ملة إبرهيم إلا من سفه نفسه إذ الأنبياء كانوا على ملته ∴
وأمر نبينا صلوات الله عليه باتباع ملته على ما قال
واتبع ملة إبرهيم ∴ وذكر القاضي أبو العلاء في كتاب
الاعتقاد فقال روى جماعة من الصحابة قالوا خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن بني إسرائيل
افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنين
وسبعين فرقة ∴ وإن أمتي ستفترق على ثلث وسبعين
فرقة كلها على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا يا رسول الله
وما السواد الأعظم قال ما أنا عليه وأصحابي
وأما قولهم ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه
قال القاضي أبو حفص الغزنوي وهذا أيضا قالوه في
الرؤية لأن الرؤية لما تثبت بالنقل كان نفيها نفيا لما
أثبته الشرع ونفي ما أثبته الشرع ضلال والتشبيه باطل
بالنقل والعقل فمن لم يجتنب النفي الذي هو خلاف الشرع
والتشبيه الذي هو خلاف الشرع والعقل زل عن الدين
الحق ولم يصب التنزيه الذي أوجبه الشرع والعقل
وأما قولهم فإن ربنا جل وعلا موصوف
بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية
وهذا أيضا قالوه في فصل الرؤية حسما عن الخوض في تأويل

معاني صفات الرب بالوهم وفهم الرأي لكيلا يقع في التشبيه
والكيفية والتجسيم لاستحالة هذه المعاني على القديم تعالى
فإن الله تعالى وصف نفسه بصفات الوحدانية بقوله وإلهكم
إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ∴ وبقوله وهو الله الواحد
القهار ∴ وبقوله وعنت الوجوه للحي القيوم ∴ وبقوله قل
هو الله أحد الله الصمد ونعت نفسه بنعوت الفردانية بقوله
بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وبقوله لم يلد ولم يولد وأما قولهم ليس في معناه أحد من البرية
فإنما قالوا ذلك لئلا يتوهم أحد في إثبات الرؤية الموعودة
في الآخرة معاني الرؤية المعهودة في الشاهد من البرية وإنما
يراه أهل الجنة في الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما
عرفوه في دار المحنة والعبادة بلا إحاطة ولا كيفية
فإن الله تعالى نزه نفسه عن معاني خلائقه على المبالغة
على نسق ذكر أقسام العالم فبدأ بذكر ألوهيته وربوبيته ۝
بقوله ذلكم إلى أن ذكر قهره وسلطانه بقوله فاطر السموات
والأرض فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات ۝
السموات وما فيها وما بينها وما فوقها من مخلوقاته ودخل
بذكر الأرض تحت قهره وسلطانه الأرض وما فيها وما
تحتها ∴ ثم ذكر المقصود من العالم وهم البشر المشتمل على
الأزواج والأصناف بقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ∴ ثم
ذكر ما جعل لهم من الأنعام المشتملة على الأزواج والأصناف
بقوله ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ∴ ثم ذكر على (اي يكثركم)
نسق جميع أقسام العالم تعاليه عن مماثلة شيء من أقسام
عالمه فقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فهذا نص محكم لا احتمال فيه نفي تعالى عن نفسه مشابهة

شيء من مصنوعاته ومخلوقاته ومحدثاته التي هي بذواتها وصفاتها
دلالات على ثبوت صانع واحد حي قديم قادر حكيم مدبر عليم
مريد سميع بصير وقد تقدم ذكر البراهين القطعية فيما مضى
فهذه الأدلة القاطعة قال فقهاء الملة في تنزيه ذات
القديم تعالى وصفاته ليس في معناه أحد من البرية إذ البرية
جميع الخليقة فيستحيل كون المحدث المخلوق في معنى القديم
الخالق وأما قولهم تعالى الله عز وجل عن الحدود
والغايات والأركان والأعضاء والأدوات
فإنما قالوا ذلك لما سبق بيانه من البراهين الساطعة والحجج
القاطعة على تعاليه عن جميع معاني خليقته إذ الحد وصف
المحدود وهو المحصور ⁂ والغاية عبارة عن النهاية ⁂
والأركان والأعضاء صفات الأجسام ⁂ والأدوات
الآلات الأجسام والقديم سبحانه يتعالى عن هذه الأوصاف
كلها لما هي دلالات على صانع قديم صنعها ودبرها فيستحيل
أن يكون الصانع القديم متصفا بأوصاف المصنوعة
وأما قولهم لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات
فإنما قالوا ذلك بالنصوص المحكمة والبراهين القاطعة أما
النصوص فنحو قوله تعالى ليس كمثله شيء نفى عن نفسه
مشابهة العالم إياه نفي التحيز بجهة من الجهات مشابهة
الأجسام والجواهر ⁂ وفي التمكن في مكان مماثلة للجواهر
المتمكنة في الأمكنة ففي وصفه بالجهات قول بالاتحاد
فيها وفي القول بالتمكن بالمكان إثبات الحاجة إلى
المكان ⁂ وفي كل ذلك إيجاب حدوثه وإزالة قدمه
وذلك كله محال في حق القديم ⁂ ومن تلك النصوص
قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ⁂ والكفو المساوي والمماثل

فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة ⁂ ومنها قوله تعالى سبحان
الله عما يصفون ⁂ وقوله سبحان الله عما يشركون فوجب
تنزيهه عن صفات الخلق ⁂ ومنها قوله تعالى والله
الغني وأنتم الفقراء فوجب إثبات تعاليه عن كل ما يفتقر
إليه الخلق من الاتصاف بالمكان والجهة ⁂ ومنها قوله
تعالى إن الله لغني عن العالمين فأثبت لنفسه الاستغناء
عن جميع العالمين ⁂ والجهات والأمكنة من أجزاء
العالم فوجب إثبات تعاليه واستغنائه عن العالمين
وعن كل وصف من صفات المحدثين ⁂ ومن البراهين
القاطعة أن الجهات الست محدثة وهي أوصاف للعالم
المحدث والله تعالى قديم لم يزل كان ولا مكان ولا
حين ولا زمان ولا فوق ولا تحت ولا خلف ولا قدام
ولا يمين ولا يسار ⁂ فلما أحدث العالم وأخرجه من
العدم إلى الوجود صار العالم محصورا بجهات ست فما قطعه
من أعلى صار فوقا ⁂ وما قطعه من أسفل صار تحتا ⁂ وما
تقدمه صار أماما ⁂ وما تأخر عنه صار خلفا ⁂ وما
تيامن عنه صار يمينا ⁂ وما تياسر عنه صار شمالا فصار العالم
محصورا بالجهات ⁂ وصانع العالم قديم لم يزل دائم لا يزال
وهو بكل شيء محيط لا كإحاطة الحقة باللؤلؤة بل
بالعلم والقدرة والقهر والسلطان لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في السموات ولا في الأرض وكل شيء تحت حكمه وقهره
وسلطانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ⁂ وهذا كله
مذهب أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة وخالفهم في ذلك
اليهود والكرامية والغلاة فقالوا بأن الباري تعالى جسم
متبعض على مثال صورة البشر وأنه في الجهة العليا في مكان

مخصوص وهو العرش ۞ وقالت النصارى انه تعالى جوهر وقد
مر ذكر البراهين الساطعة والحجج القاطعة في غير موضع بأن الله
تعالى ليس بعرض لأن العرض إسم لما لا دوام له يقال عرض
لفلان أمر أي معنى لا قرار له ۞ ومنه سمي السحاب عارضا
لما أنه يعرض ثم يزول ولا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل
يقوم به فتعالى الله عز وجل عن الاتصاف بمعنى لا يدوم ۞
وقد قامت الدلايل القاطعة على أن صانع العالم حي
قديم أزلي دايم أبدي واجب الوجود لا ابتداء لوجوده
واجب البقاء لا انتهاء لدوامه وبقايه والقول بقدم ما لا
بقاء له محال ۞ وكذي قامت الدلايل القاطعة أن الفعل
المحكم المتقن لا يتاتى إلا من حي قادر عالم ۞ واتصاف ما
لا قيام له بذاته بكونه حيا عالما قادرا محال ۞ وكذى افتقار
القديم إلى المحل محال إذ شرط القديم الاستغناء في الوجود
عن غيره ۞ وكذى القول بقدم المكان محال ۞
وكذى قد قامت الدلايل القاطعة على استحالة كون
صانع العالم جوهرا إذ الموجود في الشاهد قسمان أعيان
قايمة بذواتها وأعراض لا تقوم بذواتها وتستحيل بقاؤها ۞
وقد ثبت بالدلايل القاطعة أن صانع العالم ليس بعرض ۞ وأما
الأعيان فتنقسم قسمين إلى متركب وهو الجسم وغير
متركب وهو الجوهر وهو الذي يسمى جزءا لا يتجزى فتاملنا
فوجدنا اتصافه بكونه جوهرا محالا ممتنعا ۞ وزعمت
النصارى بأنه تعالى جوهر ولم يساعدهم أحد من أهل القبلة ۞
إلا ما ذكر ابن الاسفرايني في كتابه المسمى شعار المعتزلة
أن ابن كرام ذكر في كتابه الملقب بعذاب القبر
في وصف الله تعالى أنه أحدي الذات أحدي الجوهر قال سيف

الحق في كتاب تبصير الأدلة هذا من ابن كرام خروج عن
إجماع المسلمين والتحاق بالنصارى ۞ وشبهة النصارى
في ذلك أن الجوهر في الشاهد كان جوهرا لأنه قايم بالذات
قالوا لأن الله تعالى موجود والموجود إما أن يكون عرضا وإما
أن يكون جوهرا والله تعالى ليس بعرض فيكون جوهرا إذ لو لم
يكن جوهرا مع أنه ليس بعرض لما كان موجودا لأن الموجود ينقسم
الى قسمين عين متركب وغير متركب وعرض فلو خرج الباري
عن القسمين جميعا لما كان موجودا ۞ قالوا ولأنه تعالى
فاعل وما يجوز منه الفعل في الشاهد فهو جوهر وحجة
أهل الحق أن الجوهر في اللغة عبارة عن الأصل يقال للمشتهر بالإحسان من أبناء الشرف والسيادة فلان يجري
في الإحسان على شاكلة جوهره الشريف ۞ ويقال
للثوب إذا كان محكم الصنعة جيد الأصل إنه ثوب جوهري
وعلى هذا سموا ما لا يتجزى من أجزاء الجسم جوهرا لما يتركب
منها المتركبات وتجري تلك الأجزاء مجرى الأصول
لها فيكون كل فرد أصلا في المتركبات لاستحالة المتركبات
بدون الأفراد التي تركبت هي منها ۞ والله تعالى يستحيل
تركبه إلى غيره ليصير جسما فلم يكن أصلا يتركب منه الجسم
فلم يكن جوهرا ۞ ثم يقال لهم أليس كل جوهر في الشاهد
قابل للعرض ۞ وكل ما هو قابل للعرض فهو جوهر فإن
أنتم تجعلون كونه قابلا للعرض حدا له لدورانه معه وجودا
وعدما فإن قالوا نعم تركوا أصلهم فإنهم يقولون إنه تعالى
ليس بقابل للأعراض وإن قالوا لا أبطلوا دليلهم ۞ وقولهم
إن الموجود في الشاهد إما أن يكون عرضا وإما جوهرا والله
تعالى موجود وليس بعرض فيكون جوهرا هذا كلام باطل

وتركهم اتباع البراهين والحجج بهواهم وتكذيبهم من قامت
المعجزات القاهرات على يديه وهو محمد الرسول النبي
الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل وهو بشارة عيسى
برسول يأتي من بعده اسمه أحمد ولذلك دعوا إلى المباهلة
بقوله تعالى قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
فامتنعوا عن المباهلة ودخلوا تحت قبول الجزية لعلمهم بأن
من باهل نبيا مرسلا يصطلم ❀ وقصة المباهلة مشهورة (قريب من الاصطلام)
نطق بها الكتاب وهي آية من آيات رسالة نبينا محمد صلوات
الله عليه وإنما ذكرنا هذا ليعلم الموحد عظيم نعمة التوحيد
فيواظب أبدا على اتباع حججه ❀ وأما إبطال قول
المجسمة وإذ قد ثبت بالأدلة القاطعة أن صانع العالم ليس
بعرض ولا جوهر فتأملنا وقد دلت البراهين القاطعة على
أنه الله تعالى ليس بجسم ويستحيل اتصافه جسما ولا يجوز ذلك
لا من حيث الاسم ولا من حيث المعنى وذلك لأن المؤتلف
من جوهرين أو ماله أبعاد ثلثة وهي الطول والعرض
والعمق هو الجسم وكل ذلك يستحيل على الله وقد خالفنا في
ذلك طوايف كثيرة من اليهود والمشبهة والغلاة والكرامية
وتعلقوا في ذلك بظواهر المتشابهات المذكورة في الكتاب
والأحاديث ❀ وأما أهل الحق فإنهم يقولون إن القول
بأن الله تعالى جسم مؤتلف متبعض متجزي يخالف للآيات
المحكمات التي ذكرناها في غير موضع في فصل إثبات
صانع العالم وفي فصل الوحدانية وفي فصل إثبات الصفات ❀
ويخالف أيضا الحجج العقول التي احتج بها ابرهيم على قومه
وسماها الله تعالى حجته فمن حجج العقول أن القول بأنه جسم

لأن الجوهر في الشاهد ما كان جوهرا لأنه ليس بعرض بل كان
جوهرا لأنه أصل يتركب منه الجسم والله تعالى يستحيل عليه
أن يكون أصلا يتركب منه الجسم وليس من ضرورة كونه موجودا
كونه جوهرا لأن العرض موجود وليس بجوهر ❀ وقولهم
إن الله تعالى فاعل وكل فاعل في الشاهد جوهر قلنا وكل
فاعل في الشاهد جسم ❀ فإنا ما رأينا جوهرا غير متركب
يفعل فعلا فإن التزموا جعلوا لله جسما وهو خلاف مذهبهم
وإن لم يلتزموا أبطلوا دليلهم ❀ ثم إن هؤلاء الجهال يزعمون
أن الله تعالى جوهر واحد ثلثة أقانيم والأقنوم الصفة عندهم
فيقولون معناه أنه جوهر واحد ثلث صفات ويفسرون
ذلك أنه ذات وعلم وحيوة ويسمون الذات أبا والعلم
ابنا والحيوة زوجا ويقولون بلسانهم السورية أبا وابنا وروحا
قدسا ❀ يعنون به الأب والابن وروح القدس وهذه
جهالة متفاحشة حيث يجعلون الواحد ثلثة والثلاثة
واحدا ∴ وكذي يجعلون الذات صفة ويعدونه في الصفات
وكذي يجعلون الذات أبا والصفة ابنا له ❀ وكذي
يجعلون الأب والابن قديمين ولا بد من تقدم الأب
على الابن وتأخر الابن عنه فلو جاز هذا مع ارتفاع التقدم
والتأخر لجاز على القلب فيجعل الذات ابنا والعلم أبا ∴
وكذي يقتصرون على هاتين الصفتين مع الذات
وهو جهل إذ لا بد من إثبات صفة البقاء والسمع والبصر والقدرة
والإرادة ∴ إذ البقاء معنى وراء الذات ❀ والسمع والبصر
معنيان وراء العلم ∴ والقدرة والإرادة معنيان وراء
الحيوة قال الإمام الناصري فالنصارى وقعت
في هذه الجهالات المتفاحشة لعدولهم عن آيات الوحدانية والأدلة

اي تبحة

متبعض يؤدي إلى القول بقدم العالم أو إلى القول بحدوث
الباري تعالى أو إلى القول بعدم الصانع للعالم ويؤدي إلى
إبطال دليل التوحيد **أما الأول** وهو أن القول بأنه
جسم مؤتلف متجزي يؤدي إلى القول بقدم العالم أو
حدوث الصانع وتقرير ذلك من وجهين أحدهما أنه
تعالى لو كان جسما مؤتلفا ذا أبعاض وأجزاء كما زعمت
اليهود والكرامية المجسمة لكان متناهيا وذلك باطل ولا وجه
إلى القول بعدم التناهي مع القول بأنه جسم متجزي لأن
كل جزء منه متناهي وخروج ما اجتمع من الأجزاء المتناهية
عن التناهي في الذات محال ولو جاز مع ذلك أن لا يكون
متناهيا لجاز كون العالم غير متناهي من جميع الجهات كما
تزعمه الدهرية وذلك محال باطل فصاروا بقولهم إنه جسم قايلين
بتناهيه فيثبت كونه على قدر مخصوص مع كون غيره من
الأقدار مساويا له في الكون عليه واختصاص أحد الجايزين
لن يثبت إلا بمخصص ۞ وبهذا استدل أهل الحق على إبطال
قول الدهرية لإثبات حدوث العالم ۞ والتقرير الثاني
أن ما كان متبعضا متجزيا لا بد من أن يكون على شكل
من الأشكال فيكون طويلا أو عريضا ۞ أو طويلا عريضا
وهو المسطح ۞ أو طويلا عريضا عميقا وهو المكعب وغير ذلك
من الأشكال ۞ ثم الكون على جميع الأشكال محال لما
فيها من التنافي والتضاد ولو جاز ذا في الغايب مع امتناعه
في الشاهد لجاز في الغايب اجتماع الحركة والسكون والسواد
والبياض والاجتماع والافتراق وحيث بطل هذا بطل الأول ۞
فلم يبق إلا أنه على شكل من هذه الأشكال وهيئة من الهيئات
ثم بعد ذلك إما أن يقولوا اختص بالثبوت بشكل من الأشكال

لا بتخصيص مخصص فلو جاز ذا لجاز في العالم ولم يثبت حدوثه
مع قيام دلايل الحدوث وبطل دليل افتقاره إلى صانع أوجده
وهو مذهب الدهرية وقد أقمنا الدلايل القاطعة على إبطاله
وخصمنا في المسئلة ساعدونا على ذلك ۞ وإما أن يقال
بأنه اختص بذلك بتخصيص مخصص فيكون قولا بكونه محدثا
محلا لقبول قدرة الغير وهو محال إذ المحدث لا يكون إلها
لما مر من بطلان ذلك بالبراهين العقلية والدلايل السمعية
التي قامت لثبوت الصانع القديم الواحد المتعالي عن الأشباه
والأمثال والأشكال بحيث لا يقع لمحة عين ولا لحظة
بصر على شيء في العالم إلا وهو يدل على وحدانية الصانع
وقدمه وكمال صفاته وتعاليه عن معاني خلقه
فثبت أن يكون القول بكون الباري جسما يؤدي
إلى القول بقدم العالم وتعطيل الصانع أو إلى القول بحدوث
الصانع وذلك محال وكل قول يؤدي إلى المحال
فهو محال **وأما الجواب عن تعلقهم بمتشابهات الكتاب**
من نحو قوله تعالى خلقت بيدي وقوله ولتصنع على عيني
وقوله الرحمن على العرش استوى وقوله أأمنتم من في السماء
وعن تعلقهم بمتشابهات الأخبار المروية من نحو ما روي
أن الصدقة لتقع في كف الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم
فلوه ۞ وما روي أن الجبار يضع قدمه في النار
فقال أهل الحق إن هذه الألفاظ الواردة في الكتاب
التي توهم ظواهرها التشبيه وكون الباري تعالى جسما
متبعضا متجزيا كلها محتملة لمعاني وراء ظواهرها
والحجج المعقولة التي بيناها غير محتملة والعقول من
أسباب المعارف وقد احتج بها أبو الأنبياء إبرهيم على قومه

لابطال ألوهية ما سوى الله تعالى بأمارات الحدث من الأفول
والتغير والانتقال بالذات من مكان إلى مكان وهو
قوله تعالى خبرا عنه في أفول الكوكب فلما أفل قال
لا أحب الآفلين تبرأ من ألوهية من ينتقل بالذات
من مكان إلى مكان ۝ وفي أفول القمر قال لئن
لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝ وفي أفول
الشمس قال يا قوم إني بريء مما تشركون جعل وصف
الرب بالانتقال بالذات من مكان إلى مكان ضلالا لا
وشركا وأخبر تعالى أنه قال لقومه أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون فأبطل ألوهية ما يقع عليه الصنع
ويكون على هيئة وشكل وقد سمى الله تعالى حجة العقل
التي احتج بها على قومه حجته بقوله وتلك حجتنا آتيناها
إبراهيم على قومه وفي حمل المتشابهات على ظواهرها على
ما توهمت المجسمة والمشبهة إثبات المناقضة بين الكتاب
وبين الدلائل المعقولة وهي كلها حجج الله تعالى وتعالى
الله عن تناقض حججه إذ من تناقضت حججه فهو سفيه
جاهل بمآخذ الحجج ومقاديرها والله تعالى حكيم لا يجوز عليه
السفه عالم لا يجوز عليه الجهل ۝ قديم لا يجوز عليه وصف
الحدث ۝ ولو حملت المتشابهات على ما يوافق حجج العقول
كان فيه إثبات الموافقة بين حجج الله تعالى السمعية
والعقلية وذلك عمل بما تقتضيه الحكمة البالغة فكان
حمل تلك الدلائل السمعية على ظواهرها محالا ممتنعا ۝
وكذى في حمل المتشابهات على ظواهرها إثبات المناقضة
بينها وبين الآيات المحكمات التي وصف الله تعالى بها نفسه
عن مماثلة العالم وأثبت لنفسه بها الوحدانية والربوبية فمنها

قوله تعالى مخاطبا لرسوله ولكل عاقل من خلقه قل هو الله أحد
نفى به عن ذاته العدد والتجزي ۝ وبقوله الله الصمد
نفى عن ذاته معاني الخلق ۝ وبقوله لم يلد نفى عن ذاته
مشابهة الأجسام وأشكالها إذ من يلد يكون جسما ۝
وبقوله ولم يولد نفى عن نفسه مشاكلة الخلق إذ الولد
يكون على شكل الوالد وبقوله ولم يكن له كفوا أحد
نفى عن نفسه مساواة شيء من الأشياء إياه وهو قوله ليس
كمثله شيء ثبت قطعا أن إرادة الجوارح والأعضاء
والتناهي والجسمية مستحيلة عليه ۝ ومن المحكمات
قوله تعالى إن الله لغني عن العالمين أثبت لنفسه الاستغناء
عن العالمين ۝ فدخل تحت هذا النص المحكم العرش
وما دونه ۝ ومنها قوله سبحان الله عما يشركون ۝ نفى
عنه بهذا النص مشاركة الغير إياه في التخليق ۝ وفي الصفة
وفي استحقاق العبادة فلا يشاركه شيء في ذات ولا صفة
ولا في شيء ما ۝ ومنها قوله سبحان الله عما يصفون ومنها
قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نفى عن نفسه
مماثلة العالم ومشابهته على المبالغة والتصريح فإنه
ذكره على نسق ذكر أقسام العالم فذكر ألوهيته
وربوبيته بقوله ذلكم الله ربكم ۝ ثم ذكر قهره وسلطانه
وقدرته بقوله فاطر السموات والأرض فدخل تحت قهره
وسلطانه بذكر السموات السموات وما فيها وما فوقها
من جميع المخلوقات ۝ ودخل تحت قهره وسلطانه بذكر
الأرض الأرض وما فيها وما تحتها ثم ذكر المقصود من
العالم وهم البشر الذين سخر لهم ما في السموات وما في الأرض
فقال جعل لكم من أنفسكم أزواجا وهم المشتملون على الأزواج

والأصناف والأشكال ثم ذكر ما جعل المنافعهم بقوله ومن
الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ۞ ثم ذكر عقيب ذكر
أقسام العالم تعاليه عن مماثلة شيء من أقسام العالم إياه
على المبالغة فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فمن حمل تلك المتشابهات على ظواهرها التي توهم
التشبيه والجوارح والأعضاء والجسمية التي نفتها هذه
المحكمات فقد أثبت المناقضة والمخالفة بين آيات الكتاب
وذلك منه نسبة السفه والجهل إلى منزلها حيث يجعل حجج الله
تعالى متناقضة مختلفة وذلك كفر ۞ وفيه أيضا نسبة الخطأ
والخلف إلى الله تعالى وهو أيضا كفر لأنه نفى الاختلاف
عن كتابه وكل ذلك وقع فيه المجسمي بهواه وخلافه
اتباع الحجج والبراهين وتركه الائتمار بأمر الله تعالى الذي
أمر به لإزالة ما يتراءى من الاختلاف من حيث الظاهر
وهو قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ۞ وقال كتاب
أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب
وإنما يزول الاختلاف عنه بالتذكر بالتدبر والتذكر
بنظر أولي الألباب فأطبق أهل الحق سلفهم وخلفهم على
نفي التشبيه والتجسيم والتبعيض والحدود والأعضاء
والاستقرار في مكان والانتقال بالذات من مكان إلى
مكان اتباعا للبراهين الساطعة والحجج السمعية القاطعة
وعلموا قطعا أن ما توهمت اليهود والمجسمة والمشبهة ۞
من الأوصاف المذكورة منفية عن الله تعالى وأنها ليست
بمرادة بظواهر تلك المتشابهات وأن لها معاني وراء
ظواهرها لائقة بتوحيد الله تعالى وصفاته ۞ ثم لعلماء أهل

السنة والجماعة في المتشابهات طريقان فطريق عامتهم ۞
الإمساك عن التأويل والاعتقاد بمراد الله تعالى مع نفي
التشبيه والتجسيم روى ذلك عن محمد بن الحسن رواه عنه
نصير بن يحيى البلخي عن عمر بن إسمعيل عن حماد بن أبي حنيفة
قال سيف الحق أبو المعين وإليه ذهب من أصحابنا
أبو عصمة سعد بن معاذ المروزي وإليه ذهب مالك بن أنس
إمام أهل المدينة .. وعبد الله بن المبارك ۞ وأبو معاذ
خالد بن سليمن صاحب سفيان الثوري ۞ وجماعة
أهل الحديث كأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه ومحمد
ابن إسمعيل البخاري ۞ وأبي داود السجستاني
وذكر القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد فقال روى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة
رحمة الله عليه أنه قال لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى
بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف نفسه ولا يقول
فيه برأيه شيئا تبارك رب العالمين قال أبو العلاء
وروي عن أبي مطيع البلخي قال قال أبو حنيفة رحمه الله
لا يوصف الله تعالى بصفة المخلوقين البتة بل يوصف
كما وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد حي قادر سميع بصير عليم يد الله فوق أيديهم ليست
كأيدي خلقه وليست بجارحة وهو خالق الأيدي ۞
ووجهه ليس كوجوه خلقه وهو خالق الوجوه ونفسه ليست
كأنفس خلقه وهو خالق النفوس ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير ۞ وروى حماد بن أبي حنيفة عن أبيه
أبي حنيفة أنه قال ما الأمر إلا ما جاء به القرآن ودعا إليه
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه أصحابه رضي الله عنهم حتى

تفرق الناس فأما ما سوى ذلك فمبتدع محدث **وأما المتشابهات الخبرية** فما صح ورودها بالتواتر فالسبيل فيها ما مر ذكره من متشابهات الكتاب نؤمن بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مع نفي ما توهمت المجسمة من ظواهرها ونعلم قطعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصف الله تعالى بخلاف ما وصف الله تعالى نفسه بالمحكمات التي مر ذكرها ۞ وبعض العلماء اشتغلوا بصرف متشابهات الكتاب والأخبار إلى ما تحتمل من الوجوه التي لا تناقض دلائل العقول والآيات المحكمات ۞ وذكر سيف الحق أبو المعين في تعلقهم بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وبقوله أأمنتم من في السماء ۞ وبقوله إن ربك لبالمرصاد وفي آية أخرى ما يكون من نجوى ثلثة إلا هو رابعهم فقال أئمة الهدى لا وجه إلى إجرائها على ظواهرها ۞ فإنه لا وجه إلى القول بأنه تعالى على العرش وأنه في السماء وأنه بالمشرق عند المتناجين بهذا النص وبالمغرب والروم والهند والزنج والعراق بل في كل بلدة وقرية في حالة واحدة في هذه الأمكنة بالذات على ما توهمت المجسمة أنه على العرش مستقر فيكون مستقرا على العرش بالذات حملا على ظاهر اللفظ ۞ وأنه في السماء بذاته على ظاهر قوله أأمنتم من في السماء إذ السماء تحت العرش وسماء الدنيا تحت العرش وتحت ست سموات ولا يمكن الإجراء على ظاهر قوله إنه بكل شيء محيط أن يكون محيطا بكل شيء من جوانبه الأربعة كإحاطة الحقة لما في الحمل على الظواهر من الاستحالة في القول بالحركة والحلول ومن الكون تحت العرش وتحت السموات

ومن الانتقال بالذات وقد أبطل إبرهيم الوهية من ينتقل بالذات من مكان إلى مكان ۞ ومن استحالة كون شيء واحد في أمكنة كثيرة بالذات وليس من يجري بعض هذه الآيات على الظاهر ويصرف ما وراءها إلى ما عنده من التأويل بأولى من صاحبه الذي يرى في تعيين المكان خلاف رايه خصوصا على مذهب من منع من التأويل والصرف عن الظاهر فإن رجح أعلى الأمكنة مع منع المحكمات والبراهين القطعيات من الحلول بالمكان صار تاركا قوله أأمنتم من في السماء وغيره من النصوص المذكورة فيكون تاركا للعمل بظواهر المتشابهات ومخالفا معاندا للآيات المحكمات التي تعبد الله تعالى الخلق بها عملا واعتقادا ومعاندا للحجج العقلية التي احتج بها إبرهيم على قومه وسماها حجته ۞ ولذلك وقعت المجسمة في هذه المناقضات الفاحشة التي تقدم ذكرها ۞ فإذا ظهرت صحة ما ادعى أهل الحق من تعذر حمل المتشابهات على ظواهرها وظهر وجوب صرفها إلى موافقة المحكمات وبالله التوفيق والعصمة ۞ ثم السلف في قوله الرحمن على العرش استوى يقولون إنه تعالى استوى على العرش كما قال ولا ندعي في استوايه كما ادعت اليهود والمجسمة من الاستقرار والجلوس والحلول والحركة والانتقال بالذات من مكان إلى مكان ۞ وكذى في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده قال سيف الحق وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن اجرايها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل آية على ما ذكرنا عنهم وبين السلف الاختلاف في الألفاظ التي

القول في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى

يطلقون فيها كل ذلك لاختلاف منهم في العبارة مع اتفاقهم جميعا
في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيز بجهة
ومن اشتغل منهم بتأويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله
وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أراد به ثبوت الوهيته
في السماء لا ثبوت ذاته ∴ وكذى هذا في قوله وهو الله
في السموات وفي الأرض أي الوهيته فيهما لا ذاته ∴ وكذى
في قوله أأمنتم من في السماء الوهيته إلا أن الوهيته أضمرت
بدلالة ما سبق من الآيات وقوله ما يكون من نجوى ثلثة إلا
هو رابعهم أي يعلم ذلك ولا يخفى عليه شيء وقوله ونحن
أقرب إليه من حبل الوريد أي بالسلطان والقدرة ∴ وكذى
القول بأنه فوق كل شيء أي بالقهر على ما قال تعالى وهو
القاهر فوق عباده وقالوا في قوله إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح إن الله تعالى جعل ديوان أعمال العباد في السماء
والحفظة من الملائكة فيها فيكون ما رفع إليه هناك
رفعا إليه وهذا كما في قوله ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا
تبصرون ∴ وقوله وأنتم حينئذ تنظرون قالوا ملك الموت
وأعوانه ∴ والمجسمة لا يمكنهم أن يقولوا إنه بالذات
عند كل محتضر ولا أن يقولوا إنه بالذات في السماء لما
يلزمهم القول بجعله تحت العرش وتحت عدد من السموات
فوقعوا بهواهم في مثل هذه المناقضات الفاحشة فيكون
معنى قوله إليه يصعد الكلم الطيب كما في قوله تعالى
خبرا عن ابرهيم صلوات الله عليه إني ذاهب إلى ربي
سيهدين أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه ∴
وقالوا في قوله إن الذين عند ربك يعني الملائكة أن المراد
منه قرب المنزلة لا قرب المكان كما قال في موسى وكان عند

الله وجيها ∴ وقال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب
أولي الأيدي والأبصار قال المفسرون وأئمة الهدى أي
أولوا القوة في الدين والبصارة في الأمر ولم يفهم أحد من السلف
والخلف منه الأيدي الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة
بالأبصار الجارحة والأيدي الجارحة فكيف فهمت المشبهة
من قوله خلقت بيدي اليدين الجارحتين ∴ ومن قوله
ولتصنع على عيني العين الجارحة ∴ ومن الخبر المروي
إن الصدقة تقع في كف الرحمن مع قوله تعالى ليس كمثله
شيء وقوله ولم يكن له كفوا أحد وقوله سبحان الله عما
يصفون وقوله إن الله لغني عن العالمين ∴ فما فهموا من
تلك المتشابهات إثبات الجسم والجوارح والصورة إلا لخبث
عقيدتهم وسوء سريرتهم وبالله العصمة من الخذلان ∴
وأما قول المجسمة إن الموجودين القائمين بالذات
كل واحد منهما بجهة من صاحبه فيقال لهم الموجودان
القائمان بالذات كل واحد منهما في الشاهد يجوز أن يكون
فوق صاحبه والآخر تحته أتجوزون هذا في الغائب فإن
قالوا نعم تركوا مذهبهم فإنهم لا يجوزون أن يكون الباري
تحت العالم وإن قالوا لا أبطلوا دليلهم ∴ فإن قالوا إن
جهة تحت جهة ذم ونقص ∴ قيل لهم فإذا أثبتم التفرقة
بين الشاهد والغائب عند وجود دليل التفرقة وهو استحالة
النقيضة على الغائب فكذا فيما نحن فيه وجد دليل التفرقة
وهو إيجاب الحدوث وهو ممتنع على الغائب ∴ ثم قولهم
إن جهة تحت ذم ونقيصة غير مسلم في الشاهد فإنه
لا رفعة في علو المكان إذ كم من حارس فوق السطح
والسلطان في البيت ∴ وكم من طليعة وسقاط الرعية

على قُلّة الجبل والسلطان فيما أُهبط منه ثم يقال لهم كل قائم
بالذات في الشاهد جوهر وكل جوهر قائم بالذات أفتستدلون
بذلك على أن الغائب جوهر فإن قالوا نعم تركوا مذهبهم والتحقوا
بالنصارى ∴ وإن قالوا لا انتقضوا دليلهم ∴ ثم إنما تجب
التعدية إلى الغائب إذا تعلق أحد الأمرين بالآخر تعلق العلة
بالمعلول كما في العلم والعالم والحركة والمتحرك ∴ ثم
لا يقتصر على مجرد الوجود بل بشرط أن تستحيل إضافة كونه
عالما إلى شيء وراء العلم فنعلم أنه كان عالما لأن له علما
فوجبت التعدية إلى الغائب والجوهرية مع القيام بالذات
وإن كانا لا ينفكان في الشاهد ولكن لما لم يكن جوهرا
لقيامه بالذات بل لكونه أصلا يتركب منه الجسم لم تجز
تعدية كون الموجود جوهرا بتعدي كونه قائما بالذات
إلى الغائب ولا تعدية كون الموجود جسما بتعدي كونه
قائما بالذات إلى الغائب وإذا كان كذلك لم يكن وجود
كل واحد منهما بجهة من صاحبه في الشاهد علة للوجود إذ
لو كان علة للوجود لكان الموجود القائم بالذات بالجهة
وإن لم يكن معه غيره ولكان الباري في الأزل
بجهة لأنه كان موجودا قائما بالذات وهذا محال ∴
فإن الباري قديم لم يزل ولم تكن الجهات موجودة في الأزل
ولأن الجهة لا تثبت إلا باعتبار غير ألا ترى أن الجهات
كلها محصورة على الست وهي فوق وتحت وخلف وقدام
وعن يمين وعن يسار ∴ وكل جهة منها لن يتصور ثبوتها
إلا بمقابلة غيرها والكل يتركب من الفرد فكان كل فرد من
الجهات لن يتصور إلا بين اثنين ∴ فكان تعليق الجهة بالوجود
والقيام بالذات جهلا بالحقائق مع أن كل واحد من الموجودين

يثبت باعتبار نفسه دون غيره ∴ والجهة لا تثبت إلا باعتبار الغير
وأما قول الخصوم إن نفي المذكور عن الجهات قول
بعدمه لأن ما لا جهة له لا يتصور وجوده والجواب
إن هذا قول صدر عن الجهل بمعرفة القديم والمحدث فإنهم
ساعدوا أهل الحق في عدم الجهات في الأزل وفي أزليته
القديم ولا جهة فمن أين هذا التجاهل أن ما لا جهة له
لا يتصور وجوده نعوذ بالله من الخذلان وأجاب
بعضهم فقالوا إن النفي عن الجهات كلها إنما يوجب
عدم من كان محدودا منحصرا في الجهات فأما من كان
موجودا قديما لم يزل ولا جهة فلا ينصرف إليه النفي وهذا
معنى قول فقهاء الملة فإن ربنا جل وعلا موصوف
بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه
أحد من البرية تعالى الله عن الحدود والغايات إلى قولهم
لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ولأن من لم
يرض عقله في التفكر والتدبر والنظر في الدلائل يظن أن
صانعه بجهة منه لما لا يعرف أن التحيز بجهة من أمارات
الحدث وأنها منفية عن القديم ولما يرى أن صفاء الأجرام
العلوية وتشرف الأجسام النيرة في الحس يظن جهلا أنه تعالى
لا بد من كونه بتلك الجهة ∴ وبإهمال النظر في الدلائل الدالة
على الحدث والقدم عبد قوم من الكفرة الأجرام النيرة من
الشمس والقمر والكواكب ∴ وبالنظر والتأمل في دلائل
الحدث ودلائل القدم تبرأ إبراهيم صلوات الله عليه من الوهية
من يأفل ويتنقل بالذات على ما أخبر الله تعالى في كتابه
وسمى ذلك محجته ثم قال إني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والأرض حنيفا ∴ وأما العارفون بالقرين بين

الجائز والممتنع فهم يبنون الامر على الدليل دون الوهم وقد قام
عندهم الدليل القاطع بأن الجهات محدثة وأن صانع العالم
قديم لم يزل ∴ وأن الجهات صفات للعالم وهي محتوية
عليه وتعالى القديم الحكيم عن أن يكون محصورا بشيء ∴
وقد تعلقوا أيضا برفع الأيدي إلى السماء عند المناجاة والدعاء
وهذا تعلق باطل لما ليس في ذلك دليل كونه تعالى في تلك
الجهة ∴ هذا كما أنهم أمروا بالتوجه في الصلوة إلى الكعبة
وليس هو في الكعبة ∴ وأمروا برمي أبصارهم إلى مواضع
سجودهم حالة القيام في الصلوة بعد نزول قوله تعالى قد أفلح
المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون بعد ما كانوا
يصلون شاخصة أبصارهم نحو السماء ولم يدل ما أمروا برمي
أبصارهم إلى مواضع سجودهم أنه في الأرض ∴ وكذى حالة
السجود أمروا بوضع الوجوه على الأرض وليس هو تحت
الأرض ∴ وقد أمر الله تعالى بالسجود والاقتراب ∴ وورد
الخبر أقرب ما يكون العبد من الله تعالى إذا كان ساجدا
ولم يدل ذلك على قرب الذات ولا على كونه تعالى تحت
الأرض فكذا هذا بل هو تعبد ∴ وكذى المتحري يصلي
إلى المشرق واليمن والشام وليس هو تعالى في هذه الجهات
بل هو تعبد ويقال إن العرش جعل قبلة للقلوب عند
الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة للوجوه في حالة الصلوة ∴
وتعلقت المجسمة أيضا بلفظة الانزال والتنزيل ∴
والجواب عن ذلك إن ذلك منصرف إلى الآتي
بالقرآن وهو جبريل صلوات الله عليه كان ينزل
من جهة العلو لما أن مقامه كان بتلك الجهة فأما القرآن
فلا يوصف بالانتقال من مكان إلى مكان وإنما تجبه ظهوره ∴

وتعلق المجسمة بأنهم لم يجدوا في الشاهد حيا قادرا عالما فاعلا إلا
جسما فيوصف بأنه جسم باطل فيقال لهم إنكم لم تجدوا في الشاهد
حيا قادرا عالما فاعلا إلا ما هو لحم ودم متناه من الجهات الست
محل قابل للآفات أفتشترطون هذا في الغائب فإن قالوا
نعم فقد انسلخوا من الدين وإن قالوا لا أبطلوا دليلهم ∴ ولأن
استدلالهم بالشاهد هاهنا دعوى بلا برهان لأن كون
الموجود جسما في الشاهد لو كان متعلقا بكونه حيا قادرا
فاعلا لتعلق العلل بالأحكام لما احتمل الانفكاك بينهما
إذ لا انفكاك بين العلل العقلية وبين أحكامها كما في الحركة
مع كون محلها متحركا والسواد مع كون محله عالما
أسود والعلم مع كون محله عالما إذ لا حركة إلا بمتحرك
ولا سواد إلا بأسود ولا علم إلا بعالم ∴ وحيث رأينا أجساما
ليست بحية ولا قادرة ولا عالمة ولا فاعلة وهي الجمادات
علم أن كونه جسما لم يتعلق بكونه حيا قادرا عالما فاعلا تعلق
العلل بالأحكام فلم يبق إلا مجرد الوجود فبطل تعديته بمجرد
الوجود وهكذى شأن الباطل يتعلق أهله بشبهات تتلاشى
وتضمحل عند السبر والتأمل فثبت بالأدلة القاطعة أن ‏السبر الامتحان
الله تعالى ليس بعرض ولا جوهر ولا جسم وأنه لا مشابهة بينه
وبين شيء من المحدثات **ثم الكلام في معرفة حد المشابهة**
قالت الأشعرية إن المتشابهين والمثلين هما غيران
يسد كل واحد منهما مسد صاحبه ودليل تقييد الحد بالمغايرة
أن الشيء لا يشبه نفسه ولا يماثله فدل أن ذلك بين المتغايرين
وإنما قالوا يسد كل واحد مسد صاحبه لأن ما لا يسد مسد
صاحبه لا يعد مثلا له وإن كانت بينهما موافقة في أوصاف
كثيرة كالسواد مع البياض فإنهما ليسا بمثلين وإن

كان كل واحد منهما موجودا وعرضا ولونا فدل أنه لا مماثلة
بينهما مع ثبوت المخالفة بوجه من الوجوه ❊ وقال أبو
هاشم وأبو بكر بن الأخشيد من المعتزلة إن المشتبهين هما
المشتركان في أخص وصف فقالا لا سواد مماثلة بين السواد
مع البياض مع اشتراكهما في الوجود وفي كونهما عرضين
ولونين لما أن هذه الأوصاف عامة وبين السوادين
مماثلة لاشتراكهما في أخص أوصافهما ∴ وأبو العباس
أحمد بن إبرهيم القلانسي الرازي من متكلمي أهل الحديث
يقول إن المحدثين يشتبهان في الحدوث من حيث هما
محدثان وإن اختلفا بعد ذلك في أوصاف سوى الحدوث
والشيخ أبو منصور ربما يميل إلى هذا في خلال كلامه ∴
وذهب كثير من المتفلسفة إلى أن التشابه يقع بالاشتراك
في أوصاف الإثبات دون السلب ∴ فزعموا أنه لا يطلق
على الباري تعالى من الأسماء والصفات إلا ما طريقه السلب بلغ
دون الإيجاب فزعموا أنه لا يقال إنه موجود بل يقال
إنه ليس بمعدوم ولا يقال إنه حي عالم قادر ولكن يقال
ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز ∴ قال سيف
الحق أبو المعين في أصوله وساعدهم على هذا الهذيان الباطنية
فيقال لهم هل للعالم صانع فإن قالوا لا فقد أظهروا ما هو
مكنون سريرتهم من تعطيل الصانع ونفيه ∴ وإن قالوا
نعم قيل لهم من هو وبأي شيء نعرفه وبأي شيء نصفه ومن
الموصوف بالوحدة عندكم ∴ ومن الذي به بدو العالم
العلوي والسفلي ∴ ومن الذي أبدع العقل والنفس
فسميتموهما المبدع الأول والمبدع الثاني فإن أجابوا
بشيء هدموا أصلهم ∴ وإن سكتوا كفينا مؤونة مجادلتهم ∴

ثم نقول لهم إن المماثلة ليست بمأخوذة عن إطلاق
الاسم والقول بل هي ثابتة في المعنى وإن لم يطلق عليه
قول فإنا إذا رأينا شيئين متماثلين عرفنا تماثلهما وإن لم
نسمع قولا يطلق عليهما ∴ وإذا رأينا غير متماثلين عرفناهما
غير متماثلين وإن أطلق عليهما قول واحد وهذا لأن
الأسامي دلالات على حقائق المسميات وأحوالها
وأوصافها والدليل لا أثر له في المدلول إلا بالإظهار فأما
الوجود أو التغير فلا يتعلق بالدليل ∴ ألا ترى أنا لو رأينا
بياضين فسمينا أحدهما باسم والآخر باسم لا يثبت بينهما مخالفة
بمخالفة الاسم ولا تزول المماثلة الثابتة بينهما بمخالفة الاسم
ولو سميناهما مختلفين أو متضادين باسم واحد لا يوجب التماثل
بينهما ولا ترتفع المخالفة الثابتة ليصيرا متماثلين من جميع
الوجوه ثم يقال لهم هل بين من تنسبون إليه ثبوت العالم
وبين العالم مماثلة في المعنى فإن قالوا نعم أثبتوا التشبيه
في المعنى بعد ما امتنعوا في الاسم ∴ وإن قالوا لا قلنا قد ساعدتم
خصومكم ثم نقول لهم إن الموجود منا موجد والعالم
منا مستدل أو مضطر والله تعالى موجود بلا موجد
وعالم ليس بمستدل ولا مضطر فإن قولنا إنه موجود
لا يتعرض لكونه موجدا ولا قولنا عالم يتعرض لكونه
مستدلا ولا مضطرا وقد ارتفع المماثلة لانعدام ما به تقع المماثلة
فدل أن ما ذهبوا إليه باطل ∴ ثم مع هذا يلحق بالاسم المشترك
ما يوجب نفي ما يسبق إلى توهم المماثلة وإن لم يكن اللفظ
متعرضا لذلك صيانة منا لأوهام من لا دربة له بالحقائق
فنقول هو موجود لا كالموجودين ∴ حي لا كالأحياء
عالم لا كالعلماء وكذا في جميع الصفات وأبو حنيفة رحمه الله

هو السابق الى هذه النصيحة لعامة الخلق ثم اتبعه علماء الاصول
على ذلك قال سيف الحق ابو المعين ثم اعلم بانا لا ن
نقول ما تقوله الاشعرية ان لا مماثلة الا بالمساواة من
جميع الوجوه بل نقول يجوز الشيء مماثلا لشيء من وجه
مخالفا من وجه فانا نجد اهل اللغة لا يمتنعون من القول
بان زيدا مثل لعمرو في الفقه او في الطب اذا كان
يساويه فيه ويسد مسده في ذلك الباب وان كانت بينهما
مخالفة بوجوه كثيرة ∴ ولذا في الطول والقصر والشجاعة
والجبن وغير ذلك ∴ وكذى قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحنطة بالحنطة مثل بمثل واراد به الاستواء في الكيل دون
الوزن وعدد الحبات والصلابة والرخاوة واشباه ذلك ∴
تحققه ان المماثلة اسم جنس يشتمل على انواعه ∴ وانواعه
اربعة ∴ النوع الاول المشابهة وهي جارية في الحقيقة
في نوع من الكيفية على صورة واحدة كاشتراك ذاتين
في قبول الالوان وغيرها من الاعراض ∴ والثاني المضاهاة
وهي جارية في الحقيقة في نوع من الاضافة كاشتراك زيد
وعمرو في النسبة الى خالد اذا كان ابا لهما ∴ والثالث
المشاكلة وهي في الحقيقة جارية في نوع من الجوهر على
رتبة واحدة كثوبي قطن وثوبي كتان كل واحد منهما
من شكل صاحبه ∴ والنوع الرابع المساواة وهي في الحقيقة
جارية في نوع من الكمية على مقدار واحد كخشبين او
ثوبين كل واحد منهما عشرة اذرع او صبرتين من حنطة
كل واحدة منهما عشرة اقفزة ∴ او زبرتين من حديد كل
واحدة خمسة امناء كذى ذكر سيف الحق عن بعض من
له علم بالحقايق ∴ واذا كانت المماثلة اسم جنس وتحته

هذه الانواع ∴ ثم لا شك ان اطلاق اسم الجنس على كل
نوع من انواعه جايز فان الآدمي يقال له حيوان وكذى
جميع انواعه من الدواب والسباع والطيور يجوز اطلاق
اسم المثل على كل هذه الانواع بالحيوانية ∴ ثم قد تختص
شيئان بثبوت المساواة بينهما وهي الاشتراك في القدر
مع انعدام المشاكلة والمضاهاة والمشابهة ∴ وكذا كل
نوع مع ساير انواعه ∴ ولا شك ان عند انعدام الانواع الاخر
تثبت المخالفة من ذلك الوجه ∴ ومع ذلك لا يمتنع اهل اللغة
عن اطلاق اسم المماثلة ∴ تحققه ان علماء الاصول استدلوا
على المشبهة في نفي التشبيه فقالوا لو كان الله تعالى مثلا
للعالم اما ان كان مثلا له من جميع الوجوه او كان
مثلا له من وجه دون وجه فلو كان مثلا له من جميع
الوجوه كان القديم محدثا من جميع الوجوه .. او كان
العالم قديما من جميع الوجوه لان العالم بجميع وجوهه محدث ∴
والقديم تعالى قديم بجميع اسمايه وصفاته ∴ ولو كان
مثلا له من وجه دون وجه لكان القديم محدثا من ذلك
الوجه وكان العالم قديما من ذلك الوجه لان العالم
من ذلك الوجه محدث والباري قديم وهذا يبين صحة
ما قلنا ان المماثلة بجهة تثبت مع المخالفة بجهة اخرى
عند ارباب الاصول واهل اللغة وجميع العقلاء ∴ وقد تقدم
ذكر الحجج السمعية الموجبة للعلم قطعا بانتفاء المماثلة بين
الله تعالى وبين شيء من العالم على الاستقصاء والمبالغة
والاصل في هذا كله ان دلايل ثبوت الصانع ووحدانيته
وقدمه قد ملأت السماوات والارضين وجميع اجزاء
العالم بآيات الصنع والتدبير حتى لا يرى شيء من اجزاء العالم

صغرا أو كبر جل أو دق ظهر أو استتر إلا وهو يشهد بخلقته
بأن له صانعا واحدا قديما قادرا عالما سميعا بصيرا مدبرا حكيما
كونه وأوجده ودبره وصنعه فقلنا بثبوته وقدمه
ووحدانيته وهذا كما أخبر الله تعالى عن جواب رسله
عليهم السلام حسما لشك الكفرة حين قالت إنا لفي شك
مما تدعوننا إليه بقوله قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر
السموات والأرض فكما لا شك ولا ريب في وجود السماء
والأرض وما بينهما من الموجودات موسوما بسمات ٥
الحدث والمصنوعية من التأليف والتركيب والتغيير
فكذلك لا شك في وجود الصانع وثبوته وكما قال إنه
لحق مثل ما أنكم تنطقون وكذلك قامت البراهين
العقلية والحجج السمعية على استحالة ثبوت أمارات الحدث
من المكان والجهة والجسمية وغيرها في حق القديم تعالى
فنفينا ذلك كله عنه لما في إثباتها إثبات حدوث القديم
أو بطلان دلايل الحدث وقد قررنا الدلايل القطعية في
مواضع كثيرة ∴ أن إثبات حدوث القديم محال ٥
باطل ∴ وكذلك بطلان دلايل الحدث محال باطل
فوجب العلم قطعا ويقينا بأن الله تعالى واحد قديم
حي قادر عالم سميع بصير مريد مدبر حكيم لم يزل قديما
بأسمايه وصفاته وأنه كان ولا مكان ولا جهة ولا
زمان وأنه لم يزل غنيا بنفسه عن كل شيء يكون
أبد الآبدين كما أخبر بقوله إن الله لغني عن العالمين
وأنه موصوف بما وصف به نفسه هو الله أحد الله الصمد لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ∴ ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ∴ وأنه يرى يوم القيمة في الجنة كما وعد وأخبر

بغير إحاطة ولا كيفية كما يعرف في دار المحنة بلا إحاطة
ولا كيفية فيبطل قول منكري جواز الرؤية لثبوتها بالدلايل
الموجبة ∴ وكذلك يبطل قول المجسمة والمشبهة في
في إثباتهم الحاجة إلى المكان والجهة وإثباتهم التجسيم ٥
والتشبيه بالدلايل القطعية ∴ ثم عرفته الله تعالى بهدايته
وتوفيقه ثبتت بالبراهين الساطعة والحجج السمعية القاطعة لا
بالأوهام ولا بمجرد الأفهام بالرأي إذ هما يوقعان في التعطيل
تارة وفي التشبيه تارة ∴ فإن العقول وإن كان تعرف بها
حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته وقدمه لكنها تقصر
عن الحكم البشرية فكيف تحيط بالحكم الربوبية فإن الله تعالى
أثبت في نفس كل عاقل معاني خارجة عن الوهم بخروجها عن
درك الحواس ويعلم وجودها وثبوتها على وجه لم يكن للشك
فيه مدخل لثبوت آثارها وتحقق وجودها كالعقل والروح
والسمع ∴ والبصر ∴ والشم فإن ثبوت هذه الأشياء متحقق ٥
والأوهام والعقول عن الإحاطة بماهيتها قاصرة لخروجها
عن الحواس المؤدية صور محسوساتها إلى الفكرة لتصير حجة
على كل من أنكر الصانع مع ظهور الآيات الدالة على ثبوته ووجوده
لخروجه عن التصور في الوهم وليعلم أن لا مدخل للوهم في معرفة
ثبوت الأشياء الغايبة عن الحواس ومن أراد الوصول إلى
ذلك بالوهم ونفى ما لم يتصور فيه مع ظهور آيات ثبوته فقد عطل
الدليل القايم لانعدام التصور في الوهم الذي لا يصلح دليلا فيصير
كمن أنكر وجود البياض لانعدام دركه بالسمع بالأذن
مع معاينته بالبصر وجهالة من هذا فعله لا يخفى على الناس فكذا
هذا يجب اتباع الدليل الثابت بالنقل سواء وصل إليه الفهم أو
لم يصل ∴ ومن ذلك النقل المثبت للرؤية في دار الكرامة حتى

روي في غير خبر الزيادة المذكورة في قوله تعالى للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة هي النظر إلى الله تعالى ولا تفهم الرؤية من الزيادة
المذكورة بنفس الصيغة فدلت ورود الروايات على أنها هي
النظر إلى الله تعالى وكان أمرا ظاهرا بين السلف ∴ وهذا
في الحاصل استند لا لنا بإجماع الصحابة وشيوع القول بالرؤية
فيهم قال سيف الحق أبو المعين وذكر الشيخ أبو عبد
الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في تصنيف له سماه مسئلة في
سلوك أهل العدل بين المشبهة والمعطلة فقال اتفقت
على حديث الرؤية عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم كلهم أئمة ∴ منهم عبد الله بن عمر وعبد الله
ابن مسعود ∴ وعبد الله بن عباس وصهيب وأنس بن مالك
وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة ∴ وأبو سعيد الخدري وعمار
ابن ياسر ∴ وجابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل ∴ وثوبان
وعمار بن رويبة الثقفي وحذيفة عن أبي بكر الصديق رضي
الله عنه ∴ وزيد بن ثابت وجرير بن عبد الله وأبو أمامة
وبريدة الأسلمي وأبو برزة وعبد الله بن الحرث بن جزء
الزبيدي كلهم رووا في إثبات الرؤية عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمن رد هذا فقد قصد تكذيب هؤلاء قال
أبو المعين في كتاب تبصير الأدلة الترتيب يقتضي إثبات
جواز الرؤية أولا بالدلائل العقلية ثم الثبوت بالدلائل
السمعية إلا أنا قدمنا الدلائل السمعية لما أن فيها الثبوت
والجواز جميعا فمن اكتفى بها كان كافيا له ولا يحتاج
إلى الخوض في الدلائل العقلية قال سيف الحق أبو
المعين في أصوله ومن رام الخوض في الدليل المعقول الذي
اعتمد عليه المتأخرون من أصحابنا رحمهم الله فهو أن

العلة المطلقة للرؤية في الشاهد هي الوجود فإن كل موجود
رؤيته ممكنة جايزة ∴ ودليل ذلك أنا نرى الجواهر والألوان
والأكوان وهي الحركة والسكون والقرب والبعد
والاجتماع والافتراق وقد وافق الجبائي من المعتزلة
على رؤية هذه الأشياء ووافق ابنه أبو هاشم على رؤية بعض
الأعراض أيضا وهي الألوان ووافق النظام منهم على رؤية
الألوان غير أنه ادعى أنها أجسام لأن عندهم لا يرى إلا الجسم
وادعاؤه أنها أجسام ممنوع بل هي أعراض لوجود حد العرض
فيها فإن الحركة عرض بالإجماع وكانت عرضا لاستحالة
قيامها بذاتها واستحالة بقائها وهذا هو حد جميع الأعراض فبطل
تعليقه جواز الرؤية بالأجسام حيث لزمه بالدليل جواز رؤية
ما ليس بجسم ∴ ثم الدليل مع هذا على ثبوت رؤية الأعراض
هو التمييز بالبصر بين الأسود والأبيض ∴ وبين المجتمعين
والمفترقين من غير قيام السواد والبياض والاجتماع والافتراق
بآلة الرؤية وهو البصر ولم يعرف كون الجواهر مرئية إلا
بالتمييز بالبصر بين أجناسها فكانت مرئية ولو لم تكن
مرئية لعرف وجود الجوهر وكان لا يتوقف على كونه متحركا
أو ساكنا أو مجتمعا أو مفترقا كما لا يتوقف على الطعوم
والروايح بمجرد الرؤية لانعدام تعلق الرؤية بها على ما أجرى
الله تعالى العادة وإن كانت مرئية عندنا لكونها موجودة إذا
خلق الله تعالى للعبد رؤيتها ∴ والدليل على أن الجواهر مرئية
موافقة جميع المعتزلة إيانا على ذلك فيغنينا الإجماع عن
إقامة البرهان على ذلك ∴ وإذا ثبت رؤية الجواهر والألوان
والأكوان فنقول لا بد من سبر الأوصاف لتتبين العلة المجوزة
للرؤية ∴ من الأوصاف الاتفاقية ثم نعدي بتلك العلة

من الشاهد الى الغايب اذ التعدية تكون باوصاف العلة لا باوصاف
الوجود اتفاقا فنقول ـــــ وبالله التوفيق لا جايز ان يكون
المرئي في الشاهد مرئيا لكونه جسما لثبوت رؤية الالوان
والاكوان بالدليل وهما ليسا بجسم ∴ ولا جايز ان يرى
لكونه عرضا لثبوت رؤية الجسم وليس هو بعرض ولا
جايز ان يرى لكونه لونا لثبوت رؤية ما ليس بلون وهو
الجوهر والكون ∴ ولا جايز ان يرى لكونه ملونا او متلونا
لثبوت رؤية الالوان والاكوان وليست هي بمتلونة
لاستحالة قيام اللون بها ∴ ولا جايز ان يرى لكونه قايما
بالذات او لكونه موصوفا لثبوت رؤية اللون والكون وليسا
قايمين بذاتيهما ولا موصوفين بصفة تقوم بهما ولو علق
الخصوم الرؤية بالقيام بالذات او بالكون موصوفا سلمت لنا
المسئلة لان اوايل اصحابنا كانوا يعلقون الرؤية بالقيام
بالذات ∴ ولا جايز ان يرى لكونه معلوما او مذكورا
لان المعدوم معلوم ومذكور وليس بمرئي ∴ ولو علقوا
الرؤية بكونه معلوما او بكونه مذكورا لزمتهم المسئلة ∴ ولا
جايز ان يرى لكونه محدثا لان من المحدثات ما يستحيل
رؤيته لان عند اوايلهم ما سوى الجسم من الموجودات مستحيل اي المعتزلة
الرؤية وهي محدثة ∴ ولا جايز ان يرى لكونه باقيا لانها
لو تعلقت بالباقي ثبت ما ادعينا لان الله تعالى باق وقد
ثبتنا بالدليل رؤية الالوان والاكوان وهي اعراض ويستحيل
بقاؤها عندنا واذا اندفعت هذه الوجوه تبين ان جواز الرؤية
كان متعلقا بالوجود والله تعالى موجود واجب الوجود
والرؤية اثبات الموجود فكان جايز الرؤية بالعقل ∴ ثم
عرفنا ثبوتها للمسلمين في دار الكرامة بالدلايل السمعية الموجبة

للعلم ولا يقال ـــــ ان كثيرا من الموجودات لا تتعلق بها
الرؤية كالقدر والارادات والعلوم والطعوم والروايح
لانا نقول ـــــ ان التعليل وقع لجواز الرؤية لا للوجوب
وهذه الاشياء جايزة الرؤية اذا خلق الله تعالى رؤيتها ولم
يخلق ضد رؤيتها فان وجوب الرؤية بتخليق الله تعالى
الرؤية في آلة الرؤية فاذا خلق الرؤية للشيء يرى ذلك
وان لم يخلق الرؤية لا يرى ∴ ولا يخرج الشيء من ان
يكون مرئيا وهذا كما ان الله تعالى لو خلق للانسان
العلم بشيء من الاشياء علم ذلك الشيء ولو لم يخلق له العلم
بقي ذلك الشيء مجهولا ولم يخرج من ان يكون معلوما فكذى
هذا ∴ فان قالوا فعلى قود كلامكم هذا يجوز ان يكون
ها هنا بحضرتنا فيلة عظام وبوقات ينفخ فيها واعلام منشورة
وفرسان تجول ولم يخلق فينا الرؤية والسمع فلم نقف
على ذلك وركوب مثل هذا خروج عن المعقول ـــــ قلنا
لهم شيء مما ذكرتم ليس بلازم فان الرؤية لما كانت معنى
في الالة يخلقه الله تعالى عند فتح الانسان العين لا
محالة بلا خلاف بيننا وبين المعتزلة ∴ فاذا كانت الرؤية
معنى في العين بتخليق الله تعالى عرف ذلك بالاجماع والله
تعالى يخلق ما يخلق باختياره فمن الجايز ان لا يخلق الرؤية
فلا نرى ∴ وان لم يكن بين الرائي والمرئي حجاب
لانعدام الرؤية ∴ غير ان الله تعالى اجرى العادة ان يخلق
ضد الرؤية عند وجود السواتر نظرا للعباد ليمكنهم اخفاء ما لا
يعجبهم اطلاع غيرهم عليهم بتحصيل السواتر ∴ فيحصل ضد الرؤية
في الالة فلا توجد تلذي في هذه الاشياء التي ذكروها من الطعوم
والروايح والقدر ∴ والذي يحقق هذا كله ثبوت رؤية النبي

صلى الله عليه وسلم الملك وانعدام رؤيته غيره بلا ساتر ولم يكن ذلك
إلا لخلق الله تعالى الرؤية في عين النبي صلى الله عليه ∴ وتخليق
ضد الرؤية في عين غيره وكذى المحتضر يرى ملك
الموت وأعوانه صلوات الله عليهم ومن يحضرهم من العواد
والممرضين لا يرون شيئا من ذلك ∴ ثبت ذلك بأدلة
سمعية قطعية ينسب جاحدها إلى الإلحاد والخروج عن
الإسلام ∴ فدل أن ما ذهبنا إليه كلام صحيح لا يتوجه
عليه السؤال وبهذا التحقيق نعلم أن الطعوم والروائح وغيرها
من الأعراض التي لم يجر الله تعالى العادة برؤيتها مرئية
لوجود العلة المجوزة وانعدام رؤيتها ما كان لاستحالة
رؤيتها بل لخلق الله تعالى ضد رؤيتها في أبصارنا ∴ ثم ما
أوردوه من فصل استحالة كون الفيلة بحضرتنا والخيول
التي تجول والبوقات التي ينفخ فيها ونحن لا نراها ولا نسمعها
فذلك إشكال على أنفسهم في رؤية الرسل صلوات الله عليهم
جبرئيل والملائكة عند تبليغ الرسالة والوحي ∴ ورؤية
المحتضرين ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقد ثبتت
بالأدلة القاطعة ∴ فإن التزموا إشكالهم الذي أوردوا أبطلوا
على أنفسهم الإيمان بالرسالة والنبوات وإن لم يلتزموه ه
وجب عليهم الاشتغال بحل ما جعلوه إشكالا على غيرهم إذ هو
إشكال على الكل ∴ أما نحن فقد أقمنا البراهين العقلية
الساطعة والحجج السمعية القاطعة التي تبطل كل شبهة وتحل
كل إشكال ∴ ثم بعض أصحابنا أجابوا عن إلزامهم بذلك
فقالوا إن هذا وإن كان من الجائزات ولكن لما لم يجر
الله تعالى العادة بخلق رؤية الفيلة والخيول المذكورة وغير
ذلك في أعيننا فلا نراها وإن كانت بحضرتنا وقع لنا الأمان

عند انعدام رؤيتنا إياها عن وجودها بطريق العادة فإن
الله تعالى لا ينقض العادة المستمرة إلا عند بعث الرسل
صلوات الله عليهم معجزة لهم وحجة على قومهم ∴ أو على يدي
الولي في بعض الأزمنة كرامة له وإظهارا لحقية دين الرسول
الذي دان هو به والعلم بالمعتاد يقين ∴ ونقضه ممتنع عادة
فيقع لنا الأمان من ذلك كما أن إنسانا لو أخبر أن الله تعالى
حول رجال خراسان إناثا ونساءهم ذكرانا عرفنا كذبه بيقين
لانعدام العادة وإن كان ذلك ممكنا ثابتا في مقدور الله تعالى
وكذى لو أن إنسانا أخبر في وسط الشتاء أن بجبال الترك
اشتد الحر وهب السموم يعلم كذبه يقينا لانعدام جريان
العادة بذلك ∴ وكذى لو أن إنسانا دخل بيته ثم خرج
علمنا يقينا أنه ذلك الرجل بعينه وإن كان من الممكن
أن أعدم الله تعالى ذلك الرجل وخلق آخر على شبهه وهيئته
ولكن لما لم يكن ذلك معتادا علم يقينا بانعدامه كذى
ما نحن فيه والعجب من وقاحة المعتزلة وغفلتهم أنهم
ينسبون أهل الحق إلى التشبيه لإثباتهم الرؤية ولم ينظروا
إلى أن الرؤية تتعلق بالمتضادات من نحو السواد والبياض
والحمرة والخضرة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق
ولا ريب أنه لا مشابهة بين المتضادات ∴ وكذى
تتعلق بالمختلفات من نحو الجواهر والألوان والأكوان ولا
مشابهة بين هذه الأجناس المختلفة ولا يوجب تشبيه بعضها
ببعض وكذى تتعلق الرؤية بالقديم والمحدث ولا يوجب
تشبيه المرئي بالمرئي ثم إنهم اعتمدوا على مجرد الوجود
من غير تمييز بين المعنى المجوز وبين أوصاف الوجود اتفاقا
فقالوا وجدنا الرؤية في الشاهد تتعلق بالأجسام ∴ وبعضهم

قالوا وجدنا الرؤية في الشاهد تتعلق بالأجسام والألوان والأكوان وجعلوا مجرد الوجود حجة وهو مذهب المجسمة والمشبهة حيث قالوا وجدنا كل فاعل في الشاهد جسما فكذى في الغائب هكذى زعمت اليهود وكذى زعمت النصارى أنه جوهر لكونه موجودا ليس بجسم ولا عرض ولا محيص للمعتزلة عن إلزام هؤلاء بمجرد الوجود ولا بد لهم من الرجوع إلى بيان العلة المجوزة للرؤية وليس ذلك إلا ما بينا من سائر الأوصاف التي تكون علة أو موجودة اتفاقا ثم احتجاجهم لنفي الرؤية بأسولة فاسدة تندفع كلها بمعرفة ما بينا من الأصل منها قولهم لا بد للمرئي أن يكون في مكان ولا بد من المسافة بين الرائي والمرئي ولا بد من اتصال الشعاع وانطباع المرئي في عين الرائي ولا بد من ارتفاع الحجب والسواتر وغير ذلك من شبهاتهم كلها تبطل برؤية الله تعالى إيانا فإنه تعالى يرانا من غير مسافة ومن غير اتصال شعاع ومن غير انطباع المرئي لتعاليه عن جميع ذلك وهذا مما لا محيص لهم عنه ∴ وتبين بتحقيق رؤية الله تعالى إيانا أن جميع ما وجدوه في الشاهد فهو من أوصاف الوجود لا من أوصاف العلة ∴ ثم اعترضت المعتزلة على هذا الكلام بما أوجب لهم الانسلاخ من الدين فأنكر النظام والكعبي ومن وافقهما رؤية الله تعالى للأشياء وقالوا إن الله تعالى لا يرى شيئا من الأشياء ومعنى وصفه بأنه بصير أي إنه عالم بالمرئيات فنقول إن فساد هذا مما لا يخفى لأن الرؤية معنى وراء العلم فإن إنسانا لو قال رأيت كذا ولم أعلم به كان صحيحا ولو كانت الرؤية هي العلم لصار نفي العلم نافيا عين ما أثبته وصار مناقضا كما لو قال تعدد ولم تجلس فبطل ما ذكروا والذي يقرر

هذا أن من رأى شيئا ثم غمض عينيه والمرئي بعد بين يديه تبدلت حالته لا محالة وانعدمت منه في هذه الحالة صفة كانت موجودة قبل تغميض عينيه والمنعدم هي الرؤية لا العلم وانعدامها مع بقاء العلم دليل أنها معنى وراء العلم ثم لو فتح عينيه بعد ذلك حصلت له صفة كانت منعدمة في حالة التغميض فدل أن الرؤية معنى وراء العلم والله تعالى يرانا لا عن جهة قال سيف الحق في كتابه ولم يحصل من هذا المنع لهؤلاء الملحدين إلا تكذيب الله تعالى فيما وصف به نفسه بقوله إنني معكما أسمع وأرى ونحو ذلك من النصوص وتكذيب رسله صلوات الله عليهم بما وصفوا به ربهم من نحو جواب رسول الله صلى الله عليه لجبريل صلوات الله عليه حين سأله عن الإحسان فقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فحصل لهم من مخالفة أهل الحق في إثباتهم الرؤية تكذيب مثل هذه النصوص ونسبة العمى إلى الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا إذ الحي لا يخلو عن اتصافه بالبصر أو العمى فإذا نفوا عنه البصر وصفوه بالعمى ضرورة وهو من أمارات الحدث ونفي أمارة الحدث أو النقيصة أولى من نفي الرؤية عنه ثم إن هؤلاء مع هذا ينسبون أنفسهم إلى التنزيه والتوحيد مع إثباتهم أخس العيوب وأوضح دلالات النقصان ∴ قال الإمام الناصري وهذا كله شرح عقيدة فقهاء الملة في إثبات رؤية الله تعالى ونفيهم عن الله تعالى ما لا يليق بصفاته من التشبيه والتجسيم والمكان والصورة والكيفية والجهة وبالله العصمة

ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في إثبات المعراج

فقالوا والمعراج حق وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم

وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من
العلى وأكرمه الله بما شاء وأوحى إلى عبده ما أوحى
وأما قولهم وقد أسري النبي صلى الله عليه فإنما قالوا ذلك
لأن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد
بيت المقدس ثابت بنص الكتاب وهو قوله تعالى سبحان
الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الآية
وكان في ذلك ظهور آية رسالته فإنه قطع مسافة ما
كانت القوافل تقطعها في شهرين في ليلة واحدة وقد
تواتر النقل أن كفار مكة طالبوه بالآية على ما أخبرهم به من
الإسراء وكان لهم عير سافروا نحو بيت المقدس فسألوه عن
العير فأخبرهم خبر العير وأنه رآهم في طريقه فكان كما أخبر
وروي أيضا أنهم قالوا فيما بينهم إنه لم يسافر نحو بيت المقدس
معنا ولم يره فهلموا نسأله عن آياته لنسألوه عن ذلك وكان
ليلة الإسراء لقي الملائكة والتقى بالأنبياء الذين أرسلوا قبله
ببيت المقدس ولم يتثبت آياته قال فرفع جبريل عليه السلام
بيت المقدس فوضعه بين يديه فما سألوه عن شيء من آياته
إلا أخبرهم عنها وهو ينظر إليه **وأما قولهم وعرج بشخصه
في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلى
وأكرمه بما شاء وأوحى إليه ما أوحى** قال القاضي
الإمام أبو حفص الغزنوي وغيره إنما أثبتوا رحمهم الله المعراج
بشخصه في اليقظة إلى السماء لما تواترت الأخبار بذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير سورة والنجم وغير ذلك
ولتجويز العقل ثبوت ذلك وكونه ∴ فإن قيام السماء في
الهواء مع عظمها وسعتها وثقلها بلا علاقة من فوق ولا عمد
من تحت بقدرة الله تعالى أمر مشاهد موجب للعلم قطعا

بأن ذلك بقدرة ذاتية وقوة أزلية لا تقدر بقوى الخلائق وأنه
لا يعجزه شيء ∴ وكذلك قيام السحاب الثقال وعليها
بحور الماء والسحاب شيء غليظ كثيف وهو على متن
الهواء وهو شيء لطيف لا يحتمل أن يكون مقرا لشيء كثيف
وعليه بحور الماء وهو شيء ثقيل من شأنه وطبعه النزول والتسفل
وهو أعني السحاب الثقال قائم على متن الهواء بين السماء
والأرض قد طبق وجه السماء في الطول والعرض بلا علاقة
من فوق ولا عمد من تحت يقف تارة ويسير تارة فهو أمر ظاهر
مشاهد محسوس دليل على أن ذلك بقدرة ذاتية وقوة أزلية
رسول الله
لا يعجزها شيء ∴ فعروج محمد صلى الله عليه بشخصه في اليقظة
السموات العلى مما يثبته العقل ويجوزه إذا تأيد بالنقل المتواتر
عمن لا يجوز عليه الكذب وجب الإيمان بثبوته والاعتقاد
بحقيته وإنكاره إلحاد وضلال نعوذ بالله من الخذلان
ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحوض المورود فقالوا والحوض
الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق قال أبو
حفص الغزنوي وهذا أيضا مما يستحسن العقل إذ إغاثة
الله تعالى لكافة خليقته ببحار الماء محمولا على متن الهواء في
السحب الثقال في هذه الدنيا أمر معتاد مشاهد ∴
وكذا إغاثته تعالى بإنزال الغيث عند سؤال أنبيائه
صلوات الله عليهم عند مساس الحاجة معهود معروف ∴
فكذا إغاثته في كربات الموقف يوم القيامة لأهل معرفته
عند شدة عطشهم وعظيم كربهم بحوض يردون عليه رحمة
بهم وإظهارا لعظيم جاه رسولهم مما يجوزه العقل الصحيح
وقد ورد به النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن قدر حوضي كما بين صنعاء إلى أيلة وإن

آيته لعدد نجوم السماء. وقد وردت في إثبات الحوض أخبار
مشهورة يطول ذكرها فوجب الإيمان به والاعتقاد لصحته
وثبوته **ثم ذكر الطحاوي قولهم في إثبات الشفاعة**
فقالوا والشفاعة التي ادخرها لهم حق. وإنما قالوا بثبوتها
وحقيتها لنصوص دلت على ثبوتها من الكتاب والسنة الواضحة
أما الكتاب فنحو قوله تعالى واستغفر لهم وهذا أمر بالشفاعة.
وقال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وصاحب الكبيرة
داخل تحت الارتضاء له بالشفاعة لما معه من الإيمان
والتوحيد الذي هو أعظم الطاعات المؤهلة للارتضاء.
وروي أنه لو وضعت السموات السبع في كفة ووضعت
كلمة لا إله إلا الله في كفة لرجحت كلمة لا إله إلا الله
عليهن. وقال الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه.
وفي هذا ثبوت الشفاعة بإذنه تعالى وبه نقول وقد تواترت
الأخبار في إثبات الشفاعة منها قوله صلى الله عليه شفاعتي
لأهل الكبائر من أمتي ولا وجه إلى إنكارها مع هذه الدلايل فوجب
الاعتقاد بحقيتها **ثم ذكر الطحاوي قولهم في أخذ الميثاق**
فقالوا والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم صلوات الله عليه
وذريته حق. قال القاضي أبو حفص الغزنوي أثبتوا
ذلك بقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. أثبتوا أخذ الميثاق
ولم يتكلموا في كيفيته فإنهم عدوا ذلك من المتشابه وأوجبوا
اعتقاد حقيته لورود الكتاب ولم يشتغلوا بكيفيته لتمكن
وجوه الاحتمال في تأويله **ذكر الشيخ أبو منصور**
في تأويل آية أخذ الميثاق عن بعض أهل التأويل أنهم قالوا
إن الله تعالى إنما قال ألست بربكم عند ما خلق آدم عليه السلم

أخرج من يكون من ذريته إلى يوم القيمة مثل الذر فعرض عليهم
قوله ألست بربكم قالوا بلى. قال الشيخ أبو منصور
ثم اختلف هؤلاء فيما بينهم فمنهم من قال إنه جعلهم بالمبلغ
الذي تجري على مثلهم القلم بأن جعل فيهم الحيوة والعقل
والتمييز ثم قال لهم ألست بربكم فقالوا بلى وهو قول الحسن البصري
ومنهم من قال عرض ذلك على الأرواح دون الأبدان.
وقال بعضهم إنه خلقهم صنفين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي
وهؤلاء للنار ولا أبالي. وما عرض عليهم قوله ألست بربكم.
وقال بعضهم عرض على الكل التوحيد فقال ألست
بربكم وأعلمهم ما عليه أحوالهم وآجالهم في الدنيا من الفقر والغنا
والأجل ونحو ذلك قال الشيخ أبو منصور والله أعلم
كيف كانت القصة أو كيف ترى أحوال الفقر والغنا
في الذر أو كيف قال هؤلاء في كذى ولا أبالي مع اجتماع
الكل على القول ببلى وقد رأينا في تلك الأخبار التي فيها حديث
الذر ما كان الواجب على المرء حفظ نفسه وحفظ العوام
عن تبليغها ألزم وأعظم في النفع وأبعد عن الشبه من الاشتغال
بروايتها فنسأل الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق للنصح
لما به نجاة كل سامع فإنه لا قوة إلا بالله. ثم قال ومنهم
من ذهب في تأويل الآية إلى المعروف من أمر ذرية آدم
وأخذهم عن أصلاب الآباء والإنشاء في الأرحام على ما كان
ويكون إلى يوم القيامة على ما قال تعالى فلينظر الإنسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب
وعلى ما قال تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث
فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة الآية وغير ذلك مما احتج الله تعالى به لإثبات

ربوبيته والوهيته من أول ما جرى به تدبير البشر إلى آخر ما ينتهي به
أمر البشر لقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم ∴ وكقوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف
يشاء مما يعجز عن تقديره وسع الخلائق وكيف قلبهم من
حال إلى حال وصورهم في أحسن تقويم في ظلمات ثلاث
مع ما ركب فيهم من العقل والسمع والبصر وما جعل في كل
من ذلك مما لا تبلغه الأوهام ولذلك قال وفي أنفسكم
أفلا تبصرون فكان ذلك هو العهد إلى جميع الذرية وإشهاد
أنفسهم عليه بتعالي من دبرهم على ذلك وأنشاهم عن أن
يكون له كفو أو شريك فذلك هو معنى إشهادهم على
أنفسهم أي جعلهم على أنفسهم شهودا أن يعلموا أن مدبرهم
هو ربهم لا رب لهم غيره مع ما يعرف كل منهم عجز نفسه
عن تدبير ولده ∴ ويعرف جهله بأحواله من حين
نشل من صلبه واستقر في رحم أمه ففي ذلك بيان على أنه
لم يكن هو بآبائه وأمهاته ولم يكن لهم فيه علم ولا تدبير في حالة
كونه في مضمون أبويه ولكن كان تكونه وتصوره في
تلك الظلمات الثلث برب العالمين وقد عرف هذا
كل منهم فذلك هو المعنى الذي يلزمهم أن لا يقولوا إنا كنا
غافلين عن هذا ∴ وذلك قوله أن يقولوا يوم القيمة إنا
كنا عن هذا غافلين ∴ ثم قال أبو منصور والذي
يبين أن هذا التأويل أحق من الأول قوله في سياق الآية
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم فتأويل أولئك على
الأخذ من آدم وأنه خلاف ظاهر القرآن ∴ ويدل أيضا
على كون هذا التأويل أحق قوله وأشهدهم على أنفسهم ∴
أن يقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين وتأويله أي

أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم حتى لا يقولوا يوم القيمة إنا كنا
عن هذا غافلين وهو المعنى الذي سبق ذكر تكونه وتصوره
بصنع رب العالمين وكيف يقع تحذيرهم عن القول
بذلك على قول أولئك وهم مثل الذر وليس أحد منهم يذكر
أنه خرج كالذر وأنه قال ألست بربكم وأن نبه بكل
أنواع التنبيه ∴ ويدل عليه أيضا قوله أو تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أي لا تقولوا إنما
أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ∴ وليس
في ذلك العرض الذي ذكروا ما يمنعهم عن هذا القول إذ
لم يكن عندهم علم بذلك فدل أن التأويل الثاني أحق ∴
قال الشيخ أبو منصور ثم قوله خبرا عنهم قالوا بلى يكون ن
نطقا ويكون خلقة ∴ فأما النطق فإنه لا يسأل أحد قبل
الثقلين إلا وهو يقول بالرب والخالق وعلى ذلك قوله
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ∴ وقوله
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ∴ وأما بلى بالخلقة فإن
خلقة كل منهم بالتأليف والتركيب تشهد بواحد حي قادر
بلا شريك لما في العدد من التدافع والتمانع الموجب لتعطل
المصنوع طلبا للكمال الذي هو شرط الإله فلا يتحقق
المصنوع حتى يظهر الغالب فإذ تحقق المصنوع ثبت وحدانية
الصانع وهو الله الواحد القهار ∴ قال أبو منصور
فإن قيل على ماذا يخرج تأويل السلف قيل لعلهم وجدوا فيه
خبرا ظنوا أن الآية تخرج عليه فأولوها على ذلك ∴
وأما خبر القسمة هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار
ولا أبالي فكأنه ورد لا في حادثة العرض لكن وصل بآخر
حديث الذر فيظن أنه ورد فيه ولئن كان في حديث الذر

فيحتمل أن يكون في الآية ذكر إجابة أحد الفريقين
قال بلى أريد به البعض الذي قال فيهم هؤلاء في الجنة
ولا أبالي ويحتمل أنه كان بين الجميع اتفاق في أصل
الإقرار بالألوهية والربوبية وكان الاختلاف فيما وراءه
وهذا كما يوجد في هذا القدر اتفاق بين عامة الكفرة
وأهل الإسلام وإن كان بينهم اختلاف فيما وراءه وتثبت
لهم سمة الكفر لما أنكروا دون ما أقروا به فعلى ذلك في القول
ببلى فلهذه الوجوه أوجب فقهاء الملة الاعتقاد بحقيقة
أخذ الميثاق من آدم وذريته وسكتوا عن ذكر كيفية
الأخذ **ثم ذكر الطحاوي قولهم في سعة علم الله عز وجل**
وأزليته فقالوا وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل
الجنة ويدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا
ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوا وكل
ميسر لما خلق له والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد
بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله تعالى **أما قولهم وقد**
علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل
النار جملة واحدة فإنما قالوا ذلك تأكيدا لما قالوا من
أزلية صفات الله تعالى الذاتية والفعلية بقولهم ما زال بصفاته
قديما قبل خلقه بيانا لسعة علم الله تعالى وأن علمه لا يقدر
بعلوم الخلائق وحسما لمادة الشك في القضاء والقدر من
الضعفة ∴ ودفعا لتلبيس أوهام القدرية على العوام حيث
زعمت كيف يعذب الله تعالى على ما قضاه وقدره فبين فقهاء
الملة رحمهم الله بقولهم وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من
يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة أي علم عدد من
يدخل الجنة أنهم يؤمنون ويطيعون عن اختيار وإيثار ∴

وعلم عدد من يدخل النار أنهم يكفرون ويخالفون أوامره عند
الوجود والبلوغ والعقل عن اختيار منهم لا عن جبر واضطرار
فيستوجبون النار ويستحيل أن لا يعلم ما يكون من مخلوقاته
قبل وجودهم إذ ذلك جهل والجهل في حق القديم محال لما
مر من البراهين والحجج فثبت سبق علمه في الأزل بما يكون
من مخلوقاته ومن صفاته القضاء والقدر والحكم ومحال
أن يقضي بخلاف ما علم إذ في ذلك تجهيل علمه وذلك محال
في حقه لما فيه من بطلان العلم ولزوم الجهل فثبت أنه يقضي
بما سبق علمه في الأزل أنهم يفعلون ما يفعلون عن اختيار
وإيثار لا عن جبر واضطرار وكان ذلك منه عدلا فبطل
ما توهمت القدرية **وأما قولهم على نسق ما ذكروا** وكل
ميسر لما خلق له فإنما قالوا ذلك لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له
معناه جدوا في العمل واجتهدوا ولا تدعوا أعمالكم
محتجين بالقضاء فإن الله تعالى دعاكم إلى طاعته وأمركم
بالمجاهدة **وأما قولهم والأعمال بالخواتيم** فإنما قالوا
ذلك لورود الأخبار كذلك قال أبو حفص الغزنوي
وقد ورد في معنى ذلك أن الرجل قد تدركه الندامة في
آخر عمره فينيب إلى ربه فيختم له بالخير وقد يدركه
العجب أو ما يحبط عمله فيختم له بالشر ∴ وورد أيضا
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يبقى بينه وبينها باع أو
ذراع فتدركه الشقاوة فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار
وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى يبقى بينه وبينها باع
أو ذراع فتدركه السعادة فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة
وأما قولهم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله تعالى

قال الغزنوي إنما قالوا ذلك لأن الله تعالى لا يقضي بسعادة
أحد إلا بعد علمه بأنه يخرج من الكفر إلى الإيمان ∴ ولا
يقضي بشقاوة أحد إلا بعد علمه بأنه يخرج من الإيمان
إلى الكفر فعلمه بالحادثات سابق ليقضي عليهم ولهم بما
سبق علمه فيهم قبل وجودهم وهو مطلع على السرائر بعد وجودهم
ثم ذكر الطحاوي قولهم في أصل القدر فقالوا وأصل القدر
سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي
مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم
الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك
نظرا وفكرا ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه
ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب
ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين
أما قولهم وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على
ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ∴ فإنما قالوا ذلك لما
ثبت بالنقل عمن يخبر عن الوحي أنه قال كذلك فنطقوا
به كما ورد مبالغة في الإخبار عن كون علم القدر مكتوما
عن الخلايق أجمع فإن الله تعالى قال في كتابه قل لا يعلم
من في السموات والأرض الغيب إلا الله ثم أخبر عمن
يمنحه بالإظهار على ما يشاء من غيبه بقوله فلا يظهر على
غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأخبر أن الرسول
هو الممنوح بالإظهار على ما يشاء من غيبه ليكون معجزة له
وحجة على من أرسل إليهم ∴ والقدر من الغيب الذي
استأثر الله تعالى بعلمه وجعله سرا مكتوما عن خلقه أجمع
كعلم الساعة على ما قال تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو ∴

المنح الاعطا

اي اختص

لا يجليها اي لا يظهرها

وانا

وأما قولهم والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان
وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فإنما قالوا ذلك
لأن التعمق في طلب الوقوف على المكتوم بعد المعرفة
بكونه مكتوما ينشأ عن الإنكار والارتياب وهما من
صفات أهل النفاق والإلحاد ثم المناظرة في ذلك
تفضي إلى المنازعة في أحكام الربوبية فيكون مبدأ
التعمق ذريعة الخذلان والمخذول هو الذي منع بسبب
خلافه عن شمول النصرة والعناية ثم يرتقي سلم
الحرمان باستمراره على الخلاف ثم ينتهي إلى درجة الطغيان
وهو المجاوزة عن الحد المجعول للعبد إلى المنازعة
في أحكام الربوبية فلذلك رتبوا هذه الأحرف على هذا
النسق **وأما قولهم فالحذر كل الحذر من ذلك**
نظرا وفكرا ووسوسة فهذا منهم مبالغة في التحذير عن
طلب ما حظر عن العباد علمه ∴ ثم أخبروا عن نص
النهي ورد حكمه بقولهم فإن الله تعالى طوى علم القدر
عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمن قال لم فعل فقد
رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان
من الكافرين ∴ وإنما قالوا ذلك لأن رد ما ثبت
بدليل مقطوع به يكون كفرا ∴ قال القاضي أبو حفص
الغزنوي وإنما نهى العباد عن الخوض في هذا الباب لأنه
أمر لا سبيل لهم إلى معرفته لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه
دون عباده كما استأثر بعلم الأشياء التي لا سبيل للعباد
إلى العلم بها لأن القول بإحاطة علوم العباد بجميع معلوماته
قول بمضاهاة علومهم بعلمه وذلك محال لأن المحدث

مع القديم لا يستويان قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه
إلا بما شاء، لأن علم الله تعالى أزلي قديم بذاته فهو دائم بذاته
وعلوم الخلق محدثة مستفادة من غيرهم فهي ناقصة
كسائر صفاتهم **ثم ذكر الطحاوي قولهم على نسق ما تقدم** فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء
الله تعالى أي إنما يدري هذا ويقف عليه من نور الله قلبه
بكمال اليقين على ما قال تعالى يهدي الله لنوره من يشاء
وإن كان كل مكلف محتاجا إليه احتياج الوجوب
واللزوم لا بد له من تحصيله والقيام به ۞ وهذا كما قال تعالى
في حق القرآن إنه هدى للمتقين وإن كان هو
هدى للكل لكن من آمن به واتبعه كان هدى له
ونورا يستضيء به وحجة له وتبصرة ۞ ومن أعرض عنه ولم
يؤمن به كان حجة عليه كما قال تعالى وهو عليهم عمى
ثم ذكر الطحاوي تعليلهم لما ذكروا فقالوا لأن
العلم علمان ∴ علم في الخلق موجود وعلم في الخلق
مفقود ∴ فإنكار العلم الموجود كفر ∴ وادعاء
العلم المفقود كفر ∴ ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم
الموجود وترك طلب العلم المفقود قال القاضي الإمام
أبو حفص الغزنوي فالعلم الموجود في الخلق ما يوقف عليه
بدلالة ظاهرة كالعلم بالصانع بما نصب في العالم من دلائل
وحدانيته وقدمه وكمال علمه وقدرته وحكمته
وبراءته من سمات النقص وأمارات الحدث ۞ ونحو
العلم بنبوة الأنبياء بمعجزاتهم وبراهينهم ونحو علم البعث بعد
الموت بدلالة ذهاب الليل والنهار بعد وجودهما وعودهما
بعد ذهابهما وتلاشيهما ۞ وبدلالة تعاقب النوم واليقظة فإن

في ذلك دلالة على أنهم كما ينامون يموتون وكما يستيقظون
يبعثون وكما في تكرر النبات والأزهار في كل سنة وجودا
وانعداما ∴ ثم عودا على ما كان بعد الانعدام دلالة على البعث
ونحو علم الأوامر والنواهي والأحكام الثابتة بالكتب السماوية
والأخبار النبوية بنقل الجماعة فهذا كله موجود في الخلق فإنكار
هذا العلم كفر ۞ والعلم المفقود نحو ما أخفى الله تعالى
من علم الأشياء التي أخفاها عن خلقه فادعاء علم هذا النوع
كفر لأنه دعوى المشاركة مع الله تعالى فيما استأثر به
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في أمر اللوح وما كتب فيه
فقالوا ونؤمن باللوح والقلم وجميع ما فيه قد رقم ولو اجتمع
الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن
ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ۞ ولو اجتمعوا كلهم
على ما لم يكتبه الله فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه جف القلم
بما هو كائن إلى يوم القيامة ۞ وما أخطأ العبد لم يكن
ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ۞ وعلى العبد أن يعلم
أن الله تعالى سبق علمه في كل كائن من خلقه ∴
فقدر ذلك بمشيئته تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ۞ [أي منقض]
ولا معقب ۞ ولا مزيل ولا مغير ۞ ولا محول ۞ ولا ناقص
ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان
وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
كما قال الله تعالى في كتابه وخلق كل شيء فقدره
تقديرا ۞ وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا ∴
فويل لمن صار لله في القدر خصيما ۞ وأحضر للنظر فيه قلبا
سقيما لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما وعاد [الفحص التفتيش]
بما قال فيه أفاكا أثيما **أما قولهم ونؤمن باللوح والقلم**

فإنما أثبتوا اللوح لقول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
وأما القلم فلما ثبت بالنقل الصحيح قول صاحب الوحي
جف القلم بما أنت لاق ۞ وكذا ثبت القول جف القلم
بما هو كائن إلى يوم القيمة وعلى ذلك إجماع أهل الحق
وأما قولهم وجميع ما فيه قد رقم ومعناه ونؤمن بجميع
ما قد كتب فيه ∴ فالكتب السماوية كلها مكتوبة
في اللوح المحفوظ وكذا جميع ما يكون إلى يوم القيامة ۞
مكتوب فيه قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين هو اللوح المحفوظ وقال تعالى وكل صغير وكبير مستطر
**وأما قولهم فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه فيه أنه كائن
ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه** ∴ ولو اجتمعوا كلهم
على ما لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه جف
القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة ۞ وما أخطأ العبد لم يكن
ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ۞ قال القاضي أبو حفص
الغزنوي هذه الألفاظ التي ذكروها كلها مروية ثابتة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها بعينها وصيغتها وبعضها
مروية بالمعنى ويشهد العقل بصحتها لما مر من البراهين العقلية
التي قامت على أزلية علم الله تعالى بما يكون أبدا فوجب الاعتقاد
بمضمون جميع ما ذكروا **وأما قولهم** وعلى العبد أن يعلم أن الله
تعالى سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك بمشيته
تقديرا محكما مبرما ليس له ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا
مغير ولا محول ولا ناقص ولا زايد من خلقه في سمواته وأرضه ۞
فهذا منهم تصريح بإثبات أزلية علم الله تعالى ومشيته ۞ وبإثبات
القضاء بما يكون من خلقه ۞ وبتقدير كل شيء على ما تقتضي
الحكمة البالغة من كون كل شيء على ما هو به من حسن أو قبح

طاعة أو معصية **وأما قولهم** فقدر ذلك بمشيته تقديرا محكما
مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب إلى قولهم في سمواته وأرضه
فهذا منهم إثبات الوحدانية والربوبية لله تعالى عز وجل
في السموات والأرض ونفي والحكم عمن سواه وقد مر ذكر — التدبير صح
البراهين القاطعة على تحقيق ذلك ۞ ومر أيضا ذكر من
خالف في ذلك من الثنوية والقدرية وإبطال أقاويلهم ن
وهدم قواعدهم **وأما قولهم** وذلك من عقد الإيمان
وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
فإنما قالوا ذلك لما مر من البراهين القطعية والحجج السمعية
في فصول التوحيد والصفات أن ترك الاعتراف
بأزلية العلم لله عز وجل إثبات الجهل فيكون قولا بإبطال
الألوهية لأن الجاهل لا يصلح أن يكون إلها وكذا
ترك الاعتراف باتصافه بالمشية وبساير صفات المدح
والكمال قول بتعطيل الألوهية والتحاق بأهل الطبع ∴ — أي الطبايعيه
وكذا ترك الاعتراف بسبق القضاء والقدر على مقتضى
حكمة الصانع القديم إثبات الخلل في سلطانه وألوهيته ۞
وكذا من أثبت لغيره تخليق الأفعال فقد أبطل
توحيد صانع العالم والتحق بالثنوية فلهذه الأدلة قالوا وذلك
من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد
الله تعالى وربوبيته وإدخال الخلل في العقد فسق نعوذ
بالله من الخذلان **وأما قولهم** كما قال تعالى
في كتابه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ۞ وقال تعالى
وكان أمر الله قدرا مقدورا ۞ فهذا منهم احتجاج بأن لا
خالق لشيء من العالم سوى الله تعالى ونعم منهم لكل
شيء يدخل تحت التخليق من أقسام العالم من الأجسام

والجواهر والأعراض أن يكون كل ذلك مخلوقا لله عز وجل
وقد مر ذكر خلاف المعتزلة لأهل الحق في تعميم هذه الآية
فإن عندهم جميع الأفعال الاختيارية مخلوق لغير الله تعالى
فيكون كل فاعل مختار من ملك وجن وإنس وكل
مادب ودرج حتى كل كلب وخنزير يكون خالقا
لفعله ∴ ومنعوا دخول أفعال الحيوانات تحت قدرة
الله تعالى ومحال أن لا يقدر الله تعالى على تخليق ما يقدر
على تخليقه كل مادب ودرج ومعلوم قطعا أن العالم
بكونه مخلوقا دليل على ألوهية الخالق تعالى وبذلك احتج
الله تعالى على كونه خالق العالم ونفي الألوهية عمن
سواه بعدم التخليق فقال تعالى وما كان معه من إله
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقال
تعالى أم خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم وقال تعالى
قل الله خالق كل شيء وقال واعلم أن الله على كل شيء
قدير فمحال أن لا يقدر الله تعالى على شيء يقدر عليه
كل مادب ودرج فبطل قول المعتزلة وتعجيزهم الله
تعالى عما يقدر عليه مخلوقه ومصنوعه وبطل إثباتهم
خالقا غير الله تعالى لشيء من العالم وقد مضى إبطال شبهاتهم
فيما مضى **وأما قولهم** فويل لمن صار لله في القدر
خصيما وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس بوهمه
في فحص الغيب سرا كتيما وعاد بما قال أفاكا أثيما
فهذا منهم تصريح بذم من أنكر القدر ∴ وسموه خصيما لله لما
سبق بيانه من البراهين المبينة لالتحاق منكر القدر
بالثنوية والمجوس ∴ وإنما سموه سقيم القلب لارتيابه
فيما ثبت بالأدلة القاطعة ∴ ولطلبه الوقوف على مضمون

في فحص الغيب اشتغل في تفتيش الغيب .

السر المكتوم ∴ وصرحوا بكونه أفاكا أثيما ∴ والأفاك
هو الكذاب والأثيم هو الفاجر الآثم فسموه بذلك
لتكذيبه موجب الأدلة الثابتة **ثم ذكر الطحاوي**
قولهم في العرش فقالوا والعرش والكرسي حق كما
بين الله تعالى في كتابه وهو مستغني عن العرش وما دونه
محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز الإحاطة خلقه **أما**
قولهم والعرش والكرسي حق كما بين الله تعالى في كتابه
فقد أقروا بحقية العرش والكرسي كما بين الله تعالى في
كتابه ولم يتعرضوا لذكر ما بينهما فإن الله تعالى ذكر
الكرسي ولم يبين ماهيته سوى أن قال وسع كرسيه
السموات والأرض ∴ فذهب بعض أهل التأويل إلى
أن الكرسي كناية عن العلم ∴ وبعضهم قالوا إن الكرسي
غير العرش ∴ وأما العرش فقد ذكر في الكتاب مقيدا
بالحمل محتفا به الملائكة وهو قوله تعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله وذكر مطلقا كقوله تعالى وهو
رب العرش العظيم ∴ وقال حافين من حول العرش
فالعرش المقيد بالحمل قالوا هو السرير المحمول المحفوف به
الملائكة وذكر بعضهم أن العرش المذكور مطلقا يحتمل
أن يراد به الملك ∴ والمذهب عند أصحابنا رحمهم الله أن
كل ما ثبت بالكتاب والسنة الواضحة ولا يتعلق به العمل فإنه
لا يجب الاشتغال بتأويله بل يجب الاعتقاد بثبوته وحقية
المراد بذكره ووروده **وأما قولهم وهو مستغني عن**
العرش وما دونه فإنما قالوا ذلك نفيا لإثبات
الحاجة إلى التمكن في المكان والتحيز في الجهة وغير ذلك
من سمات الحدث وذلك لما مر من البراهين القطعية

في ذلك ولما سبق ذكره من النصوص المحكمة الموجبة للعلم
قطعا باثبات تعاليه عن الحاجات وعن مشابهة الخلق
كقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو
الغني أثبت الفقر والحاجة لعباده ونفى ذلك عن نفسه
بقوله والله هو الغني ∴ وكذى أثبت كمال الاستغناء
لنفسه عن جميع الأشياء بقوله إن الله لغني عن العالمين
وهذا نص محكم في إثبات الاستغناء لنفسه عن العرش
وما دونه إذ العرش من جملة العالم ∴ وفيه رد على اليهود
ومجسمة هذه الأمة حيث وصفوه بالجسم والاستقرار على
العرش والانتقال والنزول بالذات من مكان إلى مكان
ونفى عن نفسه مشابهة العالم ومماثلتهم بقوله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وبقوله ولم يكن له كفوا أحد فيستحيل
أن يساويه شيء او يضاهيه أو يماثله **وأما قولهم وهو** أي يشابهه
محيط بكل شيء أرادوا به الإحاطة بكل شيء بالعلم
والغلبة والسلطان إذ يتعالى عن الوصف بالإحاطة
بالعالم كإحاطة الحقة باللؤلؤة لأن ذلك وصف بالجوف
والمكان والحلول وكل ذلك مستحيل في حق القديم ۵
وأما قولهم محيط بكل شيء وفوقه أرادوا بقولهم
وفوقه أي كل شيء تحت علمه وقدرته كقوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده ∴ وجاز أن يعنوا بقولهم وفوقه
أي متعال ومرتفع عن صفات المحدثين بصفات المجد
والكمال وهو معنى قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى وقوله
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولأن
العالم محدث وصفاتهم محدثة والجهات الست صفات
للعالم وقد كانت معدومة قبل وجود العالم وصانع العالم وهو الله

الله تعالى قديم لم يزل فيستحيل أن يضايقه العالم حين
وجد ويطابقه فيصير القديم المتعالي عن التناهي والحدود في
حيز والعالم في حيز لأن ذلك قول بتغير القديم
عما كان في الأزل وذلك مستحيل في حقه بل هو الله
تعالى كما وصف نفسه بقوله تعالى هو الأول والآخر ۵
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ∴ وبقوله قل هو
الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في خلة إبرهيم ومكالمة موسى
فقالوا واتخذ الله إبرهيم خليلا وكلم موسى تكليما إيمانا وتصديقا
وتسليما قال القاضي أبو حفص الغزنوي إنما نصوا
على اتخاذ الله عز وجل إبرهيم خليلا لخفاء وجه ذلك على ۵
بعض الناس وهم النصارى حيث قاسوا تسميتهم عيسى بالولدية
على اتخاذ إبرهيم خليلا فكان جواب أهل الحق عن ذلك أن
قالوا إن اتخاذ الولد يوجب المجانسة إذ الولد قط لا يكون
إلا من جنس الوالد والله عز وجل يتعالى عن ذلك ∴ فأما
اتخاذ الخليل فلا يوجب المجانسة بل يوجب القرب ۵
والكرامة حتى تكون الخلة بين المختلفين في الجنس كما
كان يقال جبريل خليل الرسول صلى الله عليه حتى
ذكر في بعض أحاديث المعراج أن نبينا صلوات الله عليه
حين تجاوز عن مقام جبريل عليه السلام خاطبه الرسول
صلى الله عليه باسم الخلة بأن قال أفي مثل هذا الموضع يفارق
الخليل خليله وذكر عن بعض العرب قال سيفي خليلي ∴
ولأن الولاد يوجب البعضية والجزئية فيكون الولد جزءا
من الوالد وهذا محال في حق القديم واتخاذ الخليل لا يوجب
شيئا من ذلك ولأن في الشاهد لا يتخذ السيد عبده ابنا لعدم

المساواة بينهما مع تحقق المجانسة وذلك مستحيل في حق الغائب
ولأن من أراد ذلك في الشاهد يعتق عبده حتى تحقق
المساواة بينهما في الحرية والمالكية وهذا لا يتصور بين
العبد والرب لأن العبد عبد بخلقته فيستحيل ارتفاع الحدثية
عنه فلا يتصور اتخاذ الولد حقيقة ولا معنى ولأن اتخاذ
الولد في الشاهد يكون لخصال منها حاجة الاستيناس
ودفع الوحشة ∴ ومنها الاستنصار على الأعداء ومنها
حاجة الاستخلاف في ملكه ليحيي ذكره به وهذه
الوجوه كلها منتفية في حق القديم تعالى فبطل القول
بجواز اتخاذ الولد من جميع الوجوه بخلاف الخلة فإنها من
باب الكرامة وقرب المنزلة والعبد أهل لنيلها ببذل
مجهوده في مباشرة الطاعات والعبادات **وأما قولهم**
وكلم موسى تكليما ∴ قال القاضي أبو حفص أكده
بالمصدر كما نطق به الكتاب وهو قوله تعالى وكلم
الله موسى تكليما ∴ ليعلم أن الكلام صفة له تعالى حقيقة
فأكده بالمصدر لأن ما يراد به المجاز لا يؤكد قولهم قال
بيده وقال برأسه إذا أشار به ولا يؤكد بالمصدر بأن
يقال قال بيده قولا فلذلك قالوا وكلم الله موسى تكليما
إيمانا وتصديقا وتسليما ليبينوا أن الكلام صفة لله تعالى
حقيقة **ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الملائكة والأنبياء
والكتب السماوية** فقالوا ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب
المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين
وإنما قالوا ذلك لما قامت الأدلة القاطعة على وجوب
الإيمان بجميع ما ذكروا ومن الدلائل السمعية قول الله تعالى
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

ومنها قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين أحد من رسله) قال القاضي أبو حفص الغزنوي
فالإيمان بالملائكة أن نؤمن بأنهم أشخاص روحانية لطيفة
في تركيب الحيوان ينزلون ويصعدون بإذن الله تعالى
وليسوا بنجوم مسخرة ولا بأنفس كما ذهبت إليه طائفة
من أهل الزيغ وإنما وقع الإيمان على هذا الوجه لما
تواترت الأخبار ولاستجازة العقل تركيب كل جوهر
بأي تركيب كان وخلق الحياة فيه فهم أشخاص
مكرمون أوجدهم لحكمته لا لحاجته وأوقفهم لخدمته لا
لمعونته ∴ وامتحنهم بأنواع المحن عبودية لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يعملون ∴ يسبحون الليل والنهار لا
يفترون مواظبون على ما تعبدهم الله تعالى لا يسأمون (لا يعلمون)
امتحن بعضا منهم بالنزول بالرسالة إلى البشر ∴ وبعضا
بالقطر والمطر ∴ وبعضهم بكتبة أعمال بني آدم ∴ وبعضهم
بقبض الأرواح ∴ وأما الإيمان بالنبيين فهو أن نؤمن
بأن الله تعالى ارتضاهم بالنبوة واصطفاهم لتبليغ
رسالته وأكرمهم بالسفارة بينه وبين عباده بما يوحي إليهم
ويدركون ذلك ويطيقونه بما ركب الله تعالى فيهم من
القوة على ذلك وليست النبوة بمكتسبة بل كانت عطية
وخصيصة من الله تعالى وموهبة جعلها الله تعالى فيمن شاء من
عباده على ما قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته
وهم معصومون عن التحريف والتبديل والفسق والضلال
وعن جميع ما يوجب العزل فهذا هو الإيمان بالأنبياء ۝
وأما الإيمان بالكتب السماوية فهو أن نؤمن بأنها خطابات

من الله تعالى إما سماعاً من الله تعالى بلا كيف أو بلاغاً من
الملك المنزل للتبليغ وأنه ليس للملك ولا للنبي تصرف
من النظم والمعنى ولكنهما يبلغان عن الله تعالى كما
بلغ إليهما وحياً وتنزيلاً أو سماعاً منه بلا كيف كما في موسى
وأما قولهم ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين
فإنما قالوا نشهد أنهم كانوا على الحق المبين والشهادة عبارة
عن العلم بالمشهود قطعاً بلا تميل واحتمال بوجوه كل
وجه يوجب العلم قطعاً منها شهادة البراهين العقلية
على حقية ما دعوا إليه فإنهم دعوا إلى القول بحدث العالم
ووحدانية الصانع وقدمه وكمال صفاته وبرائته عن
العيوب وعبادته بلا إشراك والإيمان بما جاء منه
وبالبعث بعد الموت للجزاء في دار البقاء وهذا كله مما
توجبه الحكمة والعقول السليمة ومنها شهادة المعجزات
الخارجة عن وسع الخلايق التي قامت على أيديهم على ما تقدم
بيان أنواعها في صدر الكتاب في تفاصيل الحجج ؞ وفي فصل
رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه وهي توجب العلم قطعاً
لمن عاينها ولم يعاندها ولمن غاب عنها بالنقل المتواتر
على ألسنة قوم لا يتصور منهم التواطي على الكذب ؞ ومنها
شهادة الكتاب المعجز للخلايق بنظمه عن الإتيان
بمثل سورة منه ؞ وبإخباره عما كان وعما سيكون
فهذه الدلائل القاطعة شهدت أنهم كانوا على الحق المبين
فيما ادعوا من الرسالة وفيما دعوا إليه من الدين الحق
فلهذه الدلائل قال فقهاء الملة ونشهد أنهم كانوا على
الحق المبين ؞ ومما نطق الكتاب به قول الله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون والنصرة

العصمة من الخذلان ودوام الحجة الغالبة معهم وكون عاقبة الأمر
لهم ولمن استقام على ما جاؤوا به ثم ذكر الطحاوي قولهم في
أهل القبلة ومواضبتهم على السنة والجماعة ؞ فقالوا ونسمي
أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين
ولا نخوض في الله عز وجل ولا نماري في الدين ولا نجادل
في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين نزل به الروح
الأمين فعلمه محمداً سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؞ وكلام
الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول
بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين ؞ ولا نكفر أحداً
من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ؞ ولا نقول لا يضر
مع الإيمان ذنب لمن عمله ونرجو للمحسنين من المؤمنين
ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئيهم ن
ونخاف عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان
عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ؞ ولا يخرج العبد
من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه وأما قولهم ونسمي
أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى آله معترفين وله بكل ما قال وأخبر
مصدقين إنما قالوا ذلك لأنا نعرف منهم الاعتراف بما جاء
به النبي صلى الله عليه من الدين والشرع ونعلم أنهم يعتقدون
التوحيد والدين الحق ونشاهدهم متمسكين بكتاب الله
تعالى وبشرايعه فنراعي ظواهرهم ونكل ضمايرهم إلى الله تعالى
وبذلك ورد النقل عن الرسول صلى الله عليه أنه قال بعثت
أتولى الظواهر والله تعالى يتولى السرائر وقال الله تعالى إذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن

علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار فأمر المؤمنين
بامتحانهن لأن محل الإيمان هو القلب وذلك باطن لا سبيل
للخلق على الوقوف على ما فيه وإنما يعرف بما يظهر وهو ن
الاستيصاف فإذا وصفن الله بالألوهية والوحدانية والنبي
بالرسالة وجب الحكم بالإيمان بناء على ما ظهر وقد سمي
ذلك علما بقوله فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
إلى الكفار ولم يوجب عليهم فيه الاستثناء لوقوع الامتحان
لإظهار ما في قلب غيرهم ولو استثنين لم يجب الحكم
بإيمانهن لحصول الشك على أن الاستثناء إنما يكون فيما
يتوهم وجوده في المستقبل فدلت الآية على بطلان قول
من يستثني في إيمان نفسه وكذى روي عن النبي
صلى الله عليه أنه امتحن أمة سوداء عند سؤال من أراد
عتق رقبة مؤمنة فسألها عن الله تعالى فلما وصفت الله
تعالى بالألوهية والنبي بالرسالة قال للمعتق أعتقها
فإنها مؤمنة ∴ وكذى كانت الصحابة والتابعون
الذين هم الأصول في الإجماع وفي نقل الشريعة يسمون
أنفسهم ومن آمن بنبيهم مؤمنين ومسلمين مطلقا عن
الاستثناء وذلك حجة بينة في إبطال قول من يشترط ٥
الاستثناء فيجب على الرجل إذا كان في قلبه الإيمان بالله
وبما جاء به محمد بن عبد الله أن يخبر بأنه مؤمن من غير
شك واستثناء فإن كان صادقا فليؤجر على صدقه
وإن كان كاذبا في إخباره فما دخل عليه من الكفر
أعظم من كذبه فيما أخبر ∴ وذكر نصير بن يحيى عن
أبي مطيع الحكم بن عبد الله في كتاب الفقه الأكبر قال
سألت أبا حنيفة رحمة الله عليه عن حديث صاحب معاذ

ابن جبل الأنصاري مع ابن مسعود فقال نعم حدثني حماد يعني ابن
أبي سليمان أن الحارث بن مالك كان مع معاذ بن جبل الأنصاري
فلما حضره الموت بكى قال معاذ ما يبكيك يا حارث قال ما
يبكيني موتك قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى لكن
من المعلم بعدك قال مهلا وعليك بعبد الله بن مسعود
فقلت له أوصني فأوصى ما شاء الله ثم قال له احذر زلة العالم
قال فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة إلى أصحاب عبد الله
ابن مسعود فنودي بالصلاة فقال الحارث قوموا إلى هذه الدعوة
حقا لكل مؤمن سمعه أن يجيبه فنظروا إليه وقالوا له إنك
مؤمن قال نعم إني مؤمن فتغامزوا به فلما خرج عبد
الله قيل له ذلك فقال للحارث مثل قولهم فنكس الحارث
رأسه وبكى وقال رحم الله معاذا فأخبر به ابن مسعود
فقال له إنك لمؤمن قال نعم إني لمؤمن قال فتقول
إنك من أهل الجنة قال رحم الله معاذا فإنه أوصاني
أن أحذر زلة العالم ولا آخذ بحكم المنافق قال فهل من
زلة رأيت قال أنشدتك بالله عز وجل هل كان في عهد
النبي صلى الله عليه والناس يومئذ على ثلث فرق مؤمن
في السر والعلانية وكافر في السر والعلانية ومنافق في السر
فمن أي الثلاثة أنت قال أما أنا فإذ نشدتني بالله
عز وجل فإني مؤمن في السر والعلانية قال الحارث فلم
لمتني حيث قلت إني لمؤمن قال أجل هذه زلتي فادفنها
علي فرحم الله معاذا ∴ وروي عن سهل بن مزاحم أنه قال
جاء رجل ممن يشك يعني في الإيمان إلى أبي حنيفة رحمه
الله فقال له أبو حنيفة إذا أدخلت حفرتك فجاء منكر
ونكير أليس لأنك ما دينك هل تشك ساعتئذ قال فبكى الرجل

قال أبو حنيفة رحمه الله ما رحمت أحدا ما رحمت هذا
وروي عن أبي يوسف أنه قال قدم قتادة الكوفة
الكوفة فجعلوا يسألونه ويجيبهم :. فأتاه أبو حنيفة فقال
له أمؤمن أنت قال نعم إن شاء الله فقال أبو حنيفة
أرغبت عن ملة إبراهيم وقد قال الله عز وجل ومن يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه وقد قال الله عز وجل
لإبراهيم صلوات الله عليه أولم تؤمن قال بلى ولم يقل إن شاء الله
وأما قولهم ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله
معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين قال
القاضي أبو حفص إنما قالوا ذلك ليعلم أن مجرد التوجه إلى قبلتنا
لا يدل على حقيقة الإيمان بالنبي صلى الله عليه فإن كثيرا
من الناس يتوجهون إلى قبلتنا وليسوا على ديننا كالغلاة
حيث يدعون نبوة علي وكمن يدعي منهم أنه إله وكالقدرية
يزعمون وجود كثير من الأشياء من غير مشيئة الله تعالى :. وكمن
يدعي منهم الخالقية لكل فاعل مختار ممن دب ودرج :. وكمن
يزعم أن صانع العالم جسم على صورة البشر :. وكمن يدعي
من الناس أن المحبة تزيل التكليف :. وكمن يقول
إن لله عز وجل حلولا واتحادا بالأنفس ونحو هذا من أقاويل
أهل الضلالة والإلحاد وأما قولهم ولا نخوض في الله عز وجل
ولا نماري في الدين معناه ولا نتكلم في ذات الله تعالى
وصفاته من غير بصيرة وإنما نتبع في ذلك ما دعانا إليه كتاب
أي بمعرفة — الله والسنة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه أو المشهورة
التي اعتمد عليها العلماء من غير اختلاف فنعتمد عليها ولا
نذهب في ذلك إلى المقاييس الناشئة من هوى النفوس من غير
برهان من الله تعالى ورسوله وأصحابه الذين هم خلفاء الرسول

ونقله شريعته لاستحالة دخول القديم تحت القياس والمقادير
ولا تبنى العقائد على أخبار الآحاد لأنها لا توجب العلم يقينا
والأصل في أسماء الله وصفاته التوقيف قال الله تعالى
أي الأنبيا — لنبيه صلى الله عليه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال تعالى قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني :. أي على حجة وبرهان :. ولما كثرت
الأحاديث بعد رسول الله صلى الله عليه اشتد عناية السلف
الصالح بحراسة الشريعة وعرضوا الأحاديث على الكتاب
عرض أخبار الآحاد على الكتاب — والسنن المتواترة وأصول الشريعة وإجماع الأمة وزيفوا ما خالف
الأصول حتى وضع الحفاظ كتبا في الأحاديث الموضوعة
حتى قال بعضهم وضعت الزنادقة والكذابون على رسول
الله صلى الله عليه كذا كذا ألف حديث :. وذكر
القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال سيكون
في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا
آباؤكم فإياكم وإياهم :. وذكر القاضي أبو العلاء فقال
وروي عن عرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة
أي خشيت — ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال قائل يا رسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا
تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي
فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين
الأضراس — الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات
الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وروي

القاضي أبو يوسف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا روي
لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق
فاقبلوه وما خالف فردوه فردوه .. وذكر أبو زيد الدبوسي
في كتاب تحديد أدلة الشرع في فصل أقسام الخبر وانتقاده
هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيجاب عرض
أخبار الآحاد على الكتاب والسنة المشهورة وهو حديث
صحيح عند أئمة الفقه لأن القرآن أصل الحجج وبه ثبتت
الرسالة وقامت الحجة على الضلالة وهو المهيمن على الكتب
السماوية وبه يميز الحق من الباطل وبه عرف تحريف أهل
الكتاب ما حرفوا وبدلوا من الكتب المنزلة وقد أمر الله
برد المتنازع إليه وإلى رسوله فقال تعالى فإن تنازعتم في
شيء فردوه إلى الله والرسول فقال أئمة التحقيق الرد إلى الله
تعالى هو الرد إلى الكتاب والرد إلى الرسول هو الرد إلى
السنة المتواترة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وجبريل
صلوات الله عليه ينزل عليه بكرة وعشيا وقد كان أهل النفاق
ومن يطلب شين الدين من مردة أهل الكتاب وغيرهم
يأتونه ويسمعون منه ثم يخرجون من عنده ويغيرون ما
سمعوا منه على ما قال تعالى فإذا خرجوا من عندك بيت طائفة
منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون حتى صار الإخبار
عنهم بذلك آية من آيات رسالته فكيف تؤمن غائلة الزنادقة
والوضاعين بعد انقطاع الوحي وامتداد الزمان وحتى أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بالوضاعين عليه بعد الموت موته طلبا
لشين دينه وافتتان أمته وهو ما روي في المشاهير سيبعث
دجالون كذابون ومن ذلك ما ذكره أبو العلاء صاعد عن
أبي هريرة على ما سبق ذكره فأما قولهم ولا نماري في الدين

ش اي تفكر

قال القاضي أبو حفص الغزنوي معناه لا نخاصم أهل الحق
بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم التماسا لامترائهم وميلهم لأنه
في معنى الدعاء إلى الباطل وتلبيس الحق وقد صح عن رسول
الله صلى الله عليه أنه خرج على أصحابه وهم يتمارون فقال
أنهاكم عن هذا إنما هلك من كان قبلكم المتنطعون يعني
المتعمقين في الكلام وعنه عليه السلام إنما هلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وتفسير هذا ن
ونحوه ما روي في المشاهير أن رسول الله صلى الله عليه
خطب يوما فأكثروا عليه في السؤال فقال رجل أين أنا
يا رسول الله فقال في النار وقال آخر من أبي فقال
فلان ثم غضب فقال لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا
إلا أنبأتكم فجثا عمر على ركبتيه وقال يا رسول الله
أعف عنا يعف الله عنك .. ومن ذلك سؤالهم إياه عن
الساعة وعن القدر ونحو ذلك قال أئمة الهدى ولا
تجوز حمل نهيه عن السؤال عن أحكام الدين وعما يجب اعتقاده
والعمل به فإنه بعث لأجل ذلك ألا ترى إلى ما روي أن
قوما من بني تميم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا ثم أتاه أهل اليمن
فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا
قبلنا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن
أول هذا الأمر ما كان فقال عليه السلام كان الله ولم
يكن شيء غيره فأخبروا أنهم جاؤوه ليتفقهوا في الدين ثم سألوا
عن الحدث والقديم فأخبرهم أنه كان الله ولم يكن شيء غيره
وهو إخبار عن قدم الله عز وجل وأزليته وحدث ما سواه من
الجهات الست والعرش وسائر أقسام العالم ولم ينههم عن ذلك

بل أجابهم بما هو الفرض المتعين على كل مكلف عقلا وشرعا
وقال تعالى فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقد
تضمن هذا النص الأمر بسؤال أهل الذكر وقال تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية وهذا
النص تضمن الأمر بالتفقه في الدين والتفقه في الدين يكون
بالطلب والسؤال قال القاضي أبو حفص الغزنوي
إلا أن من ابتلي بالمماراة أي بالمناظرة ذبا عن حريم الدين أي دفعا
فإنه يعذر فيه إذا كان متمسكا بالسنة ولا يخرجه
ذلك عن السنة والجماعة كمن يكون مع إمام أهل العدل على
قتال أهل البغي والخوارج واحتج إمام الهدى أبو منصور
الماتريدي لجواز المناظرة لإظهار الحق ودحض الباطل
ودفع شبهات المبطلين بقوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم
إلى قوله خبرا قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت إلى
قوله فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر فأخبر أن إبراهيم حاج ذلك اللعين حتى
قطعه قال أبو منصور فدل ذلك على جواز المناظرة
لإظهار الحق ودفع شبهات الباطل وما سبق ذكره من
النهي المروي عن المماراة فهو عن نحو ما تقدم بيانه وبالله
العصمة **وأما قولهم ولا نجادل في القرآن**
قال القاضي أبو حفص قيل أرادوا بهذا أي لا نشتغل
في القرآن بتأويل أهل الزيغ ابتغاء الفتنة حملا على التشبيه
والتمثيل والقول بالجارحة وقيل أرادوا به أي
لا نجادل في وجوه القرآن الثابتة بل نقرأه بكل ما ثبت
فينصرف معنى قولهم إلى نحو ما روي عن حذيفة بن اليمان
وكان في غزو الباب فرأى أمداد أهل البصرة يقرؤن
قراءة يضيفونها إلى أبي موسى الأشعري ∴ ورأى أمداد الشام
يقرؤن قراءة ويضيفونها إلى أبي الدرداء ∴ ورأى أمداد
الكوفة يقرؤن قراءة ويضيفونها إلى ابن مسعود ∴
ويجري بينهم في ذلك مماراة وجدال حتى صار بعضهم يقول
لبعض قراءتي خير من قراءتك فأنكر ذلك عليهم حذيفة
إنكارا شديدا وقال لأشكونكم إلى أمير المؤمنين عثمن
رضي الله عنه وقال إن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل
هذا ثم رحل وقدم المدينة وقال يا أمير المؤمنين أدرك
الناس ثم أخبره بما رأى فجمع عثمن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وأخبرهم بذلك فأجمعوا كلهم على كتبة
القرآن في المصاحف على الأحرف السبعة المنزلة وبعثوا
إلى كل مصر مصحفا وقالوا هذا كتاب ربكم فيحمل قول
أصحابنا رحمهم الله ولا نجادل في القرآن على هذين الوجهين
وأما قولهم ونعلم أنه كلام رب العالمين
نزل به الروح الأمين ∴ قال القاضي أبو حفص الغزنوي
إنما قالوا هذا حسما لفساد قول القرامطة إن القرآن القرامطة الملاحدة
وجد بإلهام غريزي طبعي والدليل على بطلان ذلك قول
الله تعالى تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين
وقوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه
هذا أيضا يبطل قول الملحدة أن النبي صلى الله عليه كان
يصوره في نفسه فينظمه قرآنا وقد تواترت الأخبار أن
جبريل صلوات الله عليه كان يتمثل في صورة إنسان
فيكلمه بالقرآن ويتلوه عليه ويبلغه إليه ∴ ثم هو
صلى الله عليه يقرأه على الناس **وأما قولهم فنعلم أن محمدا سيد
المرسلين** صرحوا بتعليم جبريل إياه إبطالا لتوهم القرامطة

أنه يصوره في نفسه إلهامًا إذ التعليم والتلقين من الملك يكون
إنما ظاهرًا ولا سبيل له على جعله غريزيًا طبعيًا ∴ وأما وجه
سيادته وتقدمه عليهم في الشرف والرتبة فقد تقدم ذكره
فيما مضى وقد ورد أنه كان أولهم مذكورًا ثم صار آخرهم
مبعوثًا فصار مقدمًا ومصدرًا ∴ وفي ذلك دلالة على كونه
أفضلهم ولأنه بعث إلى الإنس والجن جميعًا فقام بنصرة المرسلين
وأحيا سننهم ونشر محاسنهم وذب عنهم ما لا يليق بهم من
أقاويل المبطلين كقوله تعالى وما كفر سليمن ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر على ما ذكر أهل
التأويل في سبب نزوله إن اليهود كانوا ينسبون
إلى سليمن صلوات الله عليه علم السحر فبرأه الله عن
ذلك بكتابه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وهذا كله
من خصال السيادة إذ قيل السيد من يقوم بأمور من يسود
عليهم **وأما قولهم وكلام الله لا يساويه شيء من كلام
المخلوقين** فإنما قالوا ذلك لما سبق بيان كون كلام
الله أزليًا قائمًا بذات الله تعالى إذ هو تعالى حي متكلم
وكان الكلام صفته كالحيوة والعلم فلا يساويه
شيء من كلام المخلوقين إذ كلامهم محدث ولا مساواة
بين الأزلي والمحدث **وأما قولهم ولا نقول بخلقه**
فإنما قالوا ذلك لما قام من البراهين القاطعة على كونه
أزليًا قائمًا بذاته تعالى **وأما قولهم ولا نخالف جماعة المسلمين**
لأنهم أجمعوا على أن كلام الله عز وجل غير مخلوق
وخلاف إجماع المسلمين باطل وضلال ∴ وهذا تصريح من
فقهاء الملة أن من خالف المسلمين فيما يجب اعتقاده لا يكون
في الحقيقة منهم إذ الإسلام هو الانقياد والتسليم لله عز وجل

في كل ما قام الدليل الموجب وهذا كما ذكر القاضي أبو زيد
في كتاب تحديد أدلة الشرع أن صاحب الهوى لا يعتبر
خلافه فيما نسب به إلى الهوى لأنه دليل لا يوجب العلم
وإجماع المسلمين حجة موجبة **وأما قولهم ولا نكفر
أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله** فإنما
أرادوا بأهل القبلة بلام التعريف ما قدموا البيان عنهم بقولهم
ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي
صلى الله عليه معترفين إذ أهل القبلة والتصديق بما جاء به
النبي محمد صلى الله عليه لا أن الفرق التي استقبلت قبلتنا ولم
يدينوا بديننا على ما مر بيان أنواعهم فيكون معنى قولهم ذلك أي
لا نكفر أحدًا من أهل الإيمان والإسلام بذنب ما لم
يستحله وإنما شرطوا استحلال الذنب دون ارتكابه
من غير استحلال لأنه إذا استحل صار رادًا لحكم الله
تعالى لأن التحليل والتحريم في الأصل من صفات الله تعالى إذ
ليس لأحد دونه تحليل شيء ولا تحريمه على الحقيقة فإذا
استحل ما حرمه الله تعالى يكون منازعًا فيما تفرد الله تعالى
به فيكون ذلك منازعة في الربوبية فيكفر بذلك ولأن
حرمة الذنب تثبت بدليل العقل والسمع والحكمة فينتظم
استحلاله الذنب الرد والتخطئة ككفر إبليس حيث
انتظم تخطئة الله تعالى فيما صنع والرد لحكمه وأمره ∴ وأما
امتناعهم عن تكفيره إذا لم يستحل فلأنه متمسك بالإيمان
ومحله القلب وباشر المعصية بجوارحه والمعصية ضد الطاعة
لا ضد الإيمان وإنما ضد الإيمان هو الكفر ومحلهما القلب
فإذا وجد أحدهما بطل الآخر لاستحالة اجتماع الضدين في
محل واحد في وقت واحد وأما المعصية والطاعة فمحلهما

الجوارح فلا تتعدى المعصية عن المحل المباشر لها إلى محل الإيمان
بدون اعتقاد الحل ∴ وأما تعلق الخوارج والمعتزلة خذلهم
الله بقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فلا تعلق للخوارج بالتكفير بالذنب ولا للمعتزلة في تخليد
صاحب الكبيرة في النار على التأبيد لأن الآية محمولة
على الخلود الذي هو طول المكث فيكون الخلود المذكور
كناية عن مكثهم في العذاب مدة مديدة ولأن الله تعالى
لم يقل فنجازيه بل قال فجزاؤه فلا يكون العفو خلفا ∴
وعن ابن عباس قال إنها نزلت فيمن قتل مومنا وارتد
فيكون المعنى ومن يقتل مومنا متعمدا لإيمانه والقاتل متعمدا
لأجل إيمانه يكون مرتدا فيستحق الخلود المؤبد ∴
وأما قولهم ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله
فإنما قالوا ذلك ردا على المرجئة الخبيثة حيث زعموا لا يضر
المومن ذنب لمن عمله وهو خلاف النصوص السمعية فقد ورد
الكتاب بوعيد أصحاب الكبائر ووردت الأخبار
المستفيضة في تعذيب أصحاب الكبائر وشفاعتهم وعلى ذلك
إجماع أهل السنة والجماعة **وأما قولهم ونرجو للمحسنين**
من المومنين فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان ولقوله تعالى جزاء وفاقا والجزاء الوفاق هو
المجازاة على الإحسان بالإحسان وعلى الإساءة بالإساءة
فإن قيل إن النص يدل على يقين الإحسان إذ حرف
الاستفهام من الله تعالى على التقرير والإيجاب لأنه يستحيل
أن يستفهم لأنه لم يزل عالما فلم قالوا نرجو ∴ قيل المجازاة
بالإحسان على التقرير والإيجاب كما ذكرت لكن بشرط
الإتيان به إلى دار الجزاء وهو قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر

أمثالها وقال أيضا ومن يأته مومنا الآية ولا نتيقن من كل
محسن الإتيان بإحسانه فاستعملوا الرجاء لظاهر إحسانهم في
الحال لا على تحقق الإتيان في المآل **وأما قولهم ولا**
نأمن عليهم قال القاضي أبو حفص الغزنوي لم يريدوا
به لا نأمن على زوال الإيمان بكبيرة توجد منهم وإنما أرادوا به
أي لا نأمن عليهم أن يبدر من واحد منهم ما يحبط عمله
من كفر أو نفاق أو ما يحبط ثوابه من عجب أو من
أو كبيرة فيعاقب عليها **وأما قولهم ونستغفر لمسيئهم**
فإنما قالوا ذلك لما أمر المسلمون بالاستغفار بعضهم لبعض
ولما أمرت الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالاستغفار
للمؤمنين فوجب الاقتداء بهم **وأما قولهم ونخاف عليهم**
أي نخاف عليهم كما نخاف على أنفسنا فنستغفر لهم كما
نستغفر لأنفسنا إذ المؤمنون كالجسد الواحد لحكم الإيمان
والتوحيد ∴ وعلى ذلك ورد الخبر ∴ المؤمنون كالجسد الواحد
إذا اشتكى بعضه تداعى باقيه بالسهر **وأما قولهم ولا نقنطهم**
فإنما قالوا ذلك لأنهم على التوحيد والهدى والقنوط من
أوصاف الضالين كقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه إلا
الضالون **وأما قولهم** والأمن والإياس ينقلان
عن الملة لأن الله تعالى وعد وأوعد وهو قادر عليهما ففي
الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة وفي الإياس عن
الرحمة ظن العجز عن العفو والمغفرة وكل واحد منهما
ناقل عن الملة **وأما قولهم وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة**
يعنون بالسبيل بينهما الوقوف من الخوف والرجاء إذ هو
حقيقة العبودية قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا
وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال لو وزن

خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وقال تعالى يرجون رحمته
ويخافون عذابه وقال يدعوننا رغبا ورهبا **وأما قولهم**
ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه بمعناه
أنهم بالتصديق والقبول دخلوا في الإيمان فالخروج منه
نعوذ بالله العظيم يكون بالرد والتكذيب والأصل في هذا
أن الدخول في الإسلام يكون بإيمان الجملة وهو التصديق
بوحدانية الله تعالى وبما جاء به محمد من عند الله وجميع ما يجب
اعتقاده فقد دخل تحت هذه الجملة فالعبد مؤمن بإيمان
الجملة لا يخرج منه إلا بجحود كله أو بجحود شيء منه عند ه
التفصيل إذ رد بعضه كرد كله .. وذكر القاضي
أبو حفص الغزنوي في هذا معنى جامعا فقال ينظر كل
ما يتيقن بأنه ردة فإنه يحكم بها وكلما يشك في كونه
ردة لا يحكم بها لأن الإسلام الثابت لا يزول بالشك فيعتمد
الحاكم والمفتي التثبت فيما ينتهي إليهما في هذا وهذا الباب
كما ذكر عن بعض مشايخنا أنه قال إن رسول الله
صلى الله عليه أمر أن يقاتل الناس بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله فلا تخرجهم أنت بلسانك أي لا
تفت بردة أحد إلا بما تتيقن أنه ردة **ثم ذكر الطحاوي**
قولهم في إيمان الجملة فقالوا الإيمان هو الإقرار باللسان
والتصديق بالجنان وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن
وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه من الشرع والبيان
كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل
بينهم بالحقيقة والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى والمؤمنون
كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم عند الله تعالى أطوعهم له ه
وأتبعهم للقرآن **أما قولهم** والإيمان هو الإقرار باللسان

والتصديق بالجنان قال القاضي أبو حفص أرادوا
بهذا ظاهر الإيمان الذي يوقف عليه وتعلق به أحكام
الإيمان يدل عليه قولهم والتصديق بالجنان إذ مجرد
الإقرار لا يكون إيمانا بدليل قوله تعالى وما هم بمؤمنين
وقد كانوا يقولون آمنا بألسنتهم فلم يكن ذلك إيمانا حيث
نفى الله تعالى عنهم الإيمان وأخبر أن محل الإيمان
هو القلوب فقال تعالى يقولون بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
وكانوا يعترفون بألسنتهم دون التصديق بقلوبهم فلم يكن
مجرد إقرارهم إيمانا وقال تعالى ولما يدخل الإيمان في
قلوبكم فثبت أن الإيمان هو التصديق بالقلب
وأن الإقرار باللسان لتعليق الأحكام ولا اطلاع على ما
في القلوب إلا لرب العالمين **وأما قولهم** وأن جميع
ما أنزل الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ه
قال القاضي أبو حفص الغزنوي إنما ذكروا هذا الفصل
تأكيدا ومبالغة في المواضبة على الإيمان بطريق الإجمال
ليكون إيمانه محتويا على كل ما يجب أن يؤمن به جملة
ولهذا قال المحققون من علماء الأصول إن الإيمان
في تحقيق التحصيل هو الإيمان بالله وبجميع ما جاء به محمد
من عند الله وقد احتوى قول فقهاء الملة وأن جميع ما أنزل
الله تعالى في القرآن على الإيمان بحدث العالم وثبوت
الصانع ووحدانيته وقدمه وكمال صفاته وتعاليه عن
سمات الحدث والإيمان بكتبه المنزلة على رسله ووعده
ووعيده وما أنزل من المثلات بمكذبي أنبيائه ورسله
وجميع ما ذكر في القرآن فذلك كله حق يجب التصديق والاعتقاد

بحقيقته وكذلك جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه بالنقل
المتواتر من جميع أحكام الشرع وجميع ما صح عنه من بيان مصالح
الدارين فذلك كله حق يجب اعتقاد حقيقته إذ
قامت البراهين العقلية والمعجزات القاهرة والحجج الواضحة
من الكتب السالفة على كونه رسول رب العالمين وعلى
عصمته من الخطأ والزلل في كل ما يخبر ويقول وأنه
لا ينطق عن الهوى في كل ما بين ويشرع إلا وحي يوحى
وأما قولهم والإيمان واحد فإنما قالوا ذلك لأن
الأصل في الإيمان هو الإيمان بالله تعالى وجميع ما يجب
أن يؤمن به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر
وغير ذلك فهو كله داخل تحت الإيمان بالله تعالى إذ
هو رب العالمين وما سواه فهو محدث مملوك له ملك
إيجاد وتخليق فهذا معنى قولهم الإيمان واحد والأصل في
ذلك قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى والوثقى هي الوكادة التامة فصار الإيمان
بالله جامعا لكل ما يجب أن يؤمن به إذ كل ذلك له ومنه
فلا تزول الوكادة التامة الثابتة بشهادة هذا النص
إلا بجحود شيء مما تضمنه إيمان الجملة **وأما قولهم وأهله في
أصله سواء** قال القاضي أبو حفص الغزنوي أرادوا بهذا
أن أهل السماء وأهل الأرض في أصل الإيمان على السواء إذ
إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد وكذا إيمان
الأولين والآخرين واحد وهو التصديق بوحدانية الله تعالى
وبكل ما يجب الإيمان به جملة لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وأهل الإيمان في
هذا الأصل سواء من حيث التبري من الكفر والدخول في الإيمان

ومن حيث أداء الإيمان ولا يكون إيمان الأولين غير إيمان
الآخرين إذ كلهم آمنوا بألوهية الله تعالى ووحدانيته وقدمه
وقدرته وما جاء من عنده وهكذا فسر أبو حنيفة
رحمه الله في كتاب العالم والمتعلم فقال إن إيماننا
مثل إيمان الملائكة لأنا آمنا من وحدانية الله تعالى
وربوبيته وقدرته وما جاء من عند الله عز وجل بمثل ما أقرت
به الملائكة وصدقت به الأنبياء والرسل فمن ها هنا إيماننا
مثل إيمانهم لأنا آمنا بكل شيء آمنت به الملائكة مما عاينته
من عجائب آيات الله تعالى ولم نعاينه نحن وكذا آمنا
بكل شيء آمنت به الأنبياء والرسل ولهم بعد ذلك علينا فضائل
في الثواب على الإيمان وجميع العبادات لأن الله تعالى
كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم وصلاتهم ونبوتهم
وجميع أمورهم لأنهم القادة وهم أمناء الرحمن ولا يدانيهم أحد
من الناس في عبادتهم وخوفهم وخشوعهم وتحملهم المؤنات في
ذات الله تعالى ولأن من أدرك من الناس بإذن الله تعالى
الفضل فإنما أدرك بهم فلهم مثل أجور من يدخل الجنة بدعائهم
هذا كله من كلام أبي حنيفة رحمه الله في كتاب العالم والمتعلم
وأما قولهم والتفاضل بينهم بالحقيقة والتقى ومخالفة
الهوى وملازمة الأولى قال أبو حفص الغزنوي
عنوا بالتفاضل التفاوت في أوصاف الإيمان من الثقل
والاستنارة والضياء كما ورد في الخبر لو وزن إيمان أبي
بكر وإيمان أمتي لرجح عليهم وكما ورد في الخبر يخرج
من النار من كان في قلبه وزن ذرة من إيمان وكذا
كله بيان لثبوت التفاوت في ثواب الإيمان وأما قوله
تعالى ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فقد روي عن ابن عباس أنه

قال في تأويل هذه الآية إنهم آمنوا بما أنزل الله تعالى أولاً ثم أنزل
الله تعالى فريضة أخرى أو حكماً آخر فآمنوا زيادة على ما آمنوا به
قال أبو حنيفة فيكون الإيمان عند الشرح والتفصيل
على ما تقدم منهم من إيمان الجملة زيادة تصديق على تصديق
وكذى ذكر علماء التحقيق في قوله تعالى ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم فقالوا إن تكرار الإيمان في كل وقت وساعة
يكون زيادة إيمان على إيمانهم فيكون إيمان ابن ثلثين
سنة أزيد إيماناً من إيمان ابن عشرين سنة كذى ذكره
سيف الحق أبو المعين في كتاب تبصير الأدلة وأما
قولهم والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم عند الله
تعالى أطوعهم له وأتبعهم للقرآن فإنما قالوا هم أولياء الرحمن
لقول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا ولقوله ذلك بأن الله
مولى الذين آمنوا وأما قولهم وأكرمهم عند الله فإنما قالوا ذلك
لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا فضل لعربي على عجمي ولا
لأبيض على أسود إلا بالتقوى وهذا منهم إخبار بأن ن
التفاضل والتفاوت بين المؤمنين في الدرجات إنما يكون
في الطاعة لله عز وجل واتباع القرآن ثم ذكر ن
الطحاوي قولهم في إيمان الشرح والتفصيل فقالوا
على نسق ما تقدم ذكره وإن الإيمان هو الإيمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره
من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين
أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به قال
القاضي أبو حفص وغيره إنما قالوا هذا الفصل تفصيلاً لإيمان
الجملة وذلك لقوله تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين أحد من رسله إلى قوله وإليك المصير
وهذا هو اليوم الآخر ∴ ولقوله تعالى قولوا آمنا بالله وما
أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ∴ ولما
روي في الخبر المشهور المتواتر بعبارات فيها تقديم وتأخير
ومعانيها متفقة فروى نصير بن يحيى عن أبي مطيع الحكم
ابن عبد الله في كتاب الفقه الأكبر قال أبو مطيع ن
قلت لأبي حنيفة رحمة الله عليه أخبرني عن الإيمان قال
تذكر حدثني علقمة بن مرثد عن يحيى بن يعمر قال قلت
لابن عمر أخبرني عن الدين ما هو قال فأخذ بيدي فانطلق
بي إلى الشيخ فأقعدني إلى جنبه وكان ممن شهد بدراً مع ن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ابن عمر لقد كنت
إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشيخ معي إذ دخل
علينا رجل حسن اللمة متعمماً نحسبه من رجال البادية فتخطأ
رقاب الناس فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه
فقال يا رسول الله ما الإيمان فقال شهادة أن لا إله إلا
الله وأن محمداً عبده ورسوله وتؤمن بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله فقال صدقت فتعجبنا
لتصديقه رسول الله صلى الله عليه مع جهل أهل البادية ثم قال
يا رسول الله ما شرايع الإسلام فقال إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة
وصوم شهر رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة فقال
صدقت فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله صلى الله عليه كأنه
يعلمه ثم قال يا رسول الله وما الإحسان قال أن تعمل لله

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقال صدقت ثم قال
يا رسول الله متى الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم من السايل
ثم قفا فلما توسط الناس لم ير فقال النبي صلى الله عليه إن
هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم قال أبو مطيع قلت
لأبي حنيفة فإذا استيقن بهذا وأقر به فهو مؤمن فقال
نعم قال الإمام الناصري وفي بعض طرق هذا الحديث
أن السايل قال أخبرني عن الإيمان فقال النبي صلى الله
عليه الإيمان أن تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله قال صدقت ثم
قال أخبرني عن الإسلام فقال الإسلام أن تشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي
الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه
سبيلا الحديث إلى آخره ∴ وفي رواية محمد بن الحسن
قال حدثنا أبو حنيفة رحمه الله قال حدثنا
علقمة بن مرثد الحضرمي عن يحيى بن يعمر قال بينما نحن
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيت ابن عمر
قاعدا في جانبه فقلت لصاحبي هل لك أن نأتي ابن عمر
نسأله عن القدر قال نعم قلت دعوني حتى أكون أنا الذي أسأله
فإني أرفق به منكم فأتيناه فقعدنا إليه فقلت يا أبا عبد
الرحمن إنا قوم نتقلب في هذه الأرضين فربما قدمنا
البلد به قوم يقولون لا قدر قال أبلغهم أني بريء منهم
وأني لو اجد أعوانا لجاهدتهم قال ثم أنشأ يحدثنا قال
بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من الصحابة
إذ أقبل شاب جميل حسن اللمة طيب الريح عليه ثياب
بياض فقال السلام عليكم يا رسول الله السلام عليكم فرد النبي

صلى الله عليه ورددنا ثم قال أدنو يا رسول الله قال ادنه فدنى
دنوة أو دنوتين ثم قام موقرا له فقال أدنو يا رسول الله
فقال ادنه فدنى حتى جلس فألصق ركبته بركبة
رسول الله صلى الله عليه ثم قال أخبرني عن الإيمان ما هو
قال الإيمان أن تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله قال صدقت
فتعجبنا لقوله صدقت كأنه أعلم منه قال فأخبرني
عن شرايع الإسلام ما هي قال إقام الصلوة وإيتاء الزكوة
وصوم رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة قال
صدقت قال فتعجبنا لقوله صدقت كأنه يعلم قال
فأخبرني عن الإحسان ما هو قال أن تعمل لله كأنك
تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت فتعجبنا
لقوله صدقت كأنه يعلم قال فأخبرني عن قيام الساعة
متى هي قال ما المسؤول عنها بأعلم من السايل قال
صدقت قال فتعجبنا لقوله صدقت فانصرف ونحن نراه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم علي بالرجل فسترنا في إثره
فما ندري أين توجه ولا رأينا شيئا فذكرنا ذلك للنبي
صلى الله عليه فقال هذا جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم
ما أتاني في صورة قط إلا أنا أعرفه فيها قبل هذه الصورة
قال الإمام الناصري هذا حديث صحيح مشهور قبله
الحفاظ وعلماء الأصول وقد تضمن المسايل الاعتقادية
وأصول شرايع الإسلام وفيه دلالة من دلايل الرسالة وهو
ظهور جبريل عليه السلام في صورة رجل من أهل البادية
ثم انتصب سايلا عن معالم الدين ثم تغيب عنهم وهم ينظرون
إليه ثم أخبر عن كونه جبريل من شهدت المعجزات برسالته

وعصمته فكان السائل جبريل الأمين والمفتي رسول رب ۝
العالمين وفيه أن الإيمان بالقدر من معالم الدين وترك
الإيمان بالقدر مما يوجب التبري منه ولذلك تبرى ابن عمر
ممن نفى القدر وفيه دليل أن الإيمان هو الإقرار والتصديق
وأن العمل شرايعه وفي رواية أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده
أن السائل قال في فصل الإيمان فإذا قلت هذا فأنا
مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ولم يقل إن شاء الله

ثم ذكر الطحاوي قولهم في أصحاب الكباير ۝

فقالوا وأهل الكباير في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون
وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله تعالى عارفين وهم في
مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفى عنهم كما ذكر عز [بفضله]
وجل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وإن شاء عذبهم في النار بقدر اعما جنايتهم بعدله ثم
يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم
إلى جنته ذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته ولم يجعلهم
في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا
من ولايته ∴ اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا ۝
بالإسلام حتى نلقاك به **أما قولهم وأهل الكباير لا يخلدون**
في النار إذا ماتوا وهم موحدون فقد احتجوا لذلك
بقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
قال الشيخ أبو منصور وجميع علماء أهل السنة والجماعة
هذه الآية حجة لنا على الخوارج فإن بعضهم يقولون إن
الذنوب كلها إشراك بالله تعالى فمن ارتكب ذنبا صغيرا أو
كبيرا فإنه يكفر ∴ وبعضهم يقولون إن الكباير منها شرك
وكفر دون الصغاير ∴ أما وجه الحجة على الفريق الأول

من الخوارج فلأن الله تعالى فصل بين الشرك وبين ما دونه وأخبر
أن الشرك غير مغفور وأطمع في مغفرة ما دونه حيث علق
غفرانها بالمشية وجائز الوجود يتعلق بالمشية دون الممتنع وجودا
ولو كان الكل إشراكا لم يكن للتفصيل والقسمة معنى وكان
يكون خلفا في خبر الله تعالى عن ذلك وأما الحجة على
الفريق الثاني فلذلك لأنهم إنما جعلوا الكبيرة شركا لمعنى
وذلك المعنى موجود في الصغيرة وهو قولهم إنه نقض ما عاهد
الله أن لا يعصيه ولا يخالف أمره والذنب سواء قل أو كثر
فهو عصيان فإما أن يلزمهم القول بالإشراك بسبب
الصغيرة بهذا المعنى فتكون الآية حجة عليهم أو يلزمهم
أن يمتنعوا عن إطلاق اسم الشرك على الكبيرة بهذا المعنى
كما في الصغيرة فتدخل الكبيرة تحت قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فتكون الآية حجة عليهم ∴ وأما المعتزلة
فإنهم قالوا إن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل
في الكفر وإذا لم يدخل صاحب الكبيرة تحت قوله إن الله لا يغفر
أن يشرك به يجب أن يدخل تحت قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء لأن قوله ما دون ذلك عام مطلق فيجب
العمل بعمومه وإطلاقه وأنه يقتضي أن ما دون الكفر من الذنوب
جائز المغفرة فإنه تعالى أطمع في مغفرتها حتى علقها بالمشية
وما لا يجوز غفرانه في العقل لا يجوز ورود القول به وتعلقت
المعتزلة بقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فدل أن أصحاب الكباير لا يدخلون تحت المشية فيحتمل
أن يدخل تحت المشية أصحاب الصغاير وقد عرفنا دخولهم تحتها
بقوله إن تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قلنا لهم
قوله لمن يشاء وعد من الله تعالى المغفرة والصغاير عندكم مغفورة

بالحكمة عند اجتناب الكبائر فنعلم إذاً مغفرة الصغائر بالعقل
وقد ثبت أن الكفر لا يدخل تحت مشيئة المغفرة والصغائر مغفورة
بالعقل ولا تجوز مؤاخذتها فإذا لم تدخل الكبائر تحت هذا النص
يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى وذلك محال فثبت أن
الكبائر هي الداخلة تحت النص وأما قولهم يكونوا ان
وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين
وهم في مشيئته وحكمه أن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم وهو
مذهب أهل السنة والجماعة أن الكبائر والصغائر كلها في مشيئة
الله تعالى إن شاء عذب عليها بعدله وإن شاء عفى عنهم وكفرها
بمامعه من الإيمان وقالت المعتزلة إن الكبائر
لا يجوز غفرانها بغير توبة ولنا قوله تعالى إن الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة
لما دون الشرك وقرنه بالمشية ولقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وهذا نص صريح
فهم منه أهل الحق كبائر الذنوب وأما قولهم وإن شاء
عذبهم في النار بقدر جناياتهم بعدله فإنما قالوا هذا رداً على
المرجئة الخبيثة حيث يزعمون أن المؤمن لا يدخل النار
وقد دلت نصوص الوعيد من الكتاب والسنة على جواز
تعذيب صاحب الكبيرة بقدر ذنبه وبه قال أهل الحق
وأما قولهم ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين
من أهل طاعته ∴ فإنما قالوا ذلك بدلالة نصوص الشفاعة
من الكتاب والسنة المشهورة وفيها خروج صاحب الكبيرة
من النار فيكون رداً على المعتزلة وأما قولهم ذلك
بأن الله مولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل
نكرته ∴ فإنما قالوا ذلك لما دلت الدلائل العقلية والسمعية

على انتفاء التسوية بين المؤمن والكافر منها قوله تعالى أم حسب
الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون أخبر أنه لا يسوي بين الفريقين
ثم صرح أن أحدهما هم الذين آمنوا وكان الفريق الآخر
هم الذين كفروا وقد نفى التسوية بينهما في المحيا والممات وصاحب
الكبيرة ممن آمن وعمل الصالحات ولقول النبي صلى الله عليه
وسلم حين نادى منادي المشركين يوم أحد فقال لنا هبل
ولا هبل لكم الا تجيبونه فقالوا ما نقول فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى للكافرين معناه
الله معيننا وناصرنا ومتولي أمورنا ٥ قال الإمام الناصري
وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى
للكافرين دلالة من دلائل الرسالة فإنه أمرهم بأن يقولوا
ذلك في حال الضعف والخوف وقد كان ابتلى المسلمون
بالهزيمة بسبب خلاف ومنازعة كانت من بعضهم وفيه إخبار
بأن عاقبة الأمر للمسلمين وأن الله ناصرهم ثم حقق الله تعالى
لهم حسن العاقبة وفتح عليهم مكة قد دخلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عشرة آلاف مقاتل بعد ما اضطر إلى الخروج منها
مهاجراً مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وحيداً فريداً ولأن الحكمة
توجب تفضيل أهل المعرفة على أهل النكرة فلو خلدهما جميعاً
في النار بطلت التفرقة وثبتت التسوية فثبت التفرقة بين
أهل المعرفة والنكرة بدلالة السمع والحكمة وأما قولهم اللهم
يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك به
فإنما طلبوا الثبات على الإسلام إلى الموت لأن السعادة
الأبدية تحصل به وخلقت هذه الدار مطية إليها ولزمت
التكاليف لأجلها فوجب طلب الثبات على ما به يتوصل إليها

الهبل الصنم

وهو لقاء الله تعالى بالإسلام ولذلك طلب ذلك خيار الخليقة قال
يوسف صلوات الله عليه حين استقر في الملك واجتمع بالأحبة
رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر
السموات والأرض الى قوله توفني مسلما وكذى غيره ولأن
المؤمن بين الخوف والرجاء إلى الموت على ملة الإسلام فوجب
الاهتمام بسؤال الموافاة بالإسلام **ثم ذكر الطحاوي**
قولهم في معاملة أهل القبلة في حياتهم ومماتهم فقالوا ونرى
الصلوة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات
منهم ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ولا نشهد عليهم بكفر
ولا بشرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم شي من ذلك ونذر سرايرهم
إلى الله تعالى ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم الا من وجب عليه السيف **اما قولهم** بجواز
الصلوة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة فانما قالوا
ذلك لأن الامتناع من الصلوة خلف أهل القبلة يورث
تهمة البدعة والقول باكفار أهل الكباير وقد قام
الدليل على فساد ذلك ولأن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يصلون خلف الجبابرة من بني أمية
وعن ابن عمر قال اذا دعونا إلى الرحمن أجبناهم وإذا
دعونا إلى الشيطان تركناهم **وأما قولهم** وعلى من مات
منهم فانما قالوا ذلك لأنا ندبنا إلى الاستغفار لأهل القبلة
والصلوة على الميت استغفار له وشفاعة وقد أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة على ماعز وأما قطاع الطريق
وأهل البغي إذا قتلوا في حال المحاربة لم يصل عليهم فلأنهم من
أهل اللعن والصلوة ضد اللعن ولأنهم باينوا المسلمين بالحرب
والدار فالحقوا بترك الصلوة عليهم عقوبة ؞ وأما من يقتل

الناس غيلة لأخذ أموالهم فهو ساعي في الأرض بالفساد كقطاع
الطريق فالحق بهم بترك الصلوة عليه **وأما قولهم**
ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا فلأن ذلك اخبار عن
الغيب وذلك لا يكون الا بطريق الوحي ولا وحي بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولأن تبدل الأحوال في حق غير
الأنبياء عليهم السلام في أحاد المحسنين والمسيين جاين على ما
يكون سبق في علم الله تعالى وذلك غيب عنا فيكون
إنزال المحسن بظاهر حاله الجنة قولا بما لا علم له وذلك لا يجوز
وكذى إنزال المسيء بظاهر حاله النار يكون تأليا على
الله عز وجل وذلك باطل محظور وعن علي رضي الله عنه
أنه قال لا تنزلوا العارفين المحبين الجنة ولا المسيين
النار حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزلهم **وأما قولهم**
ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا نفاق ٥ فانما قالوا
ذلك لأن الطعن بذلك من غير ظهور ذلك يكون ظنا واتباع
الظن محظور قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
إن بعض الظن اثم ولأنه تتبع لما خفي علمه وذلك حرام
قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ن وقال
بعض أيمة التحقيق إذا سيل عن المؤمن المحسن بعينه أين هو
فالجواب أن يقال ان مات على الايمان وأداء الفرايض
والواجبات تايبا من الكباير مستغفرا من الصغاير فهو في الجنة
وإذا سيل عن جماعة المسلمين أين هم فالجواب أن يقال
هم في الجنة لقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجري من تحتها الأنهار ؞ وإذا سيل عن كافر مشار إليه
يقول ان مات على كفره فهو في النار ؞ وإذا سيل عن جماعة
الكافرين فالجواب أن يقول هم في النار لقوله تعالى إن الفجار

المحكوم (?)

المحبين هم المتواضعين

القول بالجزاء عن حال المحسن والمسيء (?)

لفي جحيم **وأما قولهم ونذر سرائرهم إلى الله تعالى** فلأنه
هو المطلع عليها دون العباد فوجب تفويض ذلك إليه
**وأما قولهم ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم إلا من وجب عليه السيف** فإنما قالوا ذلك
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم
إلا بحقها ومعنى قوله إلا بحقها الردة والقصاص وإذا أجتمع
جماعة على قتال أهل العدل وبدؤا بالقتال أو اجتمع أهل
بلدة أو قبيلة على ترك فريضة من فرايض الله تعالى كما فعلت
ذلك قبايل العرب بمنع الزكوة حتى قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه
ثم ذكر الطحاوي قولهم في طاعة أولي الأمر فقالوا ولا
نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا
عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله
تعالى فريضة .. فإنما أرادوا بذلك إذا دعوا الرعية إلى طاعة
الله عز وجل وما فيه مصلحة العامة وأما إذا دعوا إلى المعصية
فلا طاعة وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق **ثم ذكر الطحاوي قولهم في كون الصبر
والدعاء للولاة بالصلاح أفضل** فقالوا وندعوا لهم بالصلاح
والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف
والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور
والخيانة ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه **أما
قولهم** وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة فهذا منهم بيان أن
الدعاء لهم بالصلاح أصلح من الدعاء عليهم فإنما قالوا ذلك
لما في الدعاء لهم بالصلاح من المصالح المتنوعة من رجاء
الإجابة وفيها عموم الصلاح للوالي والرعية والتألف لقلوبهم

والتسكين لما بهم من الفساد **وأما قولهم** والمعافاة أي وندعوا لهم
بالمعافاة وهي شاملة لمصالح الأديان والأبدان ففي صلاح
دينهم صلاح دين الرعية لأنهم إذا صلحوا في دينهم حملوا الرعية
على أوامر الشريعة فحازوا الجزيل الثواب وجميل الذكر
على مدى الأعقاب وإذا صلحوا في أبدانهم قدروا على القيام
بما حملوا من أمانة الله عز وجل فيما استرعاهم فقد صح عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال السلطان راع على الناس
وهو مسئول عنهم وعنه صلى الله عليه أنه قال اللهم من
ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم
فاشقق عليه **وأما قولهم ونتبع السنة والجماعة** فإنما قالوا
ذلك لأن السنة طريقة الرسول وهي المفضية إلى الجنة
وحسن العاقبة فمن سلكها أفضت به إلى النجاة من العقوبة
والفوز بالجنة إذ هي طريقة من قامت الآيات والبراهين
على كونه رسول الله وإنما بعث ليقتدى به قال الله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيجب سلوك طريقته واتباعها
وكذلك يجب اتباع الجماعة الداعية إلى طريقة الرسول
وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ثم الذين اتبعوهم
بإحسان فاتباعهم هدى وخلافهم بدعة وضلال
وأما قولهم ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة
فإنما قالوا ذلك لما سبق بيانه غير مرة أن إجماع الأمة الهادية
وهم الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم حجة من
حجج الله تعالى موجبة للعلم قطعا بالدلايل المذكورة في صدر
الكتاب في فصل الإجماع وقد توعد الله تعالى من تولى عن
اتباع سبيل المؤمنين بجهنم وهو قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ونصله جهنم وسبيلهم إجماعهم وقد توعد بالنار على ترك سبيل
المؤمنين كما توعد بها على مشاقة الرسول وقد تواتر الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تجتمع أمتي
على ضلالة أبدا وقال صلى الله عليه وسلم من فارق
الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فثبت بالدليل
القاطع أن خلاف السنة والجماعة بدعة وضلال لأن السنة
إذا تواتر ورودها صارت كالمسموع من الرسول ∴ وأما
إجماع السلف الصالح فقد ثبت كونه حجة بدليل قطعي
وعقلهم في إصابة الحق قد تأيد بالدليل القاطع فعصموا عن الخطأ
في اجتهادهم وعقل من خالفهم من بعدهم لم يتأيد بالدليل
القاطع فلذلك زاغ عن الحق والهدى من خالف إجماعهم
فعلا كان أو قولا وبالله التوفيق والعصمة **وأما قولهم**
ونحب أهل العدل والأمانة قال القاضي أبو حفص
أرادوا بأهل العدل والأمانة أهل السنة والصيانة من
المسلمين والمتمسكين بالعدل من ولاة الأمور ∴ وأرادوا
بأهل الجور والخيانة أهل الخلاف والعصيان منهم والجائرين
من ولاتهم وأرادوا بالحب والبغض حب أفعالهم وبغض
أفعالهم لا ذواتهم كما قال تعالى والله لا يحب الفساد
وقال إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين أي يحب
التوابين لأجل التوبة لأنه يحب التوبة من عباده ∴ وكذا
قوله ويحب المتطهرين لأجل تطهرهم لأنه يحب الطهارة ∴ وإنما
وأما قولهم ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه
ذكروا هذا تأكيدا لما سبق ببيانه لئلا يتشكك العبد عند
ما يشتبه عليه لأن حل جميع المشكلات غير ممكن فيجب
التفويض إلى الله تعالى ويعتقد الحقية في كل ما ثبت عن الله

تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ويعرف يقينا أن عقول الخلق
قاصرة عن الحكم البشرية فكيف تدرك جميع الحكم الربوبية ∴
وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول أيها الناس
اتهموا آراءكم وأحسنوا الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروى لكم عنه ومعناه ما ذكرنا وقال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ربي أعلم بعدتهم وأخبر عن أولئك
الخواص بقوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض
يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم قالوا ذلك لحين اشتبه عليهم مدة
لبثهم **ثم ذكر الطحاوي قولهم في شدة الاعتماد على ما ثبت بالنقل**
إذا كان متواترا أو مشهورا حتى ألحقوه بالعقائد **فقالوا ونرى**
المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر قال
القاضي أبو حفص وإنما ذكروا هذا مع كونه من أحكام الفقه
لتواتر الأخبار بذلك ولعمل الصحابة والتابعين بها حتى
روي عن الحسن أنه قال أخبرني سبعون رجلا من
البدريين أنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على خفيه
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوم على مسح خفيه حتى
قبض وعن أبي الحسن الكرخي أنه قال إني لأخشى الكفر على
من لا يرى المسح على الخفين وقد قرئ قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم بقراءتين بنصب اللام عطفا على المغسول وخفضها
عطفا على الممسوح والآية إذا قرئت بقراءتين تصير كآيتين
فإن أمكن العمل بهما جميعا معا عمل بهما ولا يمكن الجمع بين
الغسل والمسح في حالة واحدة والعمل بهما في حالتين ممكن فلما
تواترت الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوم
على مسح خفيه حالة التخفف زال الإشكال وتبين حكم
القراءتين وقد امتنع بعض المبتدعة عن ذلك فخرج الحكم بتواتر

[illegible]

الأخبار وإجماع السلف عن خير المجتهدات والتحق بالأصول
فلذلك ذكره فقهاء الملة أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد
في فصول العقائد ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحج ه
والجهاد إذ هما من شعائر الإسلام وليس لهما وقت معين
فقالوا والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين
بارهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما
أما قولهم في الحج والجهاد إنهما ماضيان فهذا منهم بيان
بأن الحج وإن كان فرضا على كل مكلف في عمره مرة
واحدة لكنه سفر جهاد بالمال والبدن عند القدرة وهو
من شعائر الإسلام فكان كجهاد العدو حتى قال بعض
مشايخنا في تصنيف له إن الكافر إذا أحرم مع المسلمين
ووقف بعرفات وقضى المناسك فإنه يحكم بإسلامه
لكون الحج من شعائر الإسلام فنستدل بذلك على تبدل
ما كان يعتقده من الكفر لأن الإسلام في الحقيقة
اعتقاد دين الحق وكذا الكفر اعتقاد دين الباطل
وإنما يوقف عليهما بالدليل إذ الإقرار بالتوحيد دليل على
وجوده في القلب وكذلك قال مشايخنا إذا قال
الحربي الوثني أنا مسلم يقبل منه ويجعل ذلك منه إسلاما
بخلاف الكافر الكتابي لأن الأول يعتقد مطلق
الكفر والثاني كافر برسالة بعض الرسل متشبثا ه
باليهودية أو بالنصرانية فما لم يوجد منه الإيمان برسالة
من كفر به مع التبري من دينه الباطل لا يحكم بإسلامه
فكان الحج كالجهاد وأما الجهاد فهو من خصائص
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو دعاء إلى دين الله عز وجل
وتوحيده قال الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال

المفسرون معناه حتى لا يكون شرك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى حتى يقاتل آخر
أمتي الدجال وأما قولهم مع أئمة المسلمين فإنما قالوا ذلك
لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس
ضابط فيهما يسوس الناس ويقاوم العدو وأما قولهم
مع بارهم وفاجرهم فإنما قالوا ذلك لأن العصمة غير شرط
في الإمارة لأنه مكلف بالجري على شريعة معصومة
تثبت بالحجج والبراهين فلا يقع بفجوره التباس وروي
عن علي رضي الله عنه أنه قال لا بد من الإمارة برا كان
أو فاجرا فإن كان برا أقيمت به الحدود ونفذت به
الأحكام وإن كان فاجرا تؤمن به السبل وتحسم به
مادة السراق وعلى ذلك إجماع أهل السنة والجماعة ه
وأما قولهم ماضيان إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء
ولا ينقضهما فهذا منهم بيان أن كثرة المؤنة وبعد
الشقة والخوف الناشئ من الأراجيف لا يكون عذرا مسقطا
فرضيتهما فيبطل ما ذكر عن بعض المتأخرين في الحج
إنه يسقط بالخوف من قطاع الطريق ونحوه فلهذه الوجوه
المذكورة في شأنهما ألحقوهما بفصول العقائد ثم ذكر
الطحاوي عقيدتهم في الحفظة وفي ملك الموت وفي عذاب
القبر ونعيمه وفي سؤال منكر ونكير للميت ه ه ه
فقالوا ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله تعالى
جعلهم علينا حافظين ونؤمن بملك الموت الموكل
بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر ونعيمه لمن كان
له أهلا وسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه
ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار **أما قولهم**
ونؤمن بالكرام الكاتبين فإنما قالوا ذلك لقول الله تعالى
ولما ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما النص فهو قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون فهذا نص صريح في إثبات
الحفظة وكتبة أعمال بني آدم وهو في حق الحفظة محنة
امتحنهم الله تعالى بها كما امتحن بعضهم بالكون مع السحاب
وبعضا منهم جعلهم رسلا إلى العباد فهذه محن تعبدهم بها إذ
الله تعالى عالم لم يزل قادر لم يزل غني بذاته لم يزل
وقد كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ جميع ما يكون
وجميع ما تفعل العباد قبل خلقهم ثم إن النقل قد ثبت
بأن الحفظة إذا صعدوا يقابلون ما كتبوا بما في اللوح
المحفوظ ولا يزداد ولا ينتقص عما في اللوح المحفوظ فيكون
ذلك من آيات علمه الأزلي عليهم ثم يثبت ما فيه الثواب
والعقاب ويمحى ما ليس فيه ثواب ولا عقاب وأما وضع
الحفظة فيما يرجع إلى العباد فمن الحكمة في ذلك الزيادة في
ترغيبهم في الخيرات وتحذيرهم عن ارتكاب السيئات
إذ جميع ما تكتب الحفظة من خير وشر عملوه فإنهم يقرؤونه يوم
القيمة ويجازون عليه فيبعثه ذلك في الدنيا على الازدياد
من الخير والكف عن الشر ولأن في الشاهد من علم أن
عليه رقيبا وحافظا تحفظ عليه أفعاله ويراقب أحواله كان
أحذر في التنبه والتيقظ وأما الأخبار عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكثيرة متواترة **وأما قولهم ونؤمن بملك**
الموت الموكل بقبض أرواح العالمين فإنما قالوا ذلك
لثبوته بالكتاب والخبر المتواتر أما الكتاب فقوله تعالى قل

يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فقد صرح تعالى بتوكيله ملك
الموت على قبض أرواح الخلق كما صرح بجعل الملائكة حافظين
علينا فوجب الاعتقاد بحقيتهما وأما الأخبار في كون ملك
الموت موكلا بقبض الأرواح وله أعوان يجعلون معه
فقد وردت متواترة مستفيضة **وأما قولهم ونؤمن بعذاب**
القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا فإنما قالوا ذلك لأنه دل
عليه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال
أيضا مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا ومن أنكر عذاب القبر
تعلق بقوله تعالى قالوا من بعثنا من مرقدنا والجواب
عن تعلقهم به قال أهل التأويل هو رقودهم بين النفختين
وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثبوت
عذاب القبر وتنعيمه لمن كان لذلك أهلا وهو مذهب
أهل السنة والجماعة فيجب الاعتقاد بثبوت ذلك
وأما قولهم بسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه
ودينه ونبيه **وقولهم** بأن القبر روضة من رياض الجنة
أو حفرة من حفر النيران فإنما قالوا ذلك لما تواترت
الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك كله ولاتفاق
الصحابة رضي الله عنهم على ثبوته وقد جاء في تفسير قوله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
أن ذلك في سؤال منكر ونكير في القبر وهذه الفصول من
باب الخبر فإذا تواتر الخبر عمن يخبر عن الوحي وجب
قبوله والاعتقاد بثبوته ولا يتكلم في كيفيتها إذ ليس للعقل
وقوف على كيفية التعذيب والتنعيم في القبر وكيفية السؤال
للميت وإن كان العقل يستحيل تركيب باطن لا يتسارع
إليه الفساد فإنه مع وجود تركيب ظاهر يتسارع إليه الفساد

فإنه يستخرج النار من الشجر الأخضر ويستخرج منه الماء
بالعلاج وهما ضدان حار وبارد تجاورا في جوهر واحد
وكذي النار كامنة في الحجر ولو سحق الحجر أجزاء
لم يوقف على النار المكمونة فيه ويرى خروج النار من
ذلك الحجر عيانا بالقدح ومن هذا القبيل كان داود
يسمع تسبيح الجبال وإن كان غيره لا يسمع ذلك والجبل
موات جامد وزعمت المعتزلة أن التسبيح المضاف إلى
الجبال تسبيح الخلقة يعنون أن خلقة الجبال تسبح
بتنزيه صانعها فقال أهل الحق هذا منهم إبطال لتخصيص
داود بسماع تسبيح الجبال فإن الله تعالى قال يا جبال
أوبي معه وقال تعالى والجبال يسبحن معه وعلى قول
المعتزلة لا تخصيص لداود بذلك إذ الجبال تسبح بخلقتها
عند داود وعند كل أحد فيبطل تخصيص داود به والقول
بذلك محال ثم لا بد من إثبات سرية ونوع حيوة
فيها عند أهل الحق وكذي ذكر في كتاب التأويلات
وكانت تسبح بتلك الحيوة والسرية فكان داود يسمع من
دون غيره وكذلك تسبيح الحصا في كف نبينا صلوات
الله عليه حتى سمع من حوله ذلك وكذلك حنين الجذع
اليابس آية من آيات رسالة نبينا صلوات الله عليه حتى
سمع صياح تلك الخشبة اليابسة أهل المسجد وصح في الأخبار
عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا في بدو الإسلام يرون
النور في الليلة الظلماء ويسمعون تسبيح الطعام وهو
يؤكل وذلك دراية حقيقة الدين الذي دعاهم إليه نبيهم
صلى الله عليه فيجب الإيمان بكل ما ثبت بالكتاب
أو بالسنة المتواترة وإن لم يوقف على كيفية ذلك

ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الأمور الكائنة في العالم الثاني
فقالوا ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيمة والعرض والحساب
وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان
أما قولهم ونؤمن بالبعث بعد الموت فالأصل في هذا
أن خلق هذا العالم المشاهد من السموات والأرض وما فيهن
إنما كان حقا وحكمة مع تحقق الفناء فيه بوجود العالم الثاني
بعد فناء العالم الأول على ما تقدم البيان غير مرة في فصول
حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته وحكمة إيجاد أهلها
للاستعباد فقالوا ونؤمن بالبعث بعد الموت بالبراهين العقلية
والأخبار الصادرة عن الصدق وهي الكتب السماوية
والرسل الذين قامت على حقيتهم الآيات المعجزة لكافة
الخليقة والحجج التي حكمة الصانع القديم فنطقت الكتب السماوية
كلها بقيام الساعة وبعث أهلها بعد موتهم وفنائهم ولذلك
نطقت الرسل والأنبياء كلهم جميعا بالبعث بعد الموت
ودلت الحكمة على تحقق ذلك وأنه لولا البعث لكان خلق
السموات والأرض للعبث إذ كان يكون الإيجاد للإعدام
والبناء للهدم بلا عاقبة وذلك سفه وتعالى الصانع الذي
ملأ كل شيء دلالة وحكمة أن يكون صنعه سفها
قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون
صير خلق الخلق إذا لم يكن لهم رجوع إليه عبثا ثم نزه عز وجل
ذاته القديم عن أن يكون صنعه عبثا بقوله فتعالى الله
الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم **وأما قولهم**
وجزاء الأعمال يوم القيمة أي نؤمن بجزاء الأعمال وإنما قالوا
ذلك لقوله تعالى إنما تجزون ما كنتم تعملون وقوله جزاء بما كانوا
يعملون **وأما قولهم** يوم القيمة فإنما قالوا ذلك لأن الدنيا

لا تصلح أن تكون دار الجزاء لأنها جعلت دار العمل والآخرة جعلت
دار الجزاء وإنما قلنا إن الدنيا لا تصلح دار الجزاء لأن الأصل
في محنة أهلها بالأوامر والنواهي هو الإيمان بوحدانية
الصانع بالغيب بشهادة الآيات والدلايل والانتهاء عن الكفر
والخلاف عن اختيار في الاتيان والترك وخلق الحيوة
والموت ليبلوهم أيهم أحسن عملا لإظهار ما علم في الأزل
من وجود شاكر وكافر كما قال هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن وكما قال إما شاكرا وإما كفورا
ودلت الدلايل أن يكون الإيمان واجبا على التأبيد وأن
يكون الكفر حراما على التأبيد ودلت الدلايل أن يكون
جزاؤهما على التأبيد فجعلت الحيوة الدنيا للعمل إلى الموت
وجعل الموت للنقل إلى الآخرة التي فيها يبعثون جميعا للجزاء
الوفاق ولو كان وقوع ابتداء الجزاء المؤبد في الدنيا بطلت
المحنة عن اختيار وكان الإيمان اضطرارا بالمعاينة
العذاب وقد قام الدليل القطعي أن الإيمان لا ينفع عند
معاينة البأس فجعل الجزاء في دار البقاء ∴ ولذلك سمي يوم
القيمة يوم الجزاء قال الله تعالى مالك يوم الدين قالوا يوم
الجزاء **وأما قولهم والعرض** أي نؤمن بالعرض على أسرع
الحاسبين فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا
لقد جئتمونا كما خلقناكم الآية وقوله تعالى يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
وأما إيمانهم بالحساب فلقوله تعالى وإن كان مثقال
حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وأما إيمانهم
بقراءة الكتاب فلقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طايره في
عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا **وأما إيمانهم بالثواب والعقاب**
فقد تقدموا في قولهم وجزاء الأعمال وإنما أعادوه تأكيدا ومبالغة
إذ خلق السموات والأرض وما فيهما كان للاستعباد بالأوامر
والنواهي لإثبات الثواب والعقاب وقال تعالى جزاء وفاقا
فيكون جزاء التوحيد ثوابا مؤبدا وجزاء الكفر عقابا مؤبدا
إذ الدين يعتقد للأبد **وأما إيمانهم بالصراط** فلما ذكر
أهل التفسير في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها قالوا المراد
الصراط على متن جهنم وله استواء ونزول وصعود قال
الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقد تواترت الأخبار في صفة الصراط أنه جسر ممدود
على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ومرور
الناس عليه بأعمالهم فمنهم من يمر كالبرق وكالريح ومنهم
من يمر كأجاويد الخيل والركاب وكأشد العدو
على الرجل تجري بهم أعمالهم ومنهم من يتهافت فيها وليس
في العقل إنكار شيء من ذلك إذا تأمل حق التأمل فإن العقل
من حجج الله تعالى وحججه لا تتناقض فمن استوفى شرايط
الاستدلال وجدها متوافقة ومن قصر في ذلك أو مال إلى
هوى نفسه وجدها مختلفة وذلك أن من تأمل بعقله في
خلقته من ماء مهين في ظلمات ثلاث عرف أن صانعه قادر
على كل شيء وكذا من تأمل في كون السماء قايمة في الهواء
بلا عمد وكذا من تأمل في السحاب الثقال وعليه بحور
الماء وهو يسير تارة ويقف تارة بين والأرض على متن الهواء
ومن شأن الثقيل الانحدار والنزول والهواء لا يصلح قرارا
للجسم الكثيف ولذلك قال الله تعالى والسحاب المسخر بين
السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون فمن تأمل بعقله عرف

أي يتساقط

أن من أمسك السماء في الهواء بلا علاقة ولا عمد وسخر السحاب
الثقال وعليه تحور الماء بين السماء والأرض بلا علاقة من فوق
ولا عمد من تحت قادر على إمشاء العباد على الصراط المذكور
وعلى غيره وأنه لا يعجزه شيء فوجب الإيمان بكل ما
جاء به الكتاب والسنة المتواترة وأما إيمانهم بالميزان والوزن
فلقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ولما وردت
به الأخبار وأما الكلام في ماهية الميزان وكيفية
الوزن فلم يتعرضوا لذلك لما وجدوا النصوص مطلقة واختلف
أهل التأويل في الماهية والكيفية إذ مذهبهم في كل ما لا
يجب العمل به ويجب الاعتقاد اقتصروا فيه على إثباته
واعتقاد حقية المراد به ثم ذكر الطحاوي قولهم في الجنة
والنار فقالوا والجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان أبدا فإن
الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا فمن
شاء منهم للجنة فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه وكل يعمل
لما قد فرغ منه وصائر إلى ما خلق له أما قولهم بدوام الجنة ونعيمها
ودوام النار وعقابها فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
ولقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة ولأن الجنة أعدت
للمتقين لإيمانهم على التأبيد والنار أعدت للكافرين جزاء
لكفرهم على التأبيد وقال تعالى جزاء وفاقا والذين يعتقدون
للأبد فالاعتقاد لما كان على التأبيد كان الجزاء على التأبيد
ليكون جزاء وفاقا وقد صرح الله تعالى بذكر الخلود والأبد
في جزاء الكافرين والمؤمنين فوجب القول ببقائهما على الأبد
وقد رفع الانقطاع عن نعيم الجنة ورفع ابتغاء التحول عنها

بقوله لا يبغون عنها حولا فوجب الاعتقاد ببقائهما على الدوام
وعليه إجماع أهل الحق وخالف جهم بن صفوان وبعض المعتزلة
في بقاء الجنة والنار وقولهم باطل بالكتاب الصريح والسنة
الواضحة وإجماع الأمة ومن السنة الواضحة قول النبي
صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة لا يموتون ولا يهرمون ولا
تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وأما قولهم فإن الله تعالى خلق
الجنة والنار قبل الخلق فهذا تصريح منهم بأنهما مخلوقتان موجودتان
إذ صرحوا بخلقهما قبل الخلق وإنما قالوا ذلك لقوله تعالى سابقوا إلى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت
للذين آمنوا بالله ورسله وقال في النار اتقوا النار التي أعدت
للكافرين ذكر الإعداد والمعدة هي المهيأة الموجودة وقد
تواتر الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أري الجنة والنار وما أعد
لأهلهما وأما قولهم وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم للجنة فضلا
منه ومن شاء للنار عدلا منه فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى سابقوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت
للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فذكر في
الثواب الفضل ولقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة
إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني
الله برحمته وقال تعالى والله ذو فضل عظيم والله ذو فضل على
العالمين وبطل بهذه النصوص الصريحة قول المعتزلة إنه يجب
على الله تعالى أن يفعل بالعباد ما هو الأصلح لهم في الدين وقال
بعضهم يجب عليه فعل ما هو صالح لهم في الدين فعلى قود مذهبهم
لا يكون الله تعالى منانا ولا وهابا ولا منعما ولا متفضلا لأن من فعل
ما هو واجب عليه لا يكون وهابا ولا منانا ولا منعما ولا متفضلا وإنما
يكون قاضيا حقا واجبا عليه وقد سمى الله تعالى نفسه بهذه الأسماء على الحقيقة

فبطل قولهم ولأنه لا موجب في الحقيقة إلا الله تعالى إذ الإيجاب صفة
الإله على الحقيقة ولا إله غير الله فبطل قولهم بالإيجاب على الله تعالى
ولأن ما سواه عباده ومماليكه وملكه ملك تخليق وإيجاد
وفي الشاهد لا يجب للعبد على سيده جزاء بإزاء عمله لأن
منافعه على ملكه ومعلوم أن العبد في الشاهد ملك لسيده
مجازا لا حقيقة والأشياء كلها ملك الله تعالى حقيقة ملك تخليق
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة
الله وأما قوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون ونحوه من النصوص
فإنما جعل الله تعالى الثواب بإزاء العمل كرما وفضلا وجودا
ورحمة **وأما قولهم ومن شاء للنار عدلا منه** لأنه سبق
في علمه في الأزل بمن يكفر به ويخالف أمره إذا وجد وبلغ
التكليف عن اختيار لا مضطرا فخلقه لما علم وحكم له بالنار عدلا
منه فيظهر ما علم على ما علم إذ لا يجوز أن يظهر على خلاف ما علم
في الأزل إذ يكون في ذلك انقلاب علمه جهلا وذلك محال
في حق الله تعالى وأما قولهم عدلا منه فإنما قالوا ذلك لأن الظلم
وضع الشيء في غير موضعه وهو تعالى وضع التصرف في ملكه
ولم يضع في ملك غيره وكذى يعذب على ترك الأمر وارتكاب
النهي فكان فعله عدلا وحكمة وإنما الظلم والسفه هو أن
يأمر الآمر بالشيء ثم يعذب المأمور إذا ائتمر أو ينهى عن شيء ثم
يعاقبه إذا انتهى عما نهاه ويتعالى الله عن ذلك كله **ثم ذكر
الطحاوي قولهم في الخير والشر مرة أخرى** فقالوا والخير
والشر مقدران على العباد قال القاضي أبو حفص الغزنوي
وقد مر قولهم في هذا الفصل وإنما أعادوه تأكيدا ومبالغة في
إثبات القضاء والقدر فإن قيل كيف يحسن تخليق الشر وتقديره
قيل له الصنع إذا كان له عاقبة حميدة يكون حكمة ولا يكون سفها

ولا قبيحا وفي تخليق الشر وجوه من الحكمة منها كمال القدرة إذ
القادر على إيجاد الضدين يكون موصوفا بكمال القدرة وكمال
القدرة من شرط الألوهية ومنها الدلالة على أنه ما أوجد
العالم لمنافعه إذ لو لم يوجد إلا الخير لكان ربما يتوهم
متوهم أنه خلق العالم لمنافعه ومنها أنه لا يتضرر بالأشرار
والعصاة لأن من علم أن مفعوله يضره لا يفعله فكان في خلقه
الشر دلالة أنه لا يتضرر بالعصاة ولا ينتفع بالأولياء **ثم ذكر
الطحاوي قولهم في الاستطاعة** فقالوا والاستطاعة ضربان
أحدهما الاستطاعة التي يوجد بها الفعل من نحو التوفيق الذي
لا يجوز أن يوصف به المخلوق فهي مع الفعل ∴ وأما
الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وصحة الآلات
فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال الله تعالى لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها وأفعال العباد خلق الله تعالى وكسب من
العباد ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم
به وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله نقول لا حيلة لأحد
ولا حول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله تعالى إلا بمعونة
الله تعالى ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله تعالى والثبات
عليها إلا بتوفيق الله تعالى وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى
وعلمه وقدره وقضائه فغلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب
قضاؤه الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبدا تقدس
عن كل سوء وحين وتنزه عن كل عيب وشين **أما قولهم**
والاستطاعة ضربان فإنما تسموا الاستطاعة على هذين
القسمين لأن المأمور بالفعل لا بد له من القدرة على الفعل
ثم الاستطاعة والقدرة في وصف العبد شيء واحد يقال
يستطيع ويقدر بمعنى واحد ثم القدرة باطنة وظاهرة فالاستطاعة

تقدس
أي تطهر

الباطنة هي التي يوجد بها الفعل يحدثها الله تعالى مقرونة بالفعل
ففي الطاعات تسمى توفيقا وفي المعاصي تسمى خذلانا لا يوصف
المخلوق به فهذه الاستطاعة تكون مع الفعل ليكون العبد
مفتقرا إلى توفيق الله تعالى ومشيئته وتأييده في كل لمحة ولحظة
وهي حقيقة العبودية قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم
الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد وقال إن الله لغني عن
العالمين وهو مذهب أهل السنة والجماعة وأما الاستطاعة
الثانية فهي القدرة الظاهرة وهي من جهة الوسع والتمكين
وصحة الآلات وهي متقدمة على الفعل فالقدرة التي يوجد
بها الفعل هي باطنة لا تتعلق أحكام الشرع بها لأنها باطنة
قبل وجودها هي معدومة وتعليق الأحكام بالمعدوم يفضي
إلى إهدارها والله تعالى شرع الأحكام للإلزام لا للإهدار أي إبطالها
وبعد وجودها هي خفية لا يقف العبد عليها ولا تبقى
زمانين لأنها عرض فالقول بتعليق الأحكام بها قول بما
ليس في وسع العبد ولذلك احتجوا بقول الله تعالى لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها فقالوا بثبوت هذه القدرة مع الفعل لإظهار
حقيقة العبودية بافتقار العبد إلى الله تعالى في كل لمحة ولحظة
إلى تخليق قدرة الفعل وهو مذهب أهل الحق وقالت المعتزلة
بتقديم هذه القدرة على الفعل وهو فاسد من وجوه أحدها
أن في القول بتقديم قدرة الفعل على الفعل قولا بالاستغناء
عن الله تعالى وذلك محال والثاني في القول بذلك إهدار
أحكام الشرع لأن الأمر إما أن يرد قبل وجود هذه القدرة
فيكون تكليفا قبل وجود القدرة والقول به فاسد لما يكون
تكليف العاجز أو يرد حالة وجودها ولا هي لا تبقى إلى زمان
الفعل لكونها عرضا فيبقى الحكم متعلقا بغير قدرة وهو مثل الأول

أو يرد الأمر بعد وجودها فيصير واردا حيث لا قدرة وهو فاسد
يبقى حكم الأمر هدرا على ما بينا فهذا معنى قولنا إن الله تعالى
ما شرع الأحكام لإهدارها بل شرع لتحقيقها فثبت صحة قول أي إبطالها
أهل السنة والجماعة وظهر بطلان قول المعتزلة بما ذكرنا
من الأدلة ووجب القول بتعليق الفعل بالاستطاعة
الظاهرة وهي القدرة من جهة الوسع والتمكين وصحة الآلات
وهو كما قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلا وسعها أي القدرة الظاهرة
وكقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر السبيل بالزاد والراحلة
وعليه الإجماع **وأما قولهم وأفعال العباد خلق الله وكسب**
من العباد ومعنى قولهم خلق الله تعالى أي مخلوقة لله تعالى
وهي كسب من العباد وقالت المعتزلة هي مخلوقة لفاعليها
ومنعوا قدرة الله تعالى عنها حتى جعلوا كل فاعل مختار خالقا
لأفعاله وهو إثبات خالق غير الله تعالى وقد مر ذكر البراهين
العقلية والحجج السمعية لإبطال قول المعتزلة في هذه المسألة مع
إبطال قول الثنوية في مسألة الأعيان ∴ ومن إبطال
قول الجبرية في زعمهم أن لا فعل للعباد على الحقيقة وإنما
يضاف إليهم مجازا كما يقال جرى الماء واسود الشعر وطال الغلام
وذكرنا ضروب [أي صنوف] الأدلة في كل من ذلك على الإيجاز والإيضاح
فيما تقدم ومما نذكرها هنا من حجج أهل الحق قول الله تعالى
بديع السموات والأرض إلى قوله وخلق كل شيء وقوله ذلكم الله
ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
فقوله خالق كل شيء عمومه كعموم قوله وهو على كل شيء وكيل
فكما لا يجوز تخصيص قوله وهو على كل شيء وكيل لا يجوز تخصيص
قوله خالق كل شيء ومنها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال إن الله خالق كل صانع وصنعته ومنه قول الله تعالى
والله خلقكم وما تعملون دخل تحت هذا النص عملهم ودخل معمولهم
بدلالته ولا يصح تأويل المبتدعة بحملهم على ذوات الأحجار والخشب
التي اتخذوها أصناما لأن ذواتها ليست من أعمال الكفرة
بالإجماع وإنما عملهم اتخاذهم إياها آلهة وما عبدوها وما
سموها إلا بعد إيقاع النحت على ذوات الخشب وإيقاع النحت
على الأحجار وقبل ذلك هي أحجار وخشب لا تسمى أصناما
ولا يسمونها آلهة ولا يعبدونها قبل إيقاع عملهم عليها فصاروا
عابدين عملهم فلذلك احتج عليهم أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون وقد تناول النص عملهم فكان عملهم
مخلوقا لله تعالى فكان حجة على المعتزلة ومن حجج العقول
فإن العالم أعيان وأعراض فالأعيان متركبة وهي
الأجسام وغير متركبة وهي الجواهر وأما الأعراض
فمنها الحركات والسكنات والأقوال والأفعال والإرادات
والاعتقادات فالجسم الواحد من الفاعلين المختارين يتصف بهذه
الأعراض الكثيرة فصار على قول المعتزلة أكثر العالم
مخلوقا لغير الله تعالى وهو قول الثنوية بل الثنوية أقرب
حالا منهم لأن الثنوية أثبتوا للعالم خالقين اثنين والمعتزلة
أثبتوا خالقين لا يحصون كثرة حتى قالوا إن كل فاعل
مختار ممن جلت رتبته كالملك والبشر أو صغرت جثته
كالبق والبعوض أو انحطت رتبته كالكلب والخنزير
فهو خالق لأفعاله في قولهم وقالوا في قوله تعالى قل الله خالق
كل شيء أن معناه هو خالق كل شيء هو فعله لا ما هو فعل غيره
فيصير على تأويلهم كل فاعل مختار من ملك أو بشر أو بقر أو حمار
فهو خالق كل شيء هو فعله ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الخبر المتواتر القدرية مجوس هذه الأمة حيث أثبتوا لأنفسهم
قدرة تخليق الأفعال والعجب من وقاحة المعتزلة يسمون
أنفسهم أهل عدل وتوحيد وقد مر بيان هذا فيما مضى ومن
غباوتهم وضلالتهم أنهم أخرجوا من الدخول تحت قدرة الله الغباوة الحماقة
تعالى ما لا يستحيل دخوله تحت قدرة مخلوقه ومقدوره
فسلبوا عموم قوله تعالى قل الله خالق كل شيء وعموم
قوله واعلم أن الله على كل شيء قدير وبعض هذه
الأدلة كاف في إبطال قولهم وأما الجبرية فقد ذكر
سيف الحق أبو المعين في كتابه أنها طايفة ولم يبق لهم مناظر
يحاج عن نحلتهم فلا تدعو الحاجة إلى الاستعداد لمناظرتهم
وقد دلت نصوص الأجزية في الآخرة ونصوص الوعيد على
بطلان قولهم ومذهبهم كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون
وقوله ذلك بما كسبت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد
وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ومما يبطل قولهم فإنا نتحقق في أفعال العباد
اختيارا يبعثهم على الفعل لا على طريق الإجبار والاضطرار
فإن من يقصد تحريك يده يجد لنفسه ويتحقق اختيارا
في الفعل وتركه وكذا في جميع الأفعال بخلاف
المضطر فإن تحريك يده يوجد منه اضطرارا حتى لو أراد
ترك التحريك لم يقدر على ذلك وهذا مما ينكره العاقل
ومما يبطل قولهم أيضا أن الفعل الذي يوجد جبرا واضطرارا
يكون الفعل لمن أجبره واضطره وترتفع عنه الملامة
والمذمة وقد دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على
ثبوت الأجزية للعباد بفعلهم وكسبهم عن اختيار فبطل قول
الجبرية **وأما قولهم ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون**

الا ما كلفهم وهو تفسير لا حول ولا قوة الا بالله فانما قالوا
ذلك لان ما حصل من الافعال باستعمال الآلة والاستطاعة
ليس مما تفرد العبد بها لانه لا يقع شيء منها على ما يقصده العبد
على الاستقلال فلم يكن خالقا لما بينا من الادلة بل كان
كاسبا لها وله في كسبه اختيار على ما بينا **وأما
قولهم وهو تفسير لا حول ولا قوة الا بالله** معناه لا حول
لاحد ولا حيلة لاحد ولا تحول لاحد عن معصية الله الا بعصمة
الله ولا قوة لاحد على طاعة الله الا بمعونة الله وهذا هو حقيقة
العبودية أن يكون العبد مفتقرا الى الله تعالى في العصمة عن
المعاصي والتوفيق للطاعات ولذلك سمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخبر الصحيح هذه الكلمة كنزا من كنوز
الجنة فانه قال لابي موسى الاشعري الا أدلك على كلمة
هي كنز من كنوز الجنة فقال بلى يا رسول الله فقال
لا حول ولا قوة الا بالله واجتمعت الامة على كونها من فصول
العقايد وهي كقوله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب
العالمين وكقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا
أن يشاء الله وكقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
**وأما قولهم وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه
وقدره وقضايه** فعلت مشيئته المشيات كلها وغلب قضاؤه
الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبدا لا يسال عما يفعل
وهم يسالون .:. وانما قالوا ذلك هذا الفصل كله تاكيدا
لما سبق من كلماتهم فيما مضى وقد مر ذكر الادلة على كل حرف منها

بما فيه كفاية وبلاغ .:. وفي قولهم فعلت مشيئته المشيات كلها
وغلب قضاؤه الحيل كلها اثبات التوحيد ونفاذ الارادة
لله تعالى وهو ماخوذ من قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا ومن قوله تعالى وما كان معه من اله اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ومن قوله
فعال لما يريد ومن قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد سبق البيان
فيما مضى أن المعتزلة لا يمكنهم الاحتجاج بادلة
التمانع فان من عقد مذهبهم أن الله تعالى شاء من كل
كافر الايمان وشاء الكافر من نفسه الكفر فكان
ما شاء الكافر ولم يكن ما شاء الله فنفذت مشيئة الكافر
ولم تنفذ مشيئة الله .:. وأي تعجيز يكون أبلغ من هذا
**ثم ذكر الطحاوي قولهم في دعاء الاحياء للاموات فقالوا وفي
دعاء الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات والله تعالى يستجيب
الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه
شيء ولا غنى عنه طرفة عين ومن استغنى عن الله
طرفة عين كفر وكان من أهل الحين** أما قولهم
وفي دعاء الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات فهذا منهم تصريح
باثبات المنفعة للاموات من قبل دعاء الاحياء وصدقتهم
وانما قالوا ذلك بدلالة النصوص الواردة بالدعاء كقوله تعالى
ادعوا ربكم تضرعا وخفية .:. وقوله فبايعهن واستغفر لهن
الله .:. وقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .:. ولان المؤمنين صاروا
اخوة بسبب الايمان فصار بعضهم من بعض لاتحادهم في
المعنى الجامع بينهم وهو التوحيد والمعرفة ولذلك وجبت صلاة

الميت على الأحياء وقد وعد الله تعالى الإجابة بقوله ادعوني
أستجب لكم فكان من الواجب علينا أن نعلم أن الدعاء
ينفع حيث أمرنا بالدعاء والاستغفار للأحياء والأموات
إذ لا يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بما ينفع
وأما قولهم وفي صدقتهم أي وفي صدقتهم أيضا منفعة
للأموات وإنما قالوا ذلك لما ثبت عندهم أن التصدق لأجل
المؤمن الميت كالدعاء وقد روي في الخبر تصدقوا عن
موتاكم وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم حضرت
بين يديه جنازة فسأل هل عليه دين فقيل نعم فقال هل
ترك وفاء فقيل لا فقال صلوا عليه فقال أبو قتادة صل
عليه يا رسول الله وعلي دينه فصلى عليه ثم سأله هل قضى عنه
مرتين فقال نعم في الثانية أو في الثالثة فقال عليه
السلام الآن بردت مضجعه وهذا نص في وصول منفعة
صدقة الحي إلى الميت **وأما قولهم والله تعالى يستجيب
الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه
شيء** فإنما قالوا ذلك لما سبق بيانه من النصوص الواردة
بالدعاء وبالإجابة عند اجتماع شرائط الإجابة كقوله
أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وكقوله أجيب دعوة
الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وروي
يستجاب للعبد ما لم يستعجل قيل يا رسول الله وما يستعجل
قال يقول دعوت فلم يستجب لي فيترك الدعاء
وروي أنه يستجاب للعبد للحال وقد يستجاب له
ويتأخر إلى وقته كما روي أن موسى دعا على فرعون
وأمن هرون فجاءه الوحي قد أجيبت دعوتكما فاستقيما
وتأخر إلى وقت بلوغ الأجل **وأما قولهم** ويقضي الحاجات

ويملك كل شيء ولا يملكه شيء فإنما قالوا ذلك إبانة لنفع
الدعاء وتصريحا بأن المسئول يملك كل شيء ولا يملكه شيء
ولا يتعذر عليه شيء لأنه يقول للشيء كن فيكون وهو كريم
وهاب يعطي المسألات ويجيب الدعوات جواد قادر على قضاء
الحاجات **وأما قولهم ولا غنى عنه طرفة عين** فإنما قالوا
ذلك لأن ما سوى الله تعالى عاجز عن درك ما يريد مقهور
بقهر الربوبية مذلل بعز الألوهية مفتقر بلزوم نقص الحاجة
ولا ينفك عن الحوائج قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم
الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ∴ فذكروا هذا احتجاجا على
الدعاء وتحقيقا لافتقار العباد إلى الله تعالى وقد عرف كل من
تأمل في نفسه أن كونه بالله وقيامه به وبقاءه به إذ كل
نفس يتنفس العبد وكل لمحة ولحظة توجد منه فإنما ن
تحدث له بإنشاء الله تعالى فيلازمه الافتقار إليه في كل طرفة عين
وأما قولهم ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر
قال القاضي أبو حفص الغزنوي معناه من رأى
نفسه مستغنيا عن الله طرفة عين فقد كفر لأن الافتقار
صفة لازمة للعبد كالحدثية والاستغناء صفة ربوبية فإذا
ظن العبد أنه مستغن عن الرب جل جلاله صار جاهلا بالله
تعالى مشاركا في صفة الربوبية فيكون كافرا وكان من
أهل الحين بفتح الحاء أي صار من أهل الهلاك
**ثم ذكر الطحاوي في عقيدته في وصف الله تعالى بالغضب
والرضا فقالوا والله عز وجل يغضب ويرضى لا كأحد من الورى**
وإنما قالوا ذلك لقول الله تعالى غير المغضوب عليهم • قال
المفسرون غير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم بالكون
على الصراط المستقيم والمغضوب عليهم هم اليهود وكذا كل من

كفر بالله وعاند آياته وقال تعالى وغضب الله عليهم
وقال تعالى في وصف نفسه بالمحبة فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه وقال إن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فدلت هذه الآيات على ثبوت هذه الصفات
له تعالى ولكنها ليست على ما هي صفات لنا لأنها فينا صفات
على تغير أحوالنا فإن الغضب في الخلق عبارة عن حمي
القلب وتوقده فيحمر عنده الوجه وتنتفخ الأوداج والرضا
تظهر عنده نضارة في الوجه وسرور في النفس والمحبة
ميلان الطبع وغليان القلب والله جل جلاله يتعالى عن
التغير وتبدل الصفات فنقول إنها صفات لله تعالى
على ما ورد الكتاب والسنة المتواترة لا كصفات
المخلوقين وقد مر القول في الصفات من نصوص
الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق بذكر براهينها
وحججها وذكر المخالفين بتشبيهها وتعطيلها ○ ○
ثم ذكر الطحاوي قولهم في الصحابة رضي الله عنهم فقالوا
ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب
أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم
وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين
وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان
أما قولهم ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما
قالوا ذلك لأنهم بذلوا مجهودهم في إظهار دين الله عز وجل
في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الأمر بتحمل
اللائمة من الأقارب والأباعد ثم تحملوا تعذيب الجبابرة — اي الملامة
والفراعنة إياهم حتى لحقوا بقلل الجبال والتجؤا إلى الكهوف
والغيران وهجروا العشاير والأوطان وأكلوا ما كول

[illegible] ما

البهايم إشفاقا على دينهم ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم هاجروا إليه وتركوا ديارهم وأموالهم وأما الصحابة
من الأنصار فإنهم آووا ونصروا ثم كلهم جاهدوا بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا جميع الأعداء في ذات الله تعالى
لإعلاء كلمته وإظهار دينه ثم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه فجاهدوا القبايل المرتدة حتى أدخلوهم في الإسلام بعد
ما خرجوا منه ثم جاهدوا كفرة أهل الكتاب حتى أبطلوا
عبادة الصلبان في ديار الشام ثم جاهدوا الأعاجم
حتى أبطلوا عبادة النيران وأجمعوا كلهم على نقل الكتاب
السماوي وهو القرآن بالأحرف السبعة المنزلة ونقلوا ○
أحكام الشريعة العزيزة المؤسسة على الوحي السماوي
فقاموا في جهاد أعداء الله عز وجل وتبليغ شريعته مقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وظهرت نصيحتهم لله عز وجل ولرسوله
صلى الله عليه وسلم فوجبت متابعتهم ومحبتهم ولأن الله
عز وجل أثنى عليهم في التورية والإنجيل وفي القرآن لما علم
أنهم يقومون مقام الرسول ويحسنون خلافتهم ونيابتهم
في إظهار دين الله عز وجل والشفقة على خلق الله تعالى
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التورية
ومثلهم في الإنجيل إلى قوله ليغيظ بهم الكفار وقال
تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وقال تعالى تجاهدون

في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن *أي هدنا*
أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن
آذاهم فكأنما آذاني ومن آذاني فكأنما آذى الله تعالى
ومن آذى الله تعالى كان النار به أولى هذا بعض ما أجمع عليه
حفاظ الآثار ونقلة الأخبار وذكره علماء الأصول وأئمة
الفقه والتفسير **وأما قولهم ولا نفرط في حب أحد منهم**
فإنما قالوا ذلك لأن الإفراط في الشيء يوجب الفساد ألا
ترى أن قوما أفرطوا في حب علي رضي الله عنه فخذلوا بالوقيعة
في أبي بكر وعمر ورفضوهما مع عظيم فضلهما الثابت بالنصوص
المتواترة وإجماع الصحابة على خلافتهما وبيمن خلافتهما كان
ظهور الإسلام وبالإتيان بوجوب طاعتهما شكرهم الله تعالى
بقوله من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
الآية وبقوله تعالى وسيجزي الله الشاكرين وببركة طاعتهما
نصرهم الله تعالى على المرتدين حتى أدخلوهم في الإسلام بعد
ما خرجوا منه ثم نصرهم على كفرة أهل الكتاب حتى أبطلوا
عبادة الصلبان ثم نصرهم على المجوس عبدة النيران فمن
طعن فيهما فإنما يطعن لأجل هذا الجهاد العظيم في ذات الله تعالى
ولإظهارهما دين الله عز وجل وذلك معلوم عند كل من
تأمل أنه صنيع من ينطوي على عداوة الإسلام وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه يهلك فيك
اثنان مبغض مفرط ومحب مفرط ألا ترى أن النصارى
أفرطوا في حب عيسى صلى الله عليه فادعى بعضهم فيه الألوهية
وبعضهم الشركة وبعضهم النبوة والولدية **وأما قولهم ولا
نتبرأ من أحد منهم** فإنما قالوا ذلك لأنه لم يوجد منهم ما يوجب
البراءة عنهم بل ظهر وتحقق منهم ما ملؤوا الأرض تسبيحا وتهليلا لأن
وتمجيدا وتكبيرا وأعلنوا الأذان على قلل الجبال وجزائر
البحار وعلموا الناس شريعة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
فوجب حبهم والاقتداء بهم على ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولأن الله
تعالى قال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فقد أخبر تعالى أنه رضي عنهم
وعلم ما في قلوبهم وفي آية أخرى أخبر أنه يستخلفهم
ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأخبر في آية أخرى
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
فحقق لهم الاستخلاف في الأرض والتمكين من أعداء الإسلام *أي أعداء الإسلام*
وتبديل قولهم خوفهم بالأمن ولما توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وارتدت قبائل العرب وثبت أهل الحرمين أهل
مكة وأهل المدينة ونفر يسير كانوا عمال النبي صلى
الله عليه بالبادية فأتى الله بأبي بكر والصحابة فجاهدوهم في الله
عز وجل وقتلوا مسيلمة الكذاب وأدخلوهم في الإسلام
فوجب علينا تعظيمهم واتباعهم فمن طعن فيهم ولم يرض عنهم
فذلك لتمكن النفاق في قلبه وبغضه للدين الحق **وأما
قولهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم** وإنما قالوا *ارواحهم*
ذلك لأن حبهم يقتضي حب الدين لما بذلوا مهجتهم وأموالهم
حبا لله تعالى ونصرة لدينه فمن أبغضهم فإن ذلك لبغضه الدين
وأما قولهم وحبهم دين وإيمان فإنما قالوا ذلك
تأكيدا لما تقدم من قولهم ليعلم أن حبهم ليس بطبيعي كما
يحب أحدنا ماله وولده وإنما نحبهم لهذا الدين المرضي الذي
ارتضاه الله تعالى دينا لهم بقوله ورضيت لكم الإسلام دينا وبقوله

قوله وقد وصفهم الله يعني الصحابة كانوا يتذللون للمؤمنين ويتطوعون أعزاء الذين على الكافرين

إن الدين عند الله الإسلام وقد وصفهم الله تعالى بقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله فهم ما أحبوا أحدا إلا لهذا الدين ولا أبغضوا أحدا إلا من خالف هذا الدين فمن أحبهم فبحب الدين أحبهم ومن أبغضهم فببغضه للدين أبغضهم فيكون بغضهم كفرا ونفاقا وطغيانا وحبهم إيمانا ودينا كما وردت الأخبار أنه الدين إذ كانت ساير الأسباب الطبيعية والدنيوية منقطعة بينهم وبين من بعدهم ولهذا قال علماء الأصول إن من قتل أحدا قصدا لإيمانه يصير مرتدا وقال الله تعالى في وصف الصحابة ليغيظ بهم الكفار قالوا فمن أغاظه أصحاب رسول الله صلى الله عليه فهو كافر لأن الله تعالى أخبر أنه يغيظ بهم الكفار وذلك لأن من لم يعتقد حقيقة هذا الدين يبغضهم لما سبق من عظيم عنايتهم بأمر الدين حتى بذلوا مهجهم في نصرة الدين وإعزازه فكان بغض من يبغضهم نتيجة النفاق وخبث الاعتقاد فتكون عداوتهم عداوة لدين الإسلام وذلك كفر وطغيان ونفاق ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة وإنما قالوا ذلك لأن الصحابة أجمعوا على إمامته وبايعوه وإجماعهم كآية من كتاب الله تعالى وقد مر في فصل الإجماع أن إجماعهم صار حجة موجبة للعلم قطعا بنصوص سمعية من الكتاب والأخبار المتواترة أما نصوص الكتاب فنحو قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والوسط العدل المرضي وإجماع العدول حق وأثبت الله تعالى لهم الخيرية بقوله كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فلو لم تكن إمامته حقا كان منكرا ولم يتصور منهم المطابقة على إثبات إمامته ومبايعته فمن طعن في إمامته فقد طعن في إجماعهم وصيرهم مبطلين فيكون ذلك طعنا في خبر الله تعالى حيث أخبر أنهم خير أمة وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون ذلك منه طعنا في وصف الله إياهم بالعدالة ويكون طعنا في النقل المتواتر عن صاحب الوحي وهو قوله لا تجتمع أمتي على ضلال ويكون طعنا في خبر الله تعالى بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ممن بايع تحت الشجرة ثبت ذلك بالنقل المتواتر وقد أجمع المهاجرون والأنصار على إمامته وفيهم أصحاب بيعة الرضوان فلا يتصور اجتماع الصحابة على خلافته وتقديمهم إياه على غيره إلا لكونه أفضلهم حتى قال له علي كرم الله وجهه رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاك لدنيانا وقال له أيضا قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نؤخرك أراد بذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلافه إياه على الصلوة في مرض موته وليس شيء أهم من أمور الدين ولا ركن بعد التوحيد أعظم من الصلوة فكان استخلافه عليها وأمره أن يصلي بالناس دلالة ظاهرة على خلافته وأما ما يروى عن علي رضي الله عنه أنه توقف في بيعته فإن ثبت لا يقدح في خلافته لأنه لو لم يستجز الخلافة لما بايعه بعد ذلك وعلى أنه روي أنه بايع في اليوم الأول وروي أنه بايعه بعد أربعين ليلة وروي أنه بايعه بعد ستة أشهر حين قبضت فاطمة رضي الله عنها وتصديق الرواة واجب فيما لا يخالف الكتاب والسنة

الواضحة والاجماع لانهم امناء الدين فيحمل ذلك على الاعادة
مرارا بايع في اليوم الاول وبعد اربعين ليلة وبعد ستة
اشهر للتاكيد والاحكام وحسما لمادة الاوهام
لانه قد تواترت الروايات على بيعته ولا يظن به مع
جلالته وعلو مرتبته في العلم انه عرف الحق في الابتداء
ويميل الى الباطل في الانتهاء بل يجب تصحيح الروايات
كلها فبايع مرارا تاكيدا ونفيا للاوهام خصوصا لما اخبر
رسول الله صلى الله عليه انه يهلك فيه اثنان محب مفرط ٥
ومبغض مفرط **ثم ذكروا في خلافة عمر فقالوا ثم لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه** معناه ثم نثبت الخلافة لعمر بن
الخطاب وانما قالوا ذلك لانه قد ثبت بالادلة الموجبة للعلم
حقية خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد اوصى بها
لعمر واتفقت الصحابة على بيعته **ثم ذكروا قولهم في خلافة
عثمن فقالوا ثم لعثمن بن عفان رضي الله عنه** معناه
ثم نثبت الخلافة لعثمن بن عفان لان عمر رضي الله عنه جعل الامر
شورى بين ستة نفر من الصحابة كلهم مشهود لهم بالجنة ٥
فاتفق رايهم على عثمن رضي الله عنه واتفقت الصحابة على متابعته
**ثم ذكروا قولهم في خلافة علي رضي الله عنه فقالوا ثم لعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه** معناه ثم نثبت الخلافة لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدي ثلثون سنة وكان تمام ذلك في خلافة علي رضي الله عنه
ثم قالوا وهم الخلفاء الراشدون والائمة المهديون
ارادوا بان هولاء ساروا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يعدلوا عن طريقته في شيء **ثم ذكروا قولهم في العشرة المشهود لهم
بالجنة** فقالوا ان العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وبشرهم

بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وقوله الحق
وهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم
اما تسميتهم للعشرة المذكورين باسمائهم فانما صرحوا
بذكرهم باسمائهم لما تواترت الاخبار بذلك والخبر
المتواتر موجب للعلم كالمسموع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه دلالة على كون ابي بكر افضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه من وجهين احدهما تقديم رسول الله صلى الله عليه
اياه على المبشرين بالجنة بالذكر اذ هو اخبار عن الوحي السماوي
وهو صلوات الله عليه يخبر على الوجه الذي يوحي اليه والثاني
ذكره اياه بالكنية وهو دليل على الاكرام والتفخيم وذكر
من بعده باسمائهم من غير تكنية وفيه دلالة على ورود
الوحي في حقه بالكنية وعلى ذلك وردت الاخبار في خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم اياه ودعائه بحرف النداء يا ابا بكر
وعند ذكره على المعاتبة كان يذكره بالكنية
وورد في اخبار اعلام النبوة ان رجلا كان بينما هو
يحرث الارض فلما فرغ من عمله ركب بقرته وسار فضربها
فتكلمت البقرة وقالت انا خلقنا لحراثة الارض تركبني
وتضربني فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا اومن بهذا وابو بكر وعمر وما هما هناك
**واما قولهم ونشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله الحق** فانما صرحوا بلفظ الشهادة لهم بالجنة
لثبوت العلم بذلك بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه كالمسموع
منه مشافهة وذلك يوجب العلم قطعا فالشهادة عبارة عن علم
العيان على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نظر الى الشمس

فقال لرجل من أصحابه على مثلها فاشهد **وأما قولهم وهم أمناء
هذه الأمة رضوان الله عليهم** وإنما وصفوهم بالأمانة وأنهم أمناء
هذه الأمة لشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة تعيينا
بأسمائهم بالوحي السماوي لعظيم أمانتهم وشريف مناقبهم المذكورة
في الكتب المنزلة ولعظيم جهادهم في حراسة الأمة ونصرة الملة
فافتتحوا الفتوحات الواسعة وقلعوا القياصرة عن ممالك الشام
ونكسوا التيجان عن رؤوس الأكاسرة وأنفقوا كنوزهما
في سبيل الله تعالى وتجنبوا عما هو دأب طلاب الدول
**ثم ذكروا قولهم في ساير الصحابة والصحابيات فقالوا ومن
أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأزواجه وذرياته فقد بري من النفاق** وإنما
قالوا ذلك لأن إحسان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نصرة الدين الحق ونصيحة الخلق قد طبق العالم شرقا وغربا
فلذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم هن أمهات المؤمنين
وأحسن في صحبة خاتم النبيين صلوات الله عليه ونقلن علوم
الدين فلهن حرمة الأمهات وأما ذرياته عليه السلام ن
فهم المطهرون من الأدناس وهم عيون الناس فوجب الإحسان
في موالاتهم ومتابعتهم فإن ذلك آية الإيمان وعلامة البراءة
من النفاق لأن إساءة القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأزواجه الطاهرات المقدسات وذرياته المقدسين
المباركين إنما يكون لخبث الباطن وسوء الاعتقاد وقد
قال الله تعالى في وصفهم ليغيظ بهم الكفار فمن أغاظه ن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما ينبعث غيظه منهم
بسبب نصرتهم للدين الحق وقد تقدم بيان الحكم في ذلك
فنعوذ بالله من الخذلان ∴ وذكر القاضي أبو العلاء صاعد

ابن محمد في كتاب الاعتقاد فقال روي عن أبي حمزة السكري
قال ما رأيت أحدا قط من العلماء أحسن قولا في أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي حنيفة وكان يعطي كل
ذي حق حقه من الفضل وما ذكر واحدا منهم بالنقص حتى
مضى لسبيله رحمه الله قال وروي عن أبي يوسف
عن أبي حنيفة أنه قال أفضل الناس بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمن وعلي ثم نكف عن جميع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بذكر الجميل ∴ وروي عن
أبي يوسف أنه قال سمعت أبا حنيفة يقول علي بن أبي
طالب حجتنا عند الله يوم القيمة لولا علي لما علمنا كيف ن
قتال أهل القبلة ومعنى ذلك أن أبا بكر قاتل أهل الردة
وقاتل كفرة أهل الكتاب وعمر قاتل أهل فارس وكذلك
عثمن قاتل الكفرة وسرت جيوشه نحو المغرب ونحو
الصين وغزت وراء الباب ولم يقاتل أحد منهم مع أهل
القبلة ∴ ولا إشكال في قتال أهل الكفر
لأن جهاد الكفرة من خصايص نبينا محمد صلوات الله عليه
إذ هو دعاء إلى دين الإسلام وبه جاءت الرسل وعلى وجوبه
قامت الحجج والبراهين وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
فكانت حروبه مع البغاة تارة ومع الخوارج أخرى أما
مع البغاة فقد كان السبب في ذلك الاجتهاد في طلب القصاص
والقصاص فرض ثبت بالكتاب عند القدرة على استيفائه
وكانت الفتنة عامة شديدة الشوكة ثم اجتمعوا على
ترك الطلب إذا كان الطلب يفضي إلى هيجان الفتنة ن
ونصب المحاربة ثم كان قتاله مع الخوارج ولم يكن لشبهتهم أصل
تستند إليه فكانت فيه مارقة فقال أبو حنيفة علي بن أبي طالب

المروق الخروج من الدين

حُجَّتُنَا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيٰمَةِ إِذْ عَرَفْنَا بِهِ أَحْكَامَ القِتَالِ مَعَ البُغَاةِ
وَمَعَ الخَوَارِجِ فَإِنَّهُ قَاتَلَهُمْ وَلَمْ يَسْبِ لَهُمْ ذُرِّيَّةً وَلَا جَعَلَ أَمْوَالَهُمْ غَنِيمَةً
تُقْسَمُ وَقَالَ فِي البُغَاةِ إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ وَأَمَّا
فِي الخَوَارِجِ فَقَاتَلَهُمْ عَلَى مُرُوقِهِمْ وَكَانَ مَعَهُ عَلَامَةٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَوْنِ أُولٰئِكَ مَارِقَةً ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُمْ فِي
عُلَمَاءِ السَّلَفِ فَقَالُوا وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَثَرِ وَالخَبَرِ وَأَهْلِ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا
يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ
السَّبِيلِ قَالَ القَاضِي أَبُو حَفْصٍ الغَزْنَوِيُّ وَإِنَّمَا قَالُوا
ذٰلِكَ لِأَنَّ تَعْظِيمَ هٰؤُلَاءِ وَتَوْقِيرَهُمْ مِنْ تَعْظِيمِ الدِّينِ وَهُمْ خُلَفَاءُ
الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ إِلَى النَّاسِ
فَوَجَبَ تَوْقِيرُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى
نَدَبَنَا إِلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الآيَةَ فَهٰذَا هُوَ سَبِيلُ المُؤْمِنِينَ أَنْ
يُوَالِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِحَقِّ الإِيمَانِ الَّذِي جَمَعَهُمْ وَقَدْ قَالَ اللهُ
تَعَالَى وَالمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ
فَقَدْ عَدَلَ عَنْ سَبِيلِ المُوَالَاةِ الدِّينِيَّةِ وَذٰلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ
النِّفَاقِ ثُمَّ ذَكَرُوا قَوْلَهُمْ فِي رُتْبَةِ الوِلَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَقَالُوا وَلَا
نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ وَنَقُولُ
نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ
وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ قَالَ القَاضِي أَبُو حَفْصٍ
الغَزْنَوِيُّ وَإِنَّمَا قَالُوا هٰذَا رَدًّا وَإِبْطَالًا لِقَوْلِ بَعْضِ المُتَصَوِّفَةِ
أَنَّ مَنْ بَلَغَ أَقْصَى دَرَجَةِ أَهْلِ الوِلَايَةِ وَالمَعْرِفَةِ كَانَ أَفْضَلَ
خَلْقِ اللهِ تَعَالَى ∴ وَرَدًّا لِقَوْلِ بَعْضِ الغُلَاةِ فِي تَفْضِيلِهِمْ وَاحِدًا

مِنَ الأَئِمَّةِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَهٰذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ الوَلِيَّ
إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الوِلَايَةَ بِاتِّبَاعِهِ النَّبِيَّ وَاقْتِدَائِهِ بِهِ فِي طَاعَةِ
اللهِ تَعَالَى عَلَى شَرِيعَتِهِ فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ أَوْ مِثْلَهُ
وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَ دَرَجَةً أَمِنَ مِنَ السُّقُوطِ
عَنْهَا بِالرِّسَالَةِ وَالعِصْمَةِ إِيَّاهُ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى اللهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُوَازِيَهُ فِي الفَضْلِ مَنْ
لَا يَبْلُغُ تِلْكَ الدَّرَجَةَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ
وَكَرَامَاتٍ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ قَالَ الغَزْنَوِيُّ وَهٰذَا
إِثْبَاتٌ لِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَالمُعْتَزِلَةُ أَنْكَرَتْ كَرَامَاتِ
الأَوْلِيَاءِ وَزَعَمُوا أَنَّهَا تُشْبِهُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ
فَيَقَعُ الِالْتِبَاسُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالوَلِيِّ وَهٰذَا مِنْهُمْ خِلَافٌ لِأَدِلَّةِ الكِتَابِ
وَالأَخْبَارِ فَإِنَّ كَرَامَاتِ أَصْحَابِ الكَهْفِ مِنْ نَحْوِ لُبْثِهِمْ ثَلٰثَمِائَةِ سَنَةٍ
وَزِيَادَةِ تِسْعٍ نِيَامًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ مِنْ
غَيْرِ أَكْلٍ وَلَا شُرْبٍ وَالبَشَرُ لَا يَبْقَى بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ
فِي العَادَةِ أَيَّامًا لَيْسَ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَبْقَى مُدَّةً مَدِيدَةً وَلِذٰلِكَ
لَمْ تَبْلَ ثِيَابُهُمْ فِي تِلْكَ المُدَّةِ المَذْكُورَةِ وَلَمْ تَطُلْ أَظَافِيرُهُمْ وَلَمْ يَبْلَ
شَبَابُهُمْ فِي ثَلٰثِمِائَةِ سَنَةٍ وَالهَرَمُ يَسْتَوْلِي عَلَى الإِنْسَانِ فِيمَا
دُونَ تَمَامِ مِائَةِ سَنَةٍ وَهٰذِهِ الكَرَامَاتُ كُلُّهَا كَانَتْ
لِأَصْحَابِ الكَهْفِ فِي تِلْكَ المُدَّةِ المَذْكُورَةِ فِي الكِتَابِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ
تَعَالَى قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ وَثَبَتَ بِالكِتَابِ أَنَّهُ رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
قَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ وَهُوَ عَرْشُ بِلْقِيسَ قَالَ المُفَسِّرُونَ
وَهُوَ آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا بَلْ هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ
سُلَيْمٰنَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ∴ وَقِصَّةُ مَرْيَمَ وَهَزُّهَا الجِذْعَ اليَابِسَ
حَتَّى تَسَاقَطَ مِنْهَا رُطَبًا جَنِيًّا وَقَدْ ثَبَتَ ذٰلِكَ بِالكِتَابِ وَكَانَتْ

صديقة ولم تكن بينة والأخبار في كرامات الأولياء أكثر من
أن تحصى وفي الصحاح أن رجلين من الصحابة خرجا من
عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما
فمشيا في ضوءها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر فمضى كل
واحد منهما إلى بيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخا بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي ثم إنهما جلسا على
قصعة يأكلان منها فسبحت القصعة فجعلا يأكلان منها
وهما يسمعان تسبيحها وروى أصحاب المغازي أن
أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث جيشا إلى قتال المرتدين
بالبحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فعبر بجيشه البحر
إلى قتال أهل دارين مسيرة يومين للسفينة البحرية وهم
يمشون على الماء بالصاهل والجامل والناهق ∴ وفي
كتاب دلايل النبوة لأبي نعيم الإصفهاني وفي كتاب
المغازي أيضا أن سعد بن أبي وقاص اقتحم بجيشه على
دجلة وهي تطفح بالزبد في أيام الزيادة فعبروها إلى إيوان
كسرى ∴ ومنها سماع سارية بن زنيم وجيشه
نداء عمر بن الخطاب من المدينة وهو يقول يا سارية الجبل
الجبل وكانوا في ضايقة عظيمة من المشركين فلجأوا إلى الجبل
فنصروا ∴ ومنها ما كشف لعمر بن الخطاب وهو على
المنبر يوم الجمعة عن جيشه بنهاوند فنادى بأعلى صوته على
مسيرة قريب من خمسماية فرسخ كذا ذكره سيف الحق أبو المعين
في باب إثبات كرامات الأولياء قال أئمة الأصول
وإنما أنكرت المعتزلة كرامات الأولياء لفساد عقايدهم
من نحو إثباتهم قدرة التخليق لغير الله تعالى وتعطيلهم عن
الله تعالى صفات الذات والفعل فلم يثبتوا لله تعالى صفة الحيوة

والعلم والقدرة والسمع والبصر ولا صفة الفعل كالتخليق ن
والتكوين والإحياء والإماتة ونحو إنكارهم الرؤية الموعودة
لأهل الجنة وغيرها من عقايدهم الفاسدة التي خذلوا بها عن
موافقة أهل السنة والجماعة حتى لم يؤهل أحد منهم للكرامة
فيؤمن بها لوجودها في نفسه وقولهم إن إثباتها للولي
يوجب الالتباس بين النبي والولي قول فاسد لأن ظهور
الكرامة للولي يؤكد معجزة الرسول لأن كرامة الولي
في الحقيقة معجزة لنبيه الذي ينتمي هو إليه لأن الولي
يدعو إلى متابعة شريعة النبي صلى الله عليه ولأن الفرق بين
النبي صلى الله عليه وبين الولي ظاهر لأن النبي صلى الله عليه
يدعي المعجزة والكرامة ويتحدى بها الخلق فيقول إن آية — أي يناظرها
رسالتي ونبوتي كذى وكذى والولي لا يدعي الكرامة وإنما
تظهر على يده من غير تحد ودعوى ومتى ادعاها سقط من — أي من غير مناظرة
رتبة الولاية وصار فاسقا كذى ذكر علماء الأصول منهم سيف
الحق أبو المعين ثم ذكروا اعتقادهم في أشراط الساعة ن
فقالوا ونؤمن بخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم من السماء
ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها
قال القاضي أبو حفص الغزنوي وإنما قالوا بهذه الأمور
وهي من الأخبار السماوية وقد تواتر نقلها نقلا يوجب العلم
بها لاتصالها بنا عن صاحب الوحي فيجب الاعتقاد بوجودها في المستقبل
على ما تواتر النقل بها لأنها تواترت عمن شهدت له المعجزات
بالرسالة والعصمة عن الباطل فيتحقق وجودها لأوقاتها كما تحقق
وجود ساير الأخبار السمعية من نحو قوله الم غلبت الروم في
أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين تحقق
مخبره بعد الهجرة عند تمام المدة المذكورة ∴ وقوله سبحانه سيهزم

الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة ووجد يوم بدر وكقوله هو
الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وقوله وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وقوله
وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وكقوله من يرتد منكم
عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم وكقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض الآية وكما أذعنت لها العقول
الصحيحة قبل وقوعها وصدق بحقيقتها أولوا الألباب فلذلك
تذعن لهذه الأمور المذكورة العقول الصحيحة ∴ وكما تحقق
وجود ما قبلها من الوعود فلذلك تحقق هذه الأمور لا شك
ولا ريب فوجب الاعتقاد بحقيقتها قال الإمام الناصري
قد ذكر علماء الأصول بأن الأخبار التي تكون من آيات
النبوة ودلائل الرسالة على أنواع نوع منها إخبار عما كان
في الماضي ونوع منها في الحال ونوع منها في المستقبل
بعد زمن النبي ونوع منها في المستقبل يوجد في زمن من
صحب النبي ونوع منها أخبار عما سيوجد إلى آخر الدهر
وكان لنبينا صلوات الله عليه جميع الأنواع أما النوع الأول
فهو الإخبار عما كان في الماضي وهو غيب عن كل من
لم يعاينه ولم يسمعه من عالم به ولا قرأه في كتاب وهذا
كقصص الأنبياء المتقدمة والأمم الماضية وما نال المصدقون
بالتصديق وما حل بالمكذبين بالتكذيب ∴ وكالإخبار
عن آيات الرسل وبراهينهم وهي في الكتب السماوية
وعند علماء أهل الكتاب ونبينا صلوات الله عليه ولد من قوم
أميين لا يعرفون الكتب السماوية ولا يؤمنون بالأنبياء

أي أشداء على الكافرين غلاظ عليهم الصحابة وإن كانوا أذلة

أي الكاتب المتقدم

والرسل وكانوا يعبدون ما ينحتون من الأحجار والخشب ويتعجبون
من تجريد التوحيد ونشأ هو صلوات الله عليه من حين ولد
إلى أن بعث بين ظهراني قومه ولم يختلف إلى أستاذ
ومعلم ولا كان يحسن أن يقرأ كتابا ولا يخط بيمينه
ولا قدم أحد من علماء أهل الكتاب عليه ليلازمه ويعلمه
ولم يفارق عشيرته فأخبر بما في الكتب السماوية وبما عند
علماء تلك الكتب على ما هي عندهم وعلى ما هي في تلك الكتب
ولسان تلك الكتب غير لسانه وهو لا يعرف لسانهم ولم
يقدموا على معارضته والرد في شيء فذلك قطعا أنه إنما علم
جميع ما أخبر بالوحي السماوي من قبل علام الغيوب
وأنه رسول الله اختصه لرسالته وجعل كل قصة ونبأ آية
من آيات رسالته كما قال تعالى تلك من أنباء الغيب
نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا وكما
قال فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ∴
وأما النوع الثاني فهو إخبار عن كائن في الحال لم يقع
عليه عيان ولا ظهر للسمع ولا اتصل بالكتابة وهو ما كان
في القلوب والضماير وكان لنبينا صلوات الله عليه
من هذا النوع كثير قد تواترت به الأخبار وكان أكثر
آياته في حق المنافقين بالإخبار عما في قلوبهم وعما أسروه فيما
بينهم كقوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم ∴ وأما النوع الثالث فهو الإخبار عما
يكون في المستقبل مما يوجد في حياته عليه السلام فهو
كإخباره وهو بمكة أن الروم تغلب فارس في بضع
سنين ∴ وكإخباره بفتح مكة وكإخباره بقوله
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهو يومئذ وحيد فريد بمكة

فتحقق مخبره بعد الهجرة ۰۰ وأما النوع الرابع فهو
الإخبار عما يكون في المستقبل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
في زمن من صحب النبي صلى الله عليه وهو أيضا كثير جدا تواترت
به الأخبار كقوله صلوات الله عليه لأصحابه تغزون الروم
فيفتحها الله وتغزون فارس فيفتحها الله ۰۰ وكقوله
عليه السلام لأهل مكة أدعوكم إلى كلمة تدين لكم بها العرب
وتؤدي إليكم بها العجم الجزية قالوا وما هي قال كلمة لا إله
إلا الله وكإخباره بقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم ۰
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وقد تحقق
جميع ذلك في زمن أصحابه على ما أخبر ۰۰ وأما
النوع الخامس فهو الإخبار عما سيوجد إلى آخر الدهر
وهذا النوع يكثر جدا منها أشراط الساعة وهي كخروج
الدجال ونزول عيسى بن مريم وطلوع الشمس من مغربها
وخروج دابة الأرض من موضعها وخروج يأجوج ومأجوج
ومن هذه الأشراط ما يكون عندها غلق باب
التوبة فلا تقبل عند وقوعها من فاسق توبة ولا من كافر
إسلام وهي طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة تكلم الناس
**ثم ذكروا قولهم في الأشياء المنافية للشريعة فقالوا ولا نصدق
كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا بخلاف الكتاب
والسنة وإجماع الأمة** قال القاضي أبو حفص الغزنوي
وإنما قالوا بتكذيب الكاهن والعراف وكل من في معناهما
لأن الاطلاع على الغيب غير ممكن إلا لمن ارتضاه الله تعالى
من أنبيائه ورسله على ما قال الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا

اي الله

إلا من ارتضى من رسول فيوحي بإذنه ۰۰ وقد صح عن رسول
الله صلى الله عليه أنه قال من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر
بما أنزل على محمد صلى الله عليه **وأما قولهم ولا من يدعي شيئا
بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة** معناه ولا نصدق
من يدعي شيئا بخلاف هذه الحجج لأنا دعينا إلى العمل بهذه الحجج
وقد قامت البراهين القطعية على كونها حجج الله تعالى على
ما سبق بيانها في أقسام الحجج الموجبة للعلم قطعا ويقينا فثبت
بطلان ما يخالفها لأن حجة الله تعالى غالبة ملزمة فثبت
أن ما يخالفها مدحوض مغلوب فكل من ادعى شيئا بخلاف (اي باطل)
هذه الحجج فيما يرجع إلى عقد وديانة كان هوى باطلا على ما (اي عقد)
مر بيان أصناف أهل الأهواء وكذا كل من ادعى شيئا فيما (جمع صنف وهو النوع)
يرجع إلى سعود ونحوس كان رجما بالغيب حدسا وتخمينا على (اي ظنا)
ما مر بيان بطلانه في الكاهن والعراف **ثم ذكروا عقيدتهم
في تحقيق الجماعة وإبطال الفرقة فقالوا ونرى الجماعة
حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا** قال القاضي أبو حفص
أرادوا بالجماعة إجماع الأمة الهادية لأن حقية إجماعهم
ثبت بأدلة الكتاب والسنة فكان كآية من الكتاب
لا يجوز خلافه كما لا يجوز خلاف آية من الكتاب وقد مضى
ذكر أدلة حقية الإجماع في غير موضع **وأما قولهم**
والفرقة زيغا وعذابا معناه ونرى الفرقة زيغا وعذابا وإنما قالوا
ذلك لقول الله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ولقوله
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع (اي اظهر المعجزة)
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فتوعد تارك
سبيل المؤمنين بالنار وسبيل المؤمنين إجماعهم ۰ ولما تواتر

النقل الموجب للعلم عن رسول الله صلى الله عليه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ولقوله عليه السلام يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار ٥ وذكر القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد عن مسعر ابن كدام أنه قال ما أدركت من الناس له عقل كعمرو ابن مرة كان إذا صلى الفجر وذلك بعد ما ذهب بصره فقال لأصحابه فيكم غريب فإن قالوا نعم سكت فلم يحدث وإن قالوا لا أقبل يحدثهم فإنه صلى الفجر يوما فلما انصرف لأصحابه أفيكم غريب قالوا نعم فسكت فلم يحدث فقال الغريب رحمك الله أو عافاك الله إني إنما جئت مسترشدا إني رجل دخلت في جميع هذه الأهواء فلم أدخل في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه حتى بقيت ليس في يدي شيء فقال له عمرو بن مرة والله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشدا قال والله الذي لا إله إلا هو لقد جئت ٥ مسترشدا قال أرأيت ما اختلفوا فيه هل اختلفوا في أن الله واحد قال لا قال فهل اختلفوا في أن محمدا رسول الله صلى الله عليه قال لا قال فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله قال لا فهل اختلفوا في دين الله أنه الإسلام قال لا قال فهل اختلفوا في القبلة أنها الكعبة قال لا قال فهل اختلفوا في أن الصلوة خمس قال لا قال فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي تحجونه قال لا قال فهل اختلفوا في الزكوة أنها من مائتي درهم خمسة دراهم قال لا قال فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة قال لا قال فذكر له هذا وأشباهه ثم قرأ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات

نصرة الله

قال فهل تدري ما المحكم قال لا قال فالمحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه شد يدك على المحكم وإياك والمتشابه قال فقال له الرجل الحمد لله الذي أرشدني على يدك فوالله لقد جئتك وإني من أسوء الناس حالا ثم لقد قمت من عندك وإني لحسن الحال قال فدعا له وأثنى عليه خيرا ثم قام فقال عمرو بن مرة إن الشيطان دعا أهل الكتاب إلى أمر فأجابوه فطرحهم فيما قد علمتم وهو دا عبكم كما دعاهم وطارحكم مثل ما طرحهم فيه فعليكم بالأمر الأول ثم فسر لأصحابه الأمر الأول بالذي اجتمعوا وهو ما ذكر من تلك الأصول والفرائض التي وصفها قال الإمام الناصري اتفق أقاويل أئمة التحقيق في تفسير الأمر الأول أنه هو الذي قبض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه أصحابه إلى أن تفرق الناس وهو ما تقدم ذكره في صدر هذا الكتاب بالنقل المتواتر الموجب للعلم أنه قال صلى الله عليه ستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار قالوا يا رسول الله ومن الناجية قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي وذكر القاضي أبو العلاء في كتاب الاعتقاد فقال روى عن حماد بن أبي حنيفة عن أبي حنيفة رحمة الله أنه قال ما الأمر إلا ما جاء به القرآن ودعا إليه النبي صلى الله عليه وكان عليه أصحابه رضي الله عنهم حتى تفرق الناس فأما ما سوى ذلك فمبتدع محدث ثم ذكروا تفسير الدين والإسلام الذي دانوا الله عز وجل به فقالوا رحمهم الله وأثابهم الجنة ودين الله عز وجل في السماء والأرض واحد وهو الإسلام قال الله تعالى إن الدين عند الله الإسلام وقال تعالى ورضيت لكم الإسلام دينا وهو بين الغلو والتقصير وبين

التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس
وأما قولهم ودين الله عز وجل في السماء والأرض واحد
وهو الإسلام فلأن الإسلام هو دين الله عز وجل الذي
تعبد به عباده من الأولين والآخرين وارتضاه دينا
لأهل السموات والأرضين وبعث للدعوة إليه الأنبياء
والمرسلين وأنزل للأمر به وإيجابه الكتب السماوية
وأقام لإلزامه البراهين العقلية والحجج السمعية وهو في
الحقيقة إسلام العبد نفسه مع كلية الأشياء لله رب
العالمين سالمة له تعالى بلا إشراك لغيره في شيء منها
لا في ملك ولا إنشاء ولا حكم ولا تقدير ثم احتجوا
لذلك بقول الله تعالى إن الدين عند الله الإسلام وبقوله
ورضيت لكم الإسلام دينا أخبر الله تعالى أن الدين الذي
أمر به وألزم عباده أن يدينوه ويتعبدوه به وأنه هو الدين
المقبول المرضي عنده هو الإسلام وأخبر أن من أتاه بغيره
لا يقبل منه فقال عزت قدرته ومن يبتغ غير الإسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقال
تعالى لإبرهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ثم قال
تعالى ووصى بها إبرهيم بنيه ويعقوب أي وصاهما بنيهما
بملة الإسلام قال تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك
وإله آبائك إبرهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون
وأخبر تعالى عن يوسف قال توفني مسلما **وأما**
قولهم وهو بين الغلو والتقصير أي إن الإسلام الذي هو دين
الله عز وجل بين الغلو والتقصير وإنما قالوا ذلك لأن الميل
إلى أحد الطرفين خروج عن الاستقامة والغلو هو المجاوزة

عن الحد المجعول له والتقصير نزول عن الحد المجعول له
وكل واحد منهما مذموم وباطل لخروجها عن العدل والحق
فالدين الحق هو وصف الله تعالى بما وصف به نفسه بقوله ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وبما تعبد به عباده بقوله
قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
وهو الحق الذي قامت به السموات والأرضون وهو العدل
الذي جاءت به الكتب السماوية والرسل الذين هم قادة الخليقة
ثم غلت اليهود بقولهم إن الباري تعالى جسم متركب على مثال
صورة البشر وتبعتهم على ذلك المشبهة من هذه الأمة ...
والقدرية قصرت بنفي قدرة تخليق الأفعال عن الله تعالى
وأما قولهم وبين التشبيه والتعطيل أي الإسلام
الذي هو دين الله عز وجل هو إثبات الأسماء والصفات على
ما جاءت به الكتب والرسل من غير تشبيه كما فعلت
المشبهة ولا تعطيل كما فعلت المعتزلة حيث نفوا عنه العلم
والقدرة والسمع والبصر والإرادة والتخليق والتكوين ونحوها
وأما قولهم وبين الجبر والقدر أي إن الإسلام الذي
هو دين الله عز وجل هو التسليم لأمر الله تعالى ولما جاء منه
من غير جبر بإسقاط فعل الاكتساب عن العباد ومن
غير إثبات قدرة تخليق الأفعال للعباد **وأما قولهم**
وبين الأمن والياس أي إن الإسلام الذي هو دين
الله تعالى هو أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وهو
حقيقة العبودية إذ في الأمن عما أوعد ظن العجز عن
العقاب وفي الإياس عن رحمته ظن العجز عن العفو وهما
ينقلان عن الملة والإسلام هو إسلام العبد نفسه مع جميع
الأشياء لله تعالى والتسليم لحكمه والانقياد لأوامره والاجتناب

لنواهيه ثم قالوا رحمهم الله فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا
قال القاضي أبو حفص الغزنوي بينوا بهذا القول
وجوب الاعتقاد بجميع ما ذكروا من أصول الدين
والتوحيد وبما ذكروا من فصول العقايد في الظاهر
والباطن إذ المخالفة بين الظاهر والباطن من أوصاف
المنافقين وهم في الدرك الأسفل واتحاد الظاهر
والباطن في اعتقاد الحق دين الأنبياء والمؤمنين فوجب
الاعتقاد بهذه الأشياء التي قامت بثبوتها وحقيتها البراهين
الساطعة والحجج القاطعة ظاهرا وباطنا ثم قالوا رحمهم الله
ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه
قال القاضي أبو حفص الغزنوي وإنما قالوا هذا لأن
ما ذكروه من أصول التوحيد وساير فصول العقايد قامت
على حقيتها حجج الكتاب والسنة الواضحة وإجماع
الأمة الهادية وبراهين العقول المستقيمة وهو دين
الله عز وجل الذي دان به الأنبياء والمرسلون وعباده
المؤمنون ثم قالوا ونسال الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان
ويختم لنا به قال القاضي أبو حفص الغزنوي وإنما
سالوا الثبات على دين الإسلام لأن ذلك من أهم أمور الدين
وهو دأب الأنبياء والأخيار قال الله تعالى خبرا عن
يوسف رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث
فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني
مسلما وألحقني بالصالحين وقال رسولنا صلوات
الله عليه عند موته حين خير بين البقاء والرحيل اللهم في
الرفيق الأعلى وتمام النعمة في التثبيت على الحق وهو ما
امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بقوله يثبت الله الذين آمنوا

164

بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وتمو اسوالهم بطلب
العصمة مما ينافي عقايد أهل الحق فقالوا وأن يعصمنا
من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب المردية
مثل المشبهة والجهمية والقدرية وغيرهم من الذين
خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة قال القاضي أبو
حفص الغزنوي وإنما سالوا العصمة عن هذه الأشياء التي ذكروها
لأن أصحابها اتبعوا هواهم وخالفوا نصوص الكتاب والسنة
وإجماع السلف الصالح وتعلقوا بشبهات بهوى أنفسهم ∴
والواجب على كل مكلف اتباع الحجج والسلف الصالح اعتمدوا
الحجج فتابعت عقولهم بالحجج فاهتدوا وأهل الأهواء عارضوا
الحجج بهواهم فزاغوا لأن الهوى عدو للحق ومتبع عدو
الحق لا يكون وليا له فوجب التبري مما يوجب عداوة
الحق ∴ ألا ترى إلى قول ابن عمر حين قال له السايل
إن عندنا قوما لا يثبتون القدر فقال أبلغوهم أني بريء منهم
وكذلك سالوا العصمة عن الآراء المتفرقة لأن المذكورين
وأشباههم تفرقوا بآرائهم عن الصراط المستقيم على ما مر بيان
أوصافهم وآرائهم وخلافهم لنصوص الكتاب والسنة وإجماع
الأمة قال الله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ∴ وروي عن رسول الله
صلى الله عليه أنه خط في الأرض خطا مستقيما ثم خط عن
يمينه وشماله خطوطا ثم وضع إصبعه على رأس الخط المستقيم
ثم قرأ قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ثم أشار
إلى تلك الخطوط المتعرجة فقرأ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله وهذا مثل ضربه صلوات الله عليه لسبيل الحق ولسبيل
الشيطان ∴ فسبيل الله عز وجل ما كان رسول الله صلى الله عليه

وأصحابه وقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه قل هذه سبيلي
أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني أي على حجة وبرهان
أنا ومن اتبعني .:. وقد تواتر الخبر أنه قال ستفترق أمتي
على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار
قيل من هم يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي
وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم وكان أول
فرقة ظهرت وخالفت الجماعة هم الخوارج فقاتلهم الصحابة
والتابعون فالفرقة الخارجة أول فرقة دخلت تحت هذه الآية
ثم ليست فرقة من الفرق أشد كيدا للإسلام والشريعة
من فرقة انتحلت بتضليل الصحابة لأن الصحابة هم الذين
نقلوا الشريعة ودعوا إليها بعد وفاة نبيهم صلوات الله عليه
فإذا جعلتهم هذه الفرقة ضلالا لم يبق على زعمهم شريعة يعتمدون
عليها وقد قامت الدلائل القاطعة على بقاء شريعة محمد إلى قيام
الساعة إذ قامت الدلائل على كونه خاتم النبيين وقولهم
مثل المشبهة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من
الذين خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة هذا منهم تفسير
لما ذكروا من أهل الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب
المردية فبدؤا بالمشبهة لما سبق بيانه من اشتمال مذهبهم
على تجسيم الصانع القديم وتشبيههم إياه بالبشر على إبطال
التوحيد وتركهم للنصوص المحكمة والبراهين الظاهرة
واتباعهم لظواهر المتشابهات بحملهم إياها على التجسيم والحدود
والتناهي ثم ثنوهم بالجهمية لخبث عقائدهم المشتملة على تعطيل
الصانع عز اسمه ونفيهم بقاء الجنة والنار ثم ثلثوهم بالقدرية والمعتزلة
لنفيهم عن الله تعالى صفات الذات والفعل جميعا ولإثباتهم لأنفسهم

الاختلاف الخلاف والتفرق الفرقة

ولكل فاعل مختار مما دب ودرج قدرة تخليق الأفعال ثم ألحقوا
بهم سائر أهل الأهواء بقولهم والقدرية .:. وغيرهم من الذين خالفوا
الجماعة وحالفوا الضلالة فكل من فارق الجماعة في العقائد ولازم
البدعة التحق بمن سبق ذكرهم في استحقاق الوعيد الوارد
في الخبر المتواتر الذي هو دليل من دلائل النبوة حيث أخبر
أن أمته ستفترق إلى ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة
وهي التي تكون على ما كان هو عليه وأصحابه ثم تحقق وجود
التفرق بعده عليه السلام على ما أخبر نعوذ بالله من الخلاف
والفرقة ثم قالوا رحمهم الله ونحن برآء منهم وهم عندنا ضلال
أردياء قال القاضي الإمام أبو حفص الغزنوي وغيره
وإنما تبرؤا منهم وسموهم أردياء ضلالا وأردياء لخلافهم
حجج الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الأمة الهادية
ولدخولهم تحت الوعيد الوارد وتحقق نعت الفرق المذكورة
في الخبر المتواتر فيهم بخلافهم للجماعة في العقائد التي تدانوا بها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة
وقال يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار وقال
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه
نعوذ بالله من الخلاف والفرقة ونسأل الله تعالى أن يتوفانا على لزوم
السنة والجماعة هذا آخر كتاب شرح العقائد الذي
رواه أبو جعفر الطحاوي في ذكر بيان السنة والجماعة على
مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمن بن ثابت وأبي يوسف
يعقوب بن ابرهيم وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
رحمهم الله وأثابهم الجنة
كتبه خليل بن محمد بن فلاح العجلوني
حامدا لله رب العالمين ومصليا على رسوله محمد وآله

فصل في معنى تسميه أبي جعفر الطحاوي لأبي حنيفة

وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله فقهاء الملة ن ذكر الشيخ
أبو الحسين القدوري في صدر شرحه لمختصر أبي الحسن
الكرخي فقال إن الله تعالى ضمن حفظ الشريعة وأمر
بتعليمها والتفقه فيها وأول من دون الفقه ووضع
فيه كتبا ورتبه أبو حنيفة رحمه الله ويستحيل أن
يضمن الله تعالى حفظ الشريعة ثم يكون المبتدي بتدوينها
على غير الحق بل يكون على الحق والاستقامة ن ثم قال
ولأنه وضع هذا المذهب عن مناظرة أهل الاجتهاد والاستنباط
ولم يستبد بوضع المسايل وإنما كان يلقيها على أصحابه
مسألة مسألة فيعرف ما عند كل واحد منهم ويقول
ما عند نفسه ويناظرهم عليه حتى يستقيم أحد القولين فيثبته
أبو يوسف حتى أثبت الأصول كلها وكان له أصحاب
لم يتفق لفقيه تصدى لوضع المذهب مثلهم منهم أبو يوسف
يعقوب بن إبرهيم الأنصاري وزفر بن الهذيل التميمي
ومحمد بن الحسن الشيباني والحسن بن زياد اللؤلؤي وداود
الطائي وعافية بن يزيد الأودي ويوسف بن خالد
السمتي والقاسم بن معن المسعودي وحفص بن غياث
ووكيع بن الجراح ومالك بن مغول البجلي قال أبو الحسين
وهؤلاء فيهم علماء بالحديث والسنة والسيرة والعربية والحساب
فإذا كان المذهب وضع على اتفاق من جماعتهم كان
أصح مما يستبد به الواحد بنفسه ويرجع فيه إلى اجتهاده
ولأن أبا حنيفة أول من تكلم في الشروط وصنفها
وقد قال الله تعالى ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه
الله فأخبر أن الله تعالى هو المعلم للشروط وهو علم لا ينفرد
وإنما يتفرع على كل الفقه فصحتها تدل على صحته ولأن أبا حنيفة

رحمه الله أول من وضع كتابا في الفرايض وقد قال رسول
الله صلى الله عليه الفرايض نصف العلم وهو أول علم يرفع من
الأمة فإذا وفق الله تعالى من ابتدأ بوضعها فالظاهر أن يوفقه
للصحيح منها ولأنه ولد في عصر الصحابة سنة ثمانين من الهجرة
وتفقه في زمن التابعين وأفتى معهم وناظر الشعبي وطاوس
وعطاء ثم قال أبو الحسين وقد روى أبو حنيفة رحمه
الله عن أنس بن مالك وعبد الله بن جزء الزبيدي وعامر
ابن الطفيل وغيرهم وقال يحيى بن معين إن أبا حنيفة
صاحب الرأي سمع عايشة بنت عجرد وهي تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أكثر جنود الله في
الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه قال الإمام
الناصري وما ذكر أبو الحسين القدوري من وضع أبي
حنيفة المذهب عن مناظرة أهل الاجتهاد والاستنباط
فهو في الأحكام الفروعية والمسايل الاجتهادية وذلك
لتبحره في علوم الملة وشدة صلابته في حراسة الشريعة ن
واقتدى في ذلك بأبي بكر وعمر رضوان الله عليهما في كثرة
إحضارهما أولي الاجتهاد والاستنباط من فقهاء الصحابة
ودوابهم في كل حادثة تقع وحكومة ترفع وأما في المسايل
الاعتقادية فإن أبا حنيفة وأصحابه رحمهم الله قد
بنوا عقايدهم على الدلايل الموجبة للعلم من النصوص المحكمة
والأخبار المتواترة والبراهين العقلية وإجماع الأمة
الهادية على ما مر بيانها في الفصول الاعتقادية إلى
آخر الكتاب فلهذه الوجوه المذكورة سماهم أبو ن
جعفر الطحاوي فقهاء الملة وأراد بالملة ملة الإسلام
وهي التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وقد قامت الحجج

والبراهين على كل عبد أن يكون محياه ومماته عليها ولذلك
توارثت الأمة خلفا عن سلف أن يقولوا عند وضع الميت في لحده
بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقف أبو
جعفر الطحاوي على مذهبهم في الأصول والفروع ووجده
موافقا للقرآن والسنة المشهورة وإجماع الصحابة والبراهين
العقلية سماهم فقهاء الملة رحمهم الله وأثابهم الجنة والحمد لله
حمد الشاكرين وصلى الله على محمد وآله أجمعين

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى
خليل بن محمد بن فلاح العجلوني غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه
ولمن نظر فيه ولمالكه ولجميع المسلمين ودعا لهم بالتوبة
والمغفرة ولوالديهم ولجميع المسلمين بحق أسماء
الله وصفاته إنه أرحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وذلك في خامس عشرين
شهر ذي القعدة الحرام
من سنة ست
وثلاثين
وثمانمائة
م